التاريخ المكتوب بقلم روج

تأليف

أشرف مصطفى توفيق

الكتاب: التاريخ المكتوب بقلم روج

الكاتب: أشرف مصطفى توفيق

الطبعة: ٢٠٢١



الناشر: وكالة الصحافة العربية (ناشرون)

٥ ش عبد المنعم سالم – الوحدة العربية – مدكور- الهرم –
الجيزة - جمهورية مصر العربية
هاتف : ٣٥٨٢٥٢٩٣ _ ٣٥٨٦٧٥٧٦ _ ٣٥٨٦٧٥٧٥
فاكس : ٣٥٨٧٨٣٧٣

http://www. bookapa.com **E-mail: info@bookapa.com**

دار الكتب المصرية
فهرسة أثناء النشر

توفيق ، أشرف مصطفى
التاريخ المكتوب بقلم روج / أشرف مصطفى توفيق
– الجيزة – وكالة الصحافة العربية.
١٨٥ ص، ١٨*٢١ سم.
الترقيم الدولى: ٧ – ٢٦٧ – ٩٩١ – ٩٧٧– ٩٧٨
أ – العنوان رقم الإيداع : ١٣٢٥٣ / ٢٠٢١

التاريخ المكتوب بقلم روج





مقدمة

التاريخ أحيانا يكتب بالفضائح، بالليالي الحمراء، وهو في الحقيقة تاريخ غير مضر، وإذا أضرَّ فهو يضر أصحابه؛ فهو لا يشبه التاريخ حين نكتبه بالقنبلة والكلاشنكوف، فتاريخ الحرب فجّر الدنيا وقتل الشعوب، من حرب البسوس حتى حرب السويس، ومن الحرب العالمية الأولى حتى حرب الخليج، ولذا قرر البعض التأريخ للقبلات والآهات، فعل ذلك الأصبهانى في الأغانى، وحدث ذلك في (ألف ليلة وليلة).

في الحقيقة نحن لا نمل من التاريخ المكتوب بقلم الروج؛ فبركوبيوس العظيم كتب كتابا طويلا في ٦٠٠ صفحة عن تيودورا الغانية العارية اسمه (التاريخ السرى– حياة جستنيان وتيودورا) وإيفلين فار كتبت عن فجور مارى أنطوانيت كتابها (أحبك بجنون .. مارى أنطوانيت الرسائل السرية). وطاهر البهى له كتاب حقق مبيعات عن" الفنانون والمخابرات (علاقات مثيرة ونهايات غامضة)" وهو يقص عن مخابرات الثورة، وصلاح نصر، وكيف نام الثوار مع الفجار في حجرة واحدة؟! ولعادل حمودة كتاب "حكومات غرف النوم" عن علاقة السلطة بالجميلات، فالجميلات لا يقفن على الأبواب، ولا في الطوابير، وإنما تُفتح لهم الأبواب والأحضان.

وحينما صادروا الكتاب قال لهم حمودة: "لماذا المصادرة؟.. إني أقول للأطفال لا تفعلوا مثل هؤلاء الكبار؟! أقول للصغار والكبار: كخ.. عيب.

وحينما كتبت كتابي "مشاهير وفضائح" هاجمتني الأستاذة لوسي يعقوب بالجرائد، فاسم الكتاب يخدش الحياء العام عندها، وما في الكتاب كتابة صفراء، وتقول بعد الصحافة الصفراء آتت الكتب الصفراء؟! مع أني وقتها لم أكذب على أحد ولم ألفق له تاريخًا، ولم أضع لأحد حشيشًا في سيارته ولا خادمة مأجورة في فراشه، كله بالتاريخ بل بوثائق التاريخ، والغريب أن وزارة الداخلية أحالتني للتفتيش للتحقيق معي، وكنت وقتها ضابط شرطة؟!

وفي سن الأربعين تقدمت لجائزة الدولة التشجيعية بما كان عندي وقتها من كتب وهي: (نساء الملك فاروق .. العرش الذي أضاعه الهوى) في فرع السير والتراجم، وكتاب (العالم السرى للنساء .. جرائم المرأة)، وقيل لي في لجنة التقديم: "معندكش كتب عنوانها مستور شوية، ثم أنك تكتب كما يكتب صحفيو الحوادث عن الدعارة.. أنت تقدم للجنة جائزة فالكتب الفائزة تكون محل للقراءة والترجمة؟!

فليس في مصر وحدها، ولكن في الوطن العربي، والعالم الخارجي والدول المتقدمة والدول النامية، هذا الاهتمام والعناية بالقبلات والجنس ومشاهد البورنو والانشغال بالمشاهير وفضائحهم ونقائصهم وغرف نومهم. إذن الانشغال ليس بالمشهور وحده، ولكن بالمشهور الظاهر الواضح، المفضوح، فكل الأميرات شهيرات ولكن الناس تهتم بالأميرة التي فضحت جسدها. فإذا عادت واستترت كأنها أصبحت امرأة عادية، سحب الناس منها اللقب!! حدث هذا مع الأميرة (آن) أخت الأمير تشارلز الملك المنتظر

لإنجلترا الآن؛ فحينما عشقت غير زوجها – وهو بالمناسبة حارسها الضابط الذي يطلق عليه (بودي جارد) أي الحارس الخاص أو أول من يتلقى الرصاصة بالنيابة عنها تفجرت (إنجلترا)، وكان طلاقها من زوجها وزواجها بعشيقها هو أول طلاق يفتت الملكية الإنجليزية، ولكن سرعان ما نسي الناس (آن) حينما اعتدلت وخلعت المايوه وأصبحت تلبس التايير الطويل وتقول عبارة رددتها من قبل مارجريت تاتشر:"أنا لا أحترم المرأة وهي ترتدي البنطلون!!"

وتكرر نفس الشيء مع الأميرة ديانا التي جاءت لتجعل الإنجليز ينسون أميرتهم (آن)، ويهتمون بفضائحها، باعترافاتها، بملابسها فلقد اهتم الإنجليز بديانا ضعف اهتمام الفرنسيين بنابليون!! وحينما جاءت النهاية واعترفت ديانا أمام شاشات التليفزيون بعلاقاتها بمدربها على الفروسية قالت: "ما فيش حد أحسن من حد، وأنا مصابة بعقدة الأميرة (آن)....." بل إنها حينما طلبت الطلاق وقالوا لها: "ما حصلتش في الأسرة الملكية" تساءلت كيف: تزوجت (آن) تيموثي لورانس!! واحمر وجه الملكة الحماة خجلاً!!

وأصرت ديانا على المايوه البكيني والقبلات غير الشرعية والفضيحة حتى القتل، فقد قتلها الإنجليز وهي في فرنسا، قتلها (الببارتسي) بالصور والفلاشات والحسد وسرعة السيارات!!

وشيء غريب آخر أن يكتب عن كيندي سبعة وسبعون كتاباً ليس أحدها من الكتب السياسية المتخصصة، مع أنه من أهم رؤساء أمريكا، ولكن هذه الكتب تقول عنه: شباب وجمال وفلوس وعلاقات غرامية وفضائح وأكبر فضائحه الجميلة الذي يحسده عليها الجميع (مارلين مونرو)

أجمل من خلق الله وأكثر النساء براءة وطفولة وخلاعة في التمثيل، وعرفت الدنيا هذه العلاقة وعرفت سفالة الرئيس كيندي الذي تخلى عنها لأخيه!! ولكن لم يعرف أحد كيف كان كيندي يقود أمريكا وهو يعاني من الانزلاق الغضروفي ومن آلام مزمنة شبه يومية في كتفه ومن ثلاث حقن كورتيزون كل ذلك يومياً!!

والأغرب أن يكون تاريخ الملك فاروق أهم الملوك في مصر والمنطقة العربية يقول نفس الشيء، وهي حالة غريبة لاتفاق الشرق مع الغرب؟! إنهم يقولون: شباب وفلوس ونساء وقمار وعلاقات غرامية وفضائح سواء عنه أو عن أمه أو عن أخواته البنات فهو الملك الذي تحققت فيه الأسطورتين: أسطورة أوديب الذي كان يحب أمه، وأسطورة شمشون الذي حلق النساء شعره فضاعت قوته، ولكن نوع من النحس كان يلازمه مع المرأة، فقد كان متعلقا بأمه الجميلة "نازلي" متباعدا عن أبيه القاسي الملك فؤاد، ثم اكتشف أن يشمك أمه "حجابها" زائف لم يحجب شيئا! ثم أولع غراما بزوجته الأولى "فريدة" ثم اكتشف أن المسحة الملائكية التي تكسو وجهها، لم تكن لهذا الحد!

واهتموا بنساء الملك وخيبة الملك وكيف كان يحب اليهود؟ وكيف كان شكل مخدعه، وسياراته التي دهنها كلها بلون كيوبيد اللون "الأحمر" ولكن لا شيء عن حكمه وحروبه؟! وهل كان ديمقراطيا أم مستبدا

ومنذ ٤٠ سنة حدث هذا الحوار وسجله الكاتب والأديب الكبير عباس محمود العقاد في مقدمة أحد عبقرياته "عبقرية أبو بكر". كيف نكتب

عن العظيم؟! ما الذي نظهره وما الذي نخفيه؟! هل نؤلهه فلا ندخل غرفة نومه أم نؤنسنه فنتعامل معه كبشر يخطئ ويصيب ويمد يده ويخلع بنطلونه؟!

كان العقاد يرى أنه لا يكتب إلا عن عبقرية العبقري، نبوغه، علمه، ويكفيه أن يجد مفتاحاً لشخصيته يحلل منه وبه هذه العبقرية، أما الكاتب والعالم (أحمد زكي) فإنه عارضه وقال له أن من خلال هذا المنهج يبرر أخطاء العبقري ويعلل هفواته ويجد له العذر، فإذا كانت الشعوب أسقطت حق الملوك الإلهي فلا يجب أن نعطي هذا الحق للعباقرة تحت مقولة نشر الأخلاق والعظة والشيء المفيد للناس.

وجاء طه حسين في برنامج تليفزيوني تواجد فيه كل المثقفين (نجيب محفوظ وأنيس منصور ويوسف السباعي وغيرهم..) والحوار مسجل في التليفزيون المصري، وكان لقاءً بين كافة الاتجاهات الثقافية في مصر، ليفجر سؤالًا عن عبقرية عمر للعقاد، قال من فهمها؟: أنا لم أفهمها؟!

أما الذي لم يظهره التليفزيون أن طه حسين قال: إذا كانت الكنيسة تؤمن بأن المسيح له ناسوت ولاهوت (أي عنصر بشري وعنصري إلهي) فإن العقاد لا يعرف في عمر إلا لاهوته. أي جانب الإلهام والقدرات الخاصة؟! ولكن العقاد نفسه حاد عن طريقته حينما هاج وماج في الصحافة على زواج مصطفى النحاس باشا من السيدة زينب الوكيل، واندهش الناس من تدخل العقاد فيما لا يعنيه، ولكن العقاد أعلن أنه كمواطن يعنيه جداً هذا الأمر، فكل ما يتعلق برئيس الوزراء يعني جميع المواطنين؛ لأنهم يريدون أن يطمئنوا على سلامة حكم وأحكام الرجل الذي يحكمهم، فإذا تزوج النحاس باشا فتاة صغيرة جميلة فإنها هي التي سوف تحكمه!! ولذلك يجب أن يعترض

الناس جميعاً على أن تحكمهم فتاة صغيرة، وليس رئيس الوزراء – وبطريقة العبقريات التي كتبها العقاد – وجد العقاد مفتاح عبقرية النحاس باشا وإذا به مفتاح غرفة نومه!! وحكمت مصر بالفعل فتاة صغيرة بيضاء مدملكة هى السيدة (زينب الوكيل)، كتب عنها مكرم عبيد "الكتاب الأسود"!

ويتعين أن نشير إلى تأثير عامل السن في تصرفات النحاس الذي سمح بتدخل زوجته في شؤون البلاد وتفصيل القوانين وإصدار الاستثناءات لخدمة أهلها وأقربائها وحتى خدمها والعاملين بأمرها، وخاصة في مجال الإعفاءات الضريبية، وفي تقارير عن زيارة النحاس وحرمه للندن بعد زواجهما يحكي حسن نشأت سفير مصر في لندن وقتها عن تصرفات غير منطقية وغير معقولة لكنه يمكن فهمها من الناحية الإنسانية؛ فهو يذكر كيف وقفوا ربع ساعة على رصيف محطة القطار في انتظار زينب هانم التي كانت تصلح من مكياجها ومظهرها وتنسق قبعتها.

ومن المثير للاهتمام أيضاً أن هذه العروس تأخذ مرافقة لها في السفر ست ريفية اسمها أم السعد، وتجعلها وصيفة لها، وليس أدل على نفوذ زينب الوكيل من تصريح نجيب الهلالي باشا حينما فوتح بدخول وزارة النحاس السابعة والأخيرة، فقال: (أنا غير مطمئن، ولذلك سأنتظر.. وإذا ثبت لي أن "الست" لا تتدخل فسأشترك في الوزارة)

ودخلت عبارة في مجال الكتابة عن المشاهير: الشخصية العامة والشخصية العادية، فالشخصية العامة ملك الناس، حياتها الخاصة يجوز الخوض فيها الاعتراض عليها لأن ذلك يؤثر مباشرة على الناس أنه يحكمهم، ويتحكم فيهم ويلعب في الأرض والعرض وهو مثلهم وقدوتهم

وفي مصر حكم لمحكمة شهير، فقد رفعت مطربة (ن. ص) قضية على مصطفى أمين بعد أن كتب عنها مقالا في (أخبار اليوم) وقت أن كان يكتب مسلسل (شخصيات لا تنسى) وقالت في دعواها أنه قد سبها وقذفها واتهمها بما ليس فيها وكتب ذلك، ورسم صورتها، لقد فضحها!! وقال" فريد الديب" محامي مصطفى أمين (وهو محامي الرئيس السابق حسني مبارك): أنه لا يمكن معرفة الشخص بالوصف طالما أنه لم يصرح بالاسم أما الرسم فيمكن أن يتشابه، وعلى الرغم من عدم تصريح موكلي باسمها فما حكم المحكمة إذا كانت كل الوقائع صحيحة وتعرفها كل مصر!! وتوالت الوقائع، واضطرت نجاة الصغيرة أن تسحب القضية من المحكمة.. فالسؤال: كيف تكون الكلمة فضيحة إذا كانت كل الوقائع صحيحة؟!

فلماذا يريد الحكام والملوك والرؤساء أن يعرفوا كل شيء عن مواطنيهم: الاسم ومحل الميلاد، ونوع الاعتقاد والتنظيم وعدد الزوجات، وعدد مرات تناول الشاي، وعدد الكتب في عقولهم والفلوس في جيوبهم، ولا يكون لرجل الشارع نفس الحق،كيف جاءوا للحكم؟ وما هي شرعيتهم؟ وماذا يفعلون بميزانية الدولة؟ ولماذا يفرضون الضرائب التي تجعلنا فقراء؟ ولماذا سلم أولويات الحكومة بعيد جدا عما يريد الشعب؟ ما بيننا جميعاً أن تكون الوقائع صحيحة؟! فلا نكذب عليكم ولا يلفق لنا اتهام!

إذن الكتابة في هذا الموضوع "التاريخ المكتوب بقلم روج" ليست سقطة ولا سفالة ولا نذالة ولا نشر غسيل قذر ولا كتابة صفراء أو حمراء كما ادعت الأستاذة لوسي يعقوب رحمها الله، ولا أقل ولا أكبر من أنواع أخرى من الكتابة، إنها ليست جنس أو اتجار بالأعراض، إنها نوع من أنواع: نسيان

الحرب والقتل والعنف، فإذا كان لا بد من الفساد ، فلقد اخترت قصص الفساد الناعم. فما أكتب عنه: نوع من الديمقراطية السياسية، البوح العام، الفضفضة الشعبية، التنفيس.

وإذا كان المثل يقول "تجوع الحرة ولا تتاجر بثدييها" وهي عبارة جنسية فجة لها معنى أخلاقي، فإن التعرض لفضائح المشاهير بشكل من الأشكال له معنى أخلاقي أيضاً، وليس معنى تاريخيا فقط

وتعد الكاتبة "كيتي كيلي" المتخصصة في مجال الكتابة عن فضائح المشاهير، ولها أكثر من كتاب حقق أرباحاً ومبيعات خيالية منها "فرانك سيناترا – حياته"، و"نانسي ريجان.. فضيحة في البيت الأبيض" عندما سئلت: لماذا تكتبين هذا النوع؟!

فقالت: "الناس تريد ذلك، وأنا أحقق لهم ما يريدون؟! لقد انتهى عصر السير والتراجم، وصرنا أمام بشر لا تجد في حياتهم إلا الفضائح والعري".

أشرف مصطفى توفيق

أميرة قصر باكنجهام "آن" : كل شيء شفاف للغاية

أخذت فضائح الأسرة البريطانية المالكة في التداول بين العامة، منذ تنازل الملك إدوارد الثامن عن العرش عام ١٩٣٦ لصالح أخيه، وذلك بعد قصة حبه الشهيرة مع الليدي سمبسون المطلقة الأمريكية.. وقد انتهت هذه القصة –كما هو معروف – بالزواج منها رغم معارضة العائلة المالكة ورغم معارضة عامة الشعب.وتركه العرش والحكم. ولقد كانت هذه الواقعة هي الشرارة التي انطلقت بعدها حركات التمرد على التقاليد السائدة داخل الأسرة المالكة، ومن ثم أخذت القصص الحقيقية والإشاعات تزداد حول سلوك أفراد الأسرة، تارة في كواليس البلاد، وتارة على صفحات الجرائد..

ومن هذا القبيل، ما حدث مع الأميرة مارجريت شقيقة الملكة إليزابيث التي أحبت قبطانًا في البحرية البريطانية بعد نهاية الحرب العالمية الثانية، ولم تتمكن من الزواج منه لمعارضة الأسرة المالكة، واضطرت إلى الهرب والزواج من اللورد سنود، ولقد باءت حياتهما الزوجية بالفشل، ومن ثم حدث الطلاق، الأمر الذي دفع الأميرة نحو إدمان الخمر والتدخين، وإقامة علاقات متعددة، فانتهت جميعها بالفشل وتسببت في دخولها إلى المستشفى أكثر من مرة..

أما الأزمة التي دقت أبواب القصر الملكي؛ لكأن التاريخ يعيد نفسه فهى هذه المرة للأميرة "آن" ابنة الملكة إليزابيث، تبدأ القصة باتصال هاتفي مع "روكي سيد" المحررة بجريدة الصن البريطانية اليومية، من قبل مجهول طلب

لقاءها خارج مبنى الجريدة لأمر مهم.. التقت المحررة الصحفية بصاحب الاتصال التليفوني..كان شابًا عاديًا في العشرين من عمره بني الشعر، تقدم نحوها لا أثر للاضطراب على وجهه، وسلمها أربع رسائل كتب عليها بالحبر الأسود: "إلى الأميرة/ شخصي".. وقد دام اللقاء أقل من أربع دقائق، لم يطلب فيها الشاب مالاً أو أي شيء آخر!!

وبعد مضي أسبوع على هذا اللقاء، قررت إدارة جريدة "الصن" تسليم الرسائل إلى سكتلنديارد.. لماذا؟!. ذلك لأنها – حسب روايتها – تخجل من نشر محتواها!! والمدهش المثير أن جريدة "الصن" ذاتها جريدة شعبية تقوم على نشر الفضائح وأخبار المشاهير وتحقق انتشارًا واسعًا من وراء ذلك؛ إذ تبيع خمس ملايين نسخة يوميًا! انتشر الخبر بسرعة وأصبح لزامًا على القصر الملكي إصدار بيان توضيحي فالموضوع يتعلق بالأميرة "آن" ابنة الملكة، وهي متزوجة من الكابتن مارك فيلبس وأنجبت منه ولدين، إلا أن الزوجين يعيشان – منذ سنوات – شبه حالة انفصال، لا يجمعهما سوى ولديهما، فالزوج يقضي أكثر من ستة أشهر في السنة خارج بريطانيا، ولا يشاهدان معًا إلا في المناسبات الرسمية ففي عام ١٩٨٨ – مثلاً – رافقها في ست مناسبات فقط من أصل أربعمائة مناسبة رسمية حضرتها الأميرة..

وراجت شائعات لم تنفها الأميرة آن، عن علاقة لها مع حارسها الخاص عام ١٩٨٠، الذي فصل من منصبه في ذلك الحين، بالإضافة إلى قصص نشرتها الصحف عن علاقات للكابتن مارك فيلبس مع إحدى العاملات في إسطبل خيوله، ومع مذيعة تليفزيونية مشهورة، إضافة إلى قضاء ملكة جمال الهند السابقة "باميللا بوردس" ليلة في منزله.

ولا شك أن مثل هذه القصص تؤكد أن لا عوائق أمام العواطف الإنسانية، مهما جرت محاولات لكبتها، ولا يمكن وضعها في أطر بروتوكولات، فهي تصيب الملك كما تصيب الأميرة والعامل في إسطبل.. فالآراء متضاربة حول حق الأميرة – وهي مازالت متزوجة – في إقامة علاقة أخرى، لذلك فالطلاق هو أبغض الحلال.. والقصة بالطبع كانت معروفة بين أفراد العائلة المالكة، وحرس الأميرة الشخصي على الأقل، فقد كشف النقاب عن لقاءات عديدة جرت بين الأميرة والضابط لورانس في أحد المنازل الريفية، بالإضافة إلى مكالمات هاتفية تمتد إلى أكثر من ساعة، ورسائل ملتهبة خطها العاشق ذو الجذور الشعبية غير الأرستقراطية فهذه أمور لا يمكن حدوثها دون رقيب، إلا أن العائلة المالكة تسير الأمور وفق "استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان".

أما والسر قد ذاع فقد أصبح البلاط والملكة – وهي رأس الكنيسة الإنجليزية أيضًا – في وضع يدعو إلى الحسم، لهذا يقول العارفون بتصرفات العائلة المالكة في ظروف كهذه: أن الطلاق بين آن والكابتن مارك فيلبس حاصل لا محالة، أما زواج الأميرة من تيموثي لورانس، فهذا يعتبر سابقة في تاريخ العائلة المالكة، لذلك فهو مستبعد. وبينما الأمور تسير على هذا النحو، لم يعط أي من العاشقين رأيًا بعد، فالأميرة مازالت تقوم بواجباتها اليومية، والضابط لورانس في خدمة الملكة في قصر وندسور يعاني من أزمة نفسية لابتعاده عن أميرته – حسب قول أصدقائه – أما الكابتن مارك فيلبس فقد سافر إلى اسكتلندا ثم إسبانيا.. وتحركت الملكة بدءًا بإبعاد لورانس عن مرافقتها في المناسبات الرسمية التي كان مقررًا لها حضورها. وقد

تذكر الأيام التالية بما حدث لصديق سارة السابق – قبل زواجها من الأمير أندرو – الذي تجرأ في مقابلة مع إحدى الصحف وتكلم عن علاقته السابقة بسارة، فصدر قرار بنقله من مركز عمله في مصرف في لندن إلى أحد الفروع في السويد، وهذا هو أقصى ما تستطيع الملكة عمله في بريطانيا. والأمر الذي يثير الدهشة أن قصر باكنجهام الذي عرف عنه التمسك بالصمت المطبق حيال مثل هذه المواقف التي تخص الأسرة المالكة، ولاسيما قصص الغرام المثيرة، قد خرج عن المألوف، وبادر بإعلام اسم صاحب الرسائل، ذلك الشاب المسمى "تيموثي لورانس" ياور الملكة إليزابيث، والذي شاهد العالم صورته عندما ظهر خلف الملكة أثناء استقبالها للزعيم السوفييتي جورباتشوف في وندسور، وبدأت الصحافة تردد كلمة (خلاف بين الأميرة آن وزوجها مارك فيلبس) ولكن الإنجليز لم يقعوا في المصيدة، وظلوا على وفائهم وتعاطفهم مع الأميرة..

إن مشكلة الأميرة "آن" أنها بعيدة عن قلب الشعب البريطاني، لدرجة أنها قالت: "أعرف أني بعيدة عن الصورة التي يتخيلها الشعب عن أميرة الأساطير والأحلام، أنا لست سندريللا".. ولكن مع مرور الوقت بدأ الشعب يتفهم شخصية الأميرة آن، وبدأ يحبها ويغفر لها بُعدها عن الأناقة والمسرح والجاذبية التي تتمتع بها ديانا، وذلك بعد أن أكدت فعلاً أنها تفضل العمل الجاد والأجدى من ابتسامة زائفة ضمن أفراد أسرتها، كما أنها الوحيدة التي تقوم بأكثر المهام الرسمية، وقد حصلت في العام الماضي على لقب صاحبة السمو، وهي أيضًا شجاعة وعنيدة وتتفانى بلا مقابل لصالح الطفولة في أنحاء العالم، وتضطلع بهذه المسئوليات منذ ٢٠ عامًا، فتجوب

الأرض من إفريقيا إلى آسيا لنجدة الطفولة البائسة وتقديم العون لها، وفي كثير من الأحيان تكون رحلاتها على حساب وقت ابنها بيتر (١١ سنة) وابنتها زازا (٨ سنوات)

والطرف الثاني في هذه القضية أو الفضيحة هو الضابط البحري (تيموثي لورانس) وهو في الرابعة والثلاثين من عمره ويصغر الأميرة آن بأربع سنوات، وقد سبق له أن هزم كضابط بحري على الباخرة (بريتانيا) وعلى الباخرة الملكية (شيفيلد) التي غرقت في حرب فوكلاند، وشغل تيموثي وظيفة الحارس الخاص للملكة خلفًا للميجور "هيوج لينس" ياور الملكة السابق، الذي لقي مصرعه في شهر أبريل ١٩٨٨ في عاصفة ثلجية في سويسرا كادت تودي بحياة الأمير تشارلز ولي العهد..

ومهمة تيموثي أو "تيم" كما يطلق عليه هي مرافقة الملكة إليزابيث في زيارتها واستقبالاتها الرسمية ويتواجد أيضًا في الزيارات الخاصة، كما حدث عندما رافق الأميرة ديانا إلى أحد المطاعم في مدينة نيويورك أثناء زيارة الأمير تشارلز للولايات المتحدة الأمريكية.. ويتساءل الكثيرون عما إذا كانت مثل هذه المهام الخاصة واردة في بنود وعقد الوظيفة؟!

وفي باكنجهام كان تيموثي لورانس قبل فضيحة رسائله الغرامية من الشخصيات المحبوبة للجميع لهدوئه وتحفظه وسلوكه المحترم، ولكن أحد زملائه في جامعة دورهام صرح بأن تيموثي كان طموحًا، ومن ناحية أخرى استطاعت عدسات الكاميرات أن تضبط نظرات حانية جدًا يوجهها الضابط البحري نحو ابنة القصر العاقلة صاحبة السمو الأميرة آن، وكان هذا اللقاء في سباق الخيل بمدينة اسكوت، والذي يحرص على حضوره كل

أفراد الأسرة.. والأميرة آن رئيس شرف لاتحاد كرة الرجبي في اسكتلندا، بالإضافة لمزاولتها للفروسية التي تمارسها الساعة الخامسة صباح كل يوم في قصرها في (جالكومبي)، وبالطبع فإنها مع كل هذه الأنشطة لا يتبقى لها وقت تقضيه مع زوجها مارك فيلبس الذي يبدو أنه هو الآخر ليس لديه الوقت ليمضيه معها.. كل الظروف تباعد بينهما، وبصفة استثنائية سافرا معًا في الشتاء لممارسة رياضة التزحلق على الجليد، وحتى في هذه المرة كان كل منهما في جانب من جبال الألب.

وفي يوم ١٤ نوفمبر الماضي، والمفروض أنه يوم الاحتفال بعيد زواجهما الخامس عشر كانت آن في بكنجهام للاحتفال بعيد الميلاد الأربعين لشقيقها الأمير تشارلز، بينما زوجها مارك في أستراليا لتسويق ماركة ملابس للرجال!. ولنفس هذه المناسبة تركته هي وسافرت إلى نيبال.. وعلى كل فإن زواجهما في نظر الكثيرين يبدو (زواجًا عن بعد) كما يقول الإنجليز، ويعلق بيتر فيلبس (٦٨ سنة) والد مارك: إن زواجهما يبدو غريبًا ولا يطابق ما كنت أتوقعه، وعلى كل إنها مشكلته وحده.. ثم يضيف: كل منهما يعمل من ناحيته ويعيشان متباعدين، ومثل هذا الأسلوب يهدد أي حياة زوجية بالفشل، ومع ذلك فإن الطلاق لن يقع بينهما لأن الاثنين متعلقان جدًا بطفليهما..

ويبرر الكثيرون سلوك مارك فيلبس، ويرجعون جديته إلى القسوة التي تتطلبها مدرسة الفروسية، مع أنه يوم زفافه كان مبتسمًا ولطيفًا وسعيدًا. وفي عام ١٩٨٠ أعفي من الخدمة (بيتركروس) حارس الأميرة آن، بسبب إمعانه في رفع الكلفة معها، وبعد هذا الحادث شوهد في روما يتناول طعام الغداء

مع إحدى العاملات في إسطبلات الأميرة، واضطرت الفتاة إلى تقديم استقالتها.

وفي عام ١٩٨٤ أثناء الدورة الأوليمبية في لوس أنجلوس وصل الزوجان على طائرتين مختلفتين ولم ينزلا في نفس الفندق. وفي سول، نزل مارك وحده في القرية الأولمبية ولم ينتهز أي فرصة لزيارة زوجته الأميرة آن ولو مرة واحدة، وفسر تصرفه بأنه (مشغول جدًا). وباختصار، أصبح من المؤكد لشهود العيان أن الحب تلاشى بينهما، أو على الأقل لم يعد يربط بينهما سوى حب الخيل وحب الطفلين.

وقبل تفجر فضيحة الرسائل الغرامية بأسبوعين تكشفت فضيحة أخرى خجل لها التاج البريطاني، فقد قيل أن الكابتن مارك فيلبس على علاقة بالفاتنة السمراء الهندية الإنجليزية "باميللا بوردس" (٢٧ سنة) التي كانت في وقت من الأوقات صديقة عدد من أعضاء مجلس العموم البريطاني، وصديقة لابن عم الرئيس الليبي معمر القذافي، وهي التي قد صرحت مرة بأنها بحكم عملها في مجلس العموم لو أعلنت ما تعرفه من أسرار الدولة لقدمت الحكومة استقالتها على الفور.. المهم أن إشاعة هذه العلاقة انتشرت قبل الحادث الذي تعرضت له باميللا، والذي شوه وجهها الجميل تمامًا، ووقتها نفى قصر باكنجهام خبر تواجد باميللا في (جاتكومب) وهو من ممتلكات آن، وصرح المتحدث الرسمي للقصر: "لا يمكننا مطلقًا تصور أن هذه المرأة دعيت هنا"!!..

ثم بعد مضي عدة أيام وصل تصريح آخر للصحافة مغاير تمامًا للأول، وجاء فيه: "نعم، ميس بوردس كانت في جاتكومب، ولكن أحد زملاء مارك

فيلبس هو الذي وجه إليها الدعوة، وأن العلاقة التي بينهما لا تتعدى دروسًا في الفروسية!"..

وعندما حاول الصحفيون الاستفسار من مارك نفسه عن طبيعة هذه العلاقة، نفى أي علاقة عاطفية بينه وبين باميللا، وقال: "لم أرها أبدًا إلا وسط مجموعة من ثلاثين أو أربعين شخصًا جاءوا في عطلة الأسبوع للعمل، إن هذه السيدة لم تترك في نفسي أي ذكرى خاصة".

وكانت الأميرة آن في زيارة رسمية لألمانيا، وفور نشر هذا الخبر العجيب، عادت بأول طائرة إلى لندن ليفسر لها زوجها الموقف الذي كان في منتهى التعقيد. وبينما باميللا تدعي وجودها مع مارك، أقسم هو من ناحيته أنه لا يتذكرها وأنه لم يقابلها، وقد تكون جاءت للمشاركة مع المدعوين الآخرين في الافتتاح الرسمي لنادي الفروسية في جاتكومب ولا يذكر أبدًا أنه رفع عينيه نحوها!!. وسارع القدر في نجدة الضابط مارك فيلبس ليبدد شبح هذه العلاقة المريبة، وذلك بظهور الخطابات الغرامية التي أرسلها "تيموثي لورانس" إلى الأميرة آن، فحتى زوجته المعروفة بحبها المثالي للواجب والتي تفني نفسها من أجل الوطن هي أيضًا لها عشيق.. إنها قصة كلاسيكية والتي فيها تقع الأميرة في حب حارسها، ولكن أن تحدث هذه القصة في إنجلترا ومع الأسرة المالكة فهو المستحيل نفسه!.

والخطير في هذه القضية، أنها كشفت أن في قصر باكنجهام كل شيء شفاف للغاية، بحيث يمكن لأي فرد أن يعبث في مخابئ وأدراج الأمراء والأميرات الخاصة دون أن يلحظه أحد، لأن الموضوع يخص خطابات غرامية – أي ممتلكات خاصة جدًا – ولا يمكن أن تكون الأميرة قد تركتها مهملة

على مكتبها مثل أي ملف آخر، ولذلك فالاحتمال أن الشخص الذي قام بسرقة هذه الخطابات لا بد وأن يكون طرفًا ثالثًا في هذا الموضوع، أو وسيطًا من أهل الثقة..

وبهذه المناسبة، فقد ذكرت صحيفة "توداي" البريطانية أن البوليس يحقق مع إحدى الخادمات في قصر باكنجهام بلندن بتهمة سرقة الرسائل الغرامية، وقالت الصحيفة: أن الأميرة آن أبلغت البوليس أن الخادمة سرقت الخطابات بدافع الحقد الشخصي!!.

وبعد فإن مارك وزوجته الأميرة آن عادا ليجتمعا من جديد، ولكن للحديث – طبعًا – عن مأساة يقومان فيها بأدوار البطولة، فهو من ناحيته متهم بعلاقة مع فتاة مستهترة، وهي تقع في حب حارسها، وعقدة المأساة أن كلمة طلاق لم تعد مستبعدة.. وبما أن اسكوتلانديارد تدخل في القضية فلن يمكن أبدًا التستر على أية تفاصيل ترد فيها. ويبقى موقف الملكة السيدة الوحيدة المخلصة والجادة، أنها لم تعد تتحمل كل ما يسببه لها أبناؤها من متاعب. لقد سبق أن عانت من تصرفات ابنها أندرو وعلاقاته الغرامية الطائشة – قبل زواجه من سارة فيرجسون – وتعبت من الأقاويل التي أثيرت حول علاقة ابنها ولي العهد الأمير تشارلز مع كونتيسة إيطالية، ولم تعد تطيق تطلعات ابنها الأصغر إدوارد للعمل في المسرح، إنها فعلاً لم تعد تفهم معنى كل هذه الأحداث. إنها واثقة تمامًا من التربية التي أنشأت عليها أبناءها.

وبالنسبة للملكة فإنها لم تتحرك، كل ما لوحظ أنها منذ إثارة الفضيحة لم تظهر بصحبة حارسها صاحب الرسائل الغرامية، وصرح المتحدث الرسمي

للقصر: "وهذا لمنع الإحراج" وربما يضطر "تيم لورانس" إلى تقديم استقالته حتى ولو أن الشهود أقروا بأن هذه الرسائل "ودية لا تدينه بشيء"، وربما لهذا السبب لم تبادر الصحيفة الباحثة عن الفضائح بنشر الرسائل..

وبالنسبة لمارك فيلبس فإنه بعد مناقشة دامت ست ساعات مع زوجته قرر السفر إلى آسيا لظروف العمل – كما يقول – وبعد عدة أيام كان لا بد وأن تهدأ العاصفة، والحارس الولهان هو وحده الذي سيدفع الثمن بأن يلحق بكتيبته في عرض البحر، لأنه حتى لو أقر الجميع بأن حياة الزوجين – آن ومارك – لم تعد تتعلق إلا بحب الطفلين والخيول، فإن الأصول تقتضي عدم المزاح مع الأسرة المالكة، ومهما يكن من أمر هذه القضية فإن هناك إجماعًا على أنه من حق الأميرة آن أن تكون لها مراسلات ودية مع غير زوجها، خاصة عندما يكون الرجل الذي يراسلها موضع ثقة الملكة!!.

والمشكلة الأساسية هنا أن الأسرة المالكة يجب أن تكون القدوة للجميع، وبينما كان رئيس البوليس الجنائي في سكوتلانديارد يوالي البحث ليضع يده على سارق الرسائل الغرامية، فإن الأميرة آن كانت تتابع نشاطها المعتاد، فتواصل ممارسة مهامها الرسمية في ليفربول حيث تجمع تبرعات من أجل إنقاذ الطفولة، وتقول: "إن هذا العمل يساهم – على الأقل – في تأكيد إيماننا بالنفس البشرية!".

ولكن على طريقة الأفلام العربية جاءت النهاية: عجيبة، غريبة، غير منطقية؛ فبينما البوليس الجنائي في سكوتلانديارد يبحث ويتحرى ويسأل عن سارق هذه الرسائل، اكتشف أن هناك حبًا مشتعلًا بين الفارس والأميرة.. بين كاتب الرسائل وصاحبة الرسائل، وأن المسألة ليست مجرد

رسائل إعجاب وإنما هناك لقاءات خاصة بينهما.

وجاء الطلاق، وكانت آن وزوجها فيليب ينتظراه على أحر من الجمر؛ إنهما يحتاجان إلى القشة التي تكسر ظهر البعير.. هذه الرسائل.

أما الغريب؛ أن تذهب الأميرة (آن) للفاؤس تيموثي لورانس، ولا عزاء للأسرة المالكة البريطانية تزوجا رغم عن الجميع، فمن يفهم طبيعة العواطف الإنسانية!!

الأميرة ديانا لقمة لذيذة بالشطة للقراء في كل الدنيا!

من مشاكل القرن العشرين كانت الأميرة ديانا، فقد كانت لعبة الصحفيين والمصورين والسياسيين والمحاميين، لعبة خطيرة على العرش البريطاني؛ فهي خانت، وزوجها خان، والفضيحة عامة، وقد ساعدت الجميع على الاستمرار في تتبع أخبارها وفضيحتها؛ فضيحتها لنفسها ولغيرها، وتتبعها الناس.. إنها لقمة لذيذة بالشطة لقراء الصحف في كل زمان ومكان، إذا طال فستانها أو قصر، وإذ اتسعت فتحة الرقبة، وإذا هبطت إلى ما دون الوسط، وإذا انشق فستانها على الساق، وإذا انكمش مايوهها لقطعتين، وإذا نزعت كل ذلك كما فعلت في مبنى السفارة البريطانية في القاهرة، ولما رأت المصور المصري "محمد جوهر" وهو يتسلل بالكاميرا بين فروع الشجر اعتدلت عارية تماماً، وكأنها ترحب بالتصوير! وبعث بالصور إلى مجلة "باري ماتش".

ولكن في يوم صيف جميل في ١٩٩٧، وعلى بعد خمسمائة ياردة التقطت عدسة أحد المصورين الإيطاليين مجموعة صور للأميرة ديانا ودودي الفايد وهما يتبادلان العناق والقبلات، كانت الصور حقيقية وحالمة وتكشف الأميرة الناعمة غارقة في بحر العسل حتى أذنيها، وأظهرت الصور الولد المصري "دودي" وهو أسمر بلون النيل وهو يحيط خصر الأميرة ديانا بيديه، البنت "فلقة القمر" رخامية الجسد، مرمرية الإحساس تذوب بين شفتيه في قبلة!!

المصور الإيطالي طار عقله بعد أن تأكد من نجاحه في القبض على صيد ثمين، ويقال أنه استشار المصور الفرنسي العالمي "دانييل أنجيلي" الذي سبق له أن فاز بصيد ثمين أيضاً من العائلة الملكية البريطانية حيث صور الأميرة "سارة" دوقة يورك في حضن مليونير آخر وهو يلعق أصابع قدميها، وهي في مايوه قطعتين، وفي صور أخرى بقطعة واحدة فقد خلعت سارة في خلوتها مع المليونير مشد الصدر!! وسأله عن كيفية تسويق هذه الصور عالمياً، وبسرعة تسوق له عند مجلة "باري ماتش" واحتفظت المجلة بحق نشر هذه الصور مقابل ١٠٠ ألف جنيه، مع أن الذين رأوا صور "مُحَمَّد جوهر" قالوا أنها أجمل وأوضح وأكثر إثارة!!

والناس وقتها اختلفوا بين "دودي آه...دودي لا" أي بترشيح دودي الفايد من الزواج من الأميرة ديانا، أو أنها حركة من ديانا نفسها لتشغل العالم عن القضية الجديدة التي تبنتها العائلة الملكية في إنجلترا، وهي زواج "تشارلز من كاميليا باولز"، وهى العشيقة الملكية لزوجها تشارلز، والتي لم تكن إلا الساحرة الشريرة بالنسبة لديانا، وقال الإنجليز والعرب معا: "من يترك لهطة القشطة لسماد البرك والخيول؟!"

لقد سحرت له، لا بد أن تكون كاميليا باولز عملت عملًا أسود لتشارلز وألقت به في جبانة دركولا! فكيف لا يرى ولا يحس ولا يسمع لديانا، والمحاولات المضنية التي يبذلها تشارلز في هذا الشأن غريبة وعجيبة، وسبحان مقلب القلوب، وحقا الحب أعمى وأبكم وأبرص.

وربما كانت ديانا تعد لذلك من قبل وبخاصة أنها وقفت قبل أسبوعين من رحلتها البحرية هذه، وقالت لصحيفة أنها ستصدم العالم بمفاجآت

جديدة. فليست هذه هي صور القبلات والآهات الوحيدة في حياة ديانا، فمن قبل قدم "چيمس هوايت" تسجيل صوتي وصور لها معه هذه المرة هو وهي في غرفة النوم مرة، وفي منزل والده هوايت بديقون، ومرة في منزل "هايجروف" يملكه وقتها زوجها الأمير تشارلز؟! كانت تضعه في شنطة السيارة الخلفية وتدخل به وسط حرس منزل "هايجروف" وكان يخرج من السيارة في الجراج حيث يتصل الجراج بسلم بحجرة النوم؟!

وكتب "چيمس هوايت" عن علاقته معها (كتابا) قال فيه أن الأميرة ديانا كانت ترغب في الزواج منه وترغب في إنجاب طفل له!! ولم تقاضه ولكن ملكة إنجلترا منعت تداول الكتاب بأرض الإنجليز، وصادرت نسخه، أما الأميرة الجميلة ديانا فوقفت في التليفزيون واعترفت أنها خائنة وأنها على علاقة خاصة بـ"چيمس هوايت" وأنها بدأتها بعد خيانة زوجها له مع شمطاء لعوب تدعى كاميليا باولز.

وقد شاهد الناس اللقاء الفاضح بينها وبين الصحفي الباكستاني، فقد كان صوتها هامساً ذبيحاً، بما معناه أنها مظلومة ازدراها زوجها فكيف لا تزدريه وتسود عيشته وعيشة الست الوالدة ملكة بريطانيا، وقد تحقق كل ذلك وزيادة. ولم يكتف العاشق بذلك، لم تكفه كل هذه البهدلة؛ فقد فضحها صوتاً وصورة وكلمة فلقد تحدث العشيق الولهان چيمس هوايت في برنامج تلفزيوني لمدة واحد وأربعين دقيقة عن ديانا، وحتى الآن لم تجرؤ أي محطة بريطانية على عرض هذا البرنامج بينما عرضته سبع عشرة دولة من أستراليا إلى أمريكا لدرجة أن محطة الـ RTL الألمانية دفعت ما يقرب من ثلاثة ملايين ونصف مارك مقابل إذاعة هذا البرنامج.

قال چيمس هوايت وهو شاب وسيم أنه كان ضابطاً في قوات حراسة الملكة، وبعد أن وقعت الليدي ديانا في حبه وأقامت معه علاقة خاصة، قرر الأمير تشارلز طرده من الخدمة. وتحدث هوايت عن أحزان "ديانا" مشيراً إلى أنها عانت معاناة رهيبة بعد صدور كتاب عن تشارلز تضمن اعترافاً صريحاً له بأنه على علاقة وطيدة بـ "كاميلا باركر"، وقد فكرت ديانا كثيراً في الانتحار.

وأكد "هوايت" أنه اكتشف عذاب ديانا فقرر أن ينتشلها، وأن يملأ فراغها العاطفي، وبدأ في الاهتمام بها، وشيئاً فشيئاً اكتشف هوايت أن ديانا في حاجة شديدة إلى حبه وحنانه فغمرها بعواطفه الجياشة. ومن فوق ظهر الحصان علمها الفروسية والغرام، وأظهر لها أنه فارس كامل.

المهم أن العاشق الندل (چيمس هوايت) بعد أن ظهر كتابه طلب منه محاميه أن يترك إنجلترا لأن الأميرة لو لجأت إلى القضاء لعرض نفسه للموت لأن القانون الإنجليزي في (المادة **١٣٥١** يقضي بأن من تثبت إدانته بالخيانة والزنا مع زوجة ولي العهد يعاقب بالإعدام شنقاً) وهرب چيمس إلى الأرجنتين، وهو يضحك، وسألوه: "لماذا؟!". فقال إن عشماوي الإنجليزي بهذا القانون قد لا يذهب لزوجته مدة خمسة أيام!! هاها، هاها، ولم تكن هذه نكتة أن ديانا نفسها ردت على كتاب (أحزان الأمير) والذي تدخل تشارلز بنفسه في نشره بأن الأمير نفسه قد جعلها أكبر داعرة في العالم ما دام قد تزوجها عن غير حب كما يقول في كتابه، وما دام يكرهها إلى هذا الحد!!

أما المعنى الوقح من عبارة (جيمس) أن ديانا عرفت غيره وليس واحداً أو اثنين بل كثيرين والمعنى المهذب لعبارة (ديانا) أن الزوج الفاشل يدفع

زوجته للجنون، بإهماله، وعبطه وقلة حنانه وأن ما فعلته لم يكن عن عمد وإصرار وإنما في حالة رد كرامة وإثبات وجود وتحت أي معنى هناك آخرون.

وفجأة أزاحت جريدة "ديلي ميرور" الستار عن فصيحة علاقة استمرت أربعة عشر شهراً طرفها واحد من أشهر عذاب لندن هو "كريستوفر هوالي" ٤٠ عاماً. وقد اعتاد أن يتردد على النادي الرياضي الذي تتردد عليه الأميرة ديانا للمحافظة على رشاقتها، وهو نادي "تشيلسي هاربور"، وهناك التقته على السلم الحلزوني للنادي واستوقفته لتسأله: "ما الذي يجب أن تفعله أي فتاة تريد الحصول على فنجان من القهوة في هذا المكان" ولشد ما كانت دهشة الرجل عندما وجهت إليه ديانا هذا السؤال حتى أنه ظن في البداية أنه لا بد أنه أخطأ في التعرف على شخصية ديانا ولا بد أنها امرأة أخرى تشبهها إلى حد بعيد، إلا أن اللقاءات السرية توالت بينهما بعد ذلك في اثنين من أضخم المطاعم اللندنية: سان لورنزو، وكاسبرز، وكان كل منهما يصل إلى المطعم بمفرده، ويغادر بمفرده. وكان ذلك على سبيل تضليل الصحفيين الذين كانوا يطردون ديانا أينما ذهبت وكانوا يوصلونها حتى باب المطعم بكاميرتهم، إلا أنهم كانوا يجهلون ما الذي تفعله الأميرة في الداخل، وكان ذلك يثير سخرية الأميرة.

وظلت العلاقة خافية عن الأعين لمدة أربعة عشر شهراً، التقت الأميرة خلالها بفارسها الجديد عدة مرات وجمعتهما معاً موائد الإفطار والغداء، كما تردد أن الأميرة قضت إحدى عطلات نهاية الأسبوع في منزله الريفي النائي في يوركشاير، كما زارها "هوالي" في قصر كنجستون ليتناول معها الغداء أكثر من مرة، وحتى على الملأ، وأمام عدسات الكاميرات، كانت الأميرة لا

تتردد في إرسال اشارات الحب لفارسها، وهي إشارات لا يعرفها سواه، بعد أن اتفقت الأميرة معه على استخدام طلاء الأظافر الأحمر كرسالة حب لا يستطيع أن يلاحظها سواه!!

ثم أزيح الستار بعد ذلك عن علاقة ديانا بجيمس جيلي، وأذيعت تفاصيل اتصالها الهاتفي الحميم به في ليلة رأس السنة عام ١٩٨٩، والذي ناداها ٥٣ مرة خلالها "يا حبيبتي" رغم أن مدة المكالمة لم تتعد ٢٣ دقيقة، إلا أن الأميرة لم تعترف أبداً بالصداقة التي جمعتها..

ثم مكالمتها الهاتفية بعد ذلك مع تاجر التحف أوليفر هوار (٤٣ عاماً) المليونير المتزوج الذي ظل على علاقة بها، كما قال سائقه الخاص، لمدة ثلاث سنوات، ويليه في الترتيب: دافيد ووترهاوس، وهو أحد قادة حرب الخليج، وكانت الأميرة ديانا قد تعرفت عليه خلال حفل زواج سارة، ثم أصبحا منذ ذلك اليوم من الأصدقاء المقربين ولكنه – بخلاف هوايت – فضل أن تظل علاقته مع ديانا في طي الكتمان.. وتلاه بعد ذلك فيليب ديون الذي قابلته ديانا عند أخته ميلي وأصبحا صديقين حميمين.. وكان قد تردد آنذاك أن ديانا قضت بصحبته إحدى عطلات نهاية الأسبوع عندما كان تشارلز في الخارج.. كما تردد أن الأمير أندرو وجه له أكثر من إنذار ليظل بعيداً عن ديانا..

وعلى الرغم من أن ديانا بعد اعترافها بالعلاقة مع "جيمس هوايت" قالت بأنها لم تعد بحاجة إلى أي رجل، إلا أنها خلال فترة ما قبل الطلاق وفي عام واحد زارت الولايات المتحدة خمس مرات!! وقالت لصديقة لها: "الرجل الأمريكي أكثر حرارة وحساسية من الإنجليزي!!" ورشحت الأوساط جون

الصغير ليكون الجوكي الجديد، وهو ابن جون كنيدي؛ فقد قالت الصحف أن جون قال أنها المرأة التي يحلم بها. وكل من صاحب وجاور الليدي ديانا في الفترة الماضية في رحلاتها للولايات المتحدة كان يشعر بتلك الزيارات الغامضة التي يقوم بها شخص ما لا يريد الإفصاح عن شخصيته وعن المكالمات التليفونية الساخنة التي تجريها، واعتذارها المؤقت عن القيام بمصاحبته في رحلاته البحرية في جزيرة عائلة كنيدي المعروفة، حيث منزلهم الساحر.

وفجأة ظهر (دودي) أو عماد الفايد، وتقول مجلة "هالو" أنه هناك تاريخ قديم للعلاقة التي ربطت بين ديانا وآل الفايد. وتعود علاقة الصداقة بين ديانا ودودي إلى سنوات عديدة ماضية حيث أن والد ديانا إيرل سبنسر وزوجته الثانية رين كانا من الرواد الدائمين لمحلات هارودز، وعندما أصدر الفايد كتابه عن تاريخ هارودز قام أبوها إيرل سبنسر بتقديم لهذا الكتاب، وقام الفايد بزيارة والد ديانا وزوجته، بل أن مُحَمَّد الفايد نفسه قد صرح بأنه يحتفظ بعهده لإريل سبنسر عندما وعده بأن يأخذ على عاتقه رعاية (ديانا)، ولذا فمنذ طلاقها وهو يحاول أن يخفف عنها ويرعاها!!

وتؤكد إحدى صديقات ديانا أن بداية علاقتها بعماد ترجع إلى نوفمبر ١٩٩٦، وبالتحديد يوم ٢٤ نوفمبر عندما استقبلت ديانا في قصرها عارضة الأزياء الأمريكية الجميلة سيندي كرافورد التي كانت في زيارة إلى لندن؛ فالاثنان على علاقة جيدة ببعضهما، وأرادت ديانا أن تقدم صديقتها التي تعتبر واحدة من أجمل نساء العالم إلى ابنها المراهق وليام الذي يكن لها كل إعجاب ويعلق صورتها في حجرته بكلية أيتون، وكان الوقت قريباً من أعياد الكريسماس فطلبت ديانا من إدارة محلات هارودز التي يمتلكها مُحَمَّد

الفايد أن تفتح لها أبواب المحل بعد مواعيد الإغلاق لتتمكن هي وصديقتها وابنيها من شراء هداياهم، وتمت الموافقة على طلبها وكان في استقبالهم عماد بن محمد الفايد..

وكانت ديانا وعماد قد التقيا قبل ١١ عاماً تقريباً خلال إحدى مسابقات الجولف التي جرت في قصر ويندسور، وتذكرا هذه المقابلة خاصة أن فريق عماد فاز يوميها على فريق الأمير تشارلز..

ويبدو أن الفكرة نبتت في ذهن محمد الفايد بعد هذه الزيارة الليلية إلى محلات هارودز؛ لذلك طلبها تليفونياً بعد ذلك بعدة أيام ليعرض عليها أن تشغل مركز المديرة الشرفية لفرع محل في كينجز بيتدج، وذلك من باب وعده السابق لأبيها برعايتها والتخفيف عنها، ولكن ديانا رفضت هذا العرض، واقترحت عليه أن يعين زوجة والدها السابقة "راين دي شامبران" في هذا المنصب، وبالفعل أصبحت راين في بداية ديسمبر مديرة محلات هاردوز العالمية.

وفي ديسمبر تعددت لقاءات ديانا وعماد من خلال الحفلات الاجتماعية والخيرية أو في خلال العرض الأول لبعض الأفلام السينمائية.. ويقول أحد المقربين من محمد الفايد إنه كان سعيداً جداً ويبدي إعجابه بالأميرة ويغازلها؛ فشجعه على ذلك مبدياً استعداده لكافة أنواع البذخ المادي لاستمالة ديانا، ويبدو أن هذا ما تؤكده ديانا بالفعل عندما اعترفت في نهاية يناير ٩٧ للمؤرخ تاكي نبودرورا كونيولد أن محمد الفايد اقترح عليّ أن أتزوج ابنه..

ولماذا لا؟ إن كل الدلائل تشير إلى أنه الأنسب لها، فمعاناتها السابقة جعلتها تتبع نوعاً من الأسلوب التحرري الذي يجعلها تدخل في مغامرات بغض النظر عن تأثيرها السلبي على صورتها، وحتى لو أدى الأمر إلى الارتباط بالدون جوان المصري الذي حذرتها منه صديقاتها بقولهن: "إنه ليس جاداً في علاقاته"، ولكن الجدية ليست هي الصفة المطلوبة بالنسبة لديانا بعد أن لمستها في آل ويندسور ولم ترق لها، وبعد أن اكتشفت أنه ليس من الصعب على الإنسان أن يبدو جاداً..

وانجذبت ديانا إلى عماد لأنه كان يتميز بالسطحية الممتزجة بالجاذبية فتقول إحدى صديقاتها عنه إنه كان يتميز بصوت رائع، خفيض ودافئ، وسحري، وقد اشتهر عماد بحبه للنساء والسيارات الفيراري؛ فكان والده يشتري له أحدث الموديلات وشجعه على الاتجاه إلى الإنتاج السينمائي مما يسمح له بعلاقات نسائية مع أجمل الممثلات، ونجح دودي بكل هذه المقومات في استمالة ديانا التي لم تكن تبحث عن حب من النظرة الأولى بكل ما يحمل من ألم وأرق وشكوك، ولكنها كانت أكثر ما تحتاجه هو الحنان والاهتمام، ولأول مرة تكتشف ديانا الدفء الشرقي للأسرة بعيداً عن الرجال ذي البدل الرمادية، كما كانت تلقب سمسارة قصر باكنجهام بالإضافة إلى أن ثروة الفايد كانت تطمئنها.. فمحمد الأب قد وضع تحت تصرفها أسطول طائراته النفاثة والهليكوبتر وفيلاته ويخوته، بل ووعدها أيضاً بتمويل بعض من مشاريعها وبالأخص حملتها الجديدة للكفاح ضد الألغام، لذلك اعترفت ديانا لأحد أصدقائها في نهاية شهر يونيو:

– أنا سعيدة، لا أستطيع أن أوضح لك سبب سعادتي، ولكنك سرعان

ما سوف تعرفه من الجرائد.

وأثناء زيارتها لآل الفايد لاحظ المراقبون أنها تتعمد الذهاب إلى الشاطئ في الساعة الحادية عشرة صباحاً لممارسة السباحة والغطس أو ركوب الجيت شيروكي بالقرب من الصحفيين. وقد عرف عنها أن هذا النوع من الاستعراضات يسبق دائماً رسالة تريد أن توصلها.. وقد كشفت بنفسها هذه الرسالة يوم ١٤ يوليو عندما اقتربت من قارب كان يقل عدداً من المصورين والصحفيين الذين كانت تعرف كل واحد منهم باسمه، وبدأت حديثها معهم بالشكوى من نبرة الصحافة الإنجليزية عند تناولها لمحمد الفايد الذي قالت عنه "إنه أفضل صديق لوالدي" وبعد هذه المقدمة صرحت للصحفيين أن ابنيها ينصحانها بمغادرة بريطانيا، وعلقت على ذلك بقولها: "ربما حان الوقت لذلك".

وقبل أن تلحق بيخت الفايد الذي كان راسياً على مقربة منهم قالت الأميرة وهي تضحك:"أنا احتفظ لكم بمفاجأة كبرى"، وبدلاً من أن تفهم إنجلترا الرسالة اكتفى الناس بتبرير تصرفاتها هذه بأنها جاءت لتغطي على الاحتفال الذي أقامه تشارلز بمناسبة عيد ميلاد كاميلا الخمسين. ولم يلاحظ أحد طوال هذه الفترة وجود عماد إلى جانبها فلم يكن حريصاً على الظهور في الصورة إلى جانبها مكتفياً بكسب ود ولديها، ولكن بعد الرحلة البحرية الأولى التي كان الاثنان قد أمضياها معاً على متن اليخت الخاص بآل فايد عادت ديانا إلى لندن وسافر دودي إلى أمريكا في محاولة منهما لإخماد الشائعات والفضائح التي أثارتها الصور التي نشرت لهما وهما على متن اليخت بين الأوساط الإنجليزية..

ولكن الثنائي الذي لقب بأكثر ثنائيات هذا الصيف تصويرا لم يستطع مقاومة فرصة الاستمتاع بلقاء جديد في عرض البحر أيضاً؛ فتكرر بنفس السيناريو السابق حيث هبطت طائرة خاصة بأسرة آل فايد في مطار لندن لتحملها إلى اليخت "الجونيكال" الذي يبلغ طوله ٦٠ متراً ويعمل فيه طاقم مكون من ١٦ شخصاً..

ووصل اليخت إلى مدينة سان تروبين في ١٩ يوليو ١٩٩٧ حيث كان مُحَمَّد آل فايد في استقبالهما، وأمضى الاثنان أياماً من الراحة والاسترخاء والاستمتاع حيث كان دودي يمارس رياضة التزحلق على الماء وركوب الجي سكي. أما ديانا فكانت تكتفي بالسباحة وأخذ حمامات الشمس، ثم أبحر اليخت إلى بورتوفينو بإيطاليا حيث شوهد الاثنان وهما يستلقيان على ظهر اليخت ويأخذان حمام شمس، وأخذت لهما عدة صور أسموها مجموعة "القبلة" وقد نشرتها مجلة باري ماتش دون أي محاولة منهما للتخفي من عيون الفضوليين لتصبح بذلك رحلة اليخت آخر رحلة.

ومنذ بداية أغسطس بدأت الإفصاح عن العلاقة العاطفية التي تربطها بعماد الفايد في شكل صورة نشرت لهما تحمل عنوان "القبلة" والتي أحدثت شبه صدمة كهربائية عند الإنجليز جميعاً، وفي يوم ١٠ أغسطس كتبت جريدة الصانداي تايمز ما يقوله الناس في نفوسهم ولا يجرؤون على البوح به فتساءلت: "هل يفوز والد عماد، بقلب الملكة الذي قدم الرشاوى إلى مجلس العموم بمقعد على المائدة الملكية؟"

ورفع أفراد المخابرات الإنجليزية هذه التقارير إلى الملكة التي أرفق معها ماضي عماد الفايد بدون حذف أي تفاصيل منه باستثناء توقيعه على

شيكات بدون رصيد يقوم والده عادة بتسديدها نيابة عنه..

وعندما سافرت ديانا يوم ٨ أغسطس إلى البوسنة كانت تدري جيداً أن إعلانها للعلاقة العاطفية التي تربطها بابن أخت عدنان خاشقجي أشهر تاجر سلاح في العالم لن تمر بسهولة لمجرد أنها تقوم برحلة إنسانية لزيارة ضحايا الألغام. وعلى الطرف الآخر كان مُحَمَّد الفايد يطير في الجنة من السعادة لقد نجح في مساعيه فقال قبل ثلاثة أيام قبل مصرعها لجريدة النيويورك تايمز "إن ديانا امرأة حرة، وابني رجل حر، والناس الطيبون يقعون في الحب بسهولة.. هذه هي كل الحكاية"

ثم بدأ سعار التغطية الصحفية لتلك المغامرة الجديدة لأميرة ويلز يتجاوز الصحف الشعبية إلى الصحف الجادة حتى نشرت مجلة "تايمز" الأمريكية تقريرها عن نجاح هذا الثري المصري في شراء درة المتاجر البريطانية "هارودز" وبقية متاجر "بيت فريزر" العريق عام ١٩٨٥، كان العنوان "أولاً كانت حرب السويس والآن هذا" وكانت نغمة التقرير الصحفي كله أن مُحَمَّد الفايد هذا المصري الذي كان مغموراً حتى هذا التاريخ، قد استطاع أن يرد عن بلده صفعة العدوان الثلاثي، وأن ينتقم من المؤسسة البريطانية العريقة بامتلاك درة متاجرها، و"هارودز" هو درة المتاجر البريطانية لأنه متجر درة الطبقات البريطانية: الطبقة الأرستقراطية الحاكمة.

لكن "الصنداي تليجراف" تهون من الأمر كله فالعلاقة بين عماد وديانا كلها ليست إلا سحابة صيف. فقد تمت بسبب الصيف وفراغ لندن من الرفقة المناسبة لأمثال ديانا، حيث وجدت ديانا نفسها وحيدة، ولم يتوقع أحد أن تجلس وحدها في قصر كينزينجتون لتشاهد أشرطة الفيديو طول

اليوم. ومن هنا فقد اقتنصت أسرة الفايد الفرصة المناسبة ودعتها، ومجرد مغامرة عاطفية في الأجازة الصيفية ليست جريمة، فكل امرأة إنجليزية تفعل ذلك شريطة ألا تتجاوز المسألة بالطبع هذه الحدود"

وتنهي الصحيفة مقالتها بهذه الكلمات الدالة: "إن الرجل الرئيس في حياة ديانا يجب أن يكون الأمير وليام، وليس من حقها الإضرار به بالارتباط غير المسئول بأناس ليس لهم نشيد وطني غير مجموعة من نغمات الانتقام المتنافرة".

لقد سلمت الصحافة بالملعب تماماً للمجهول، وكان المليونير مُحَمَّد الفايد قد ارتكب خطأ عمره حينما أبلغ بنفسه صفحات الاجتماعيات في الصحف بأن عماد وديانا يتجهان إلى إيطاليا ومنها إلى باريس، فتم التجهيز ليس من الصحافة وحدها ولكن من جهات كثيرة، والغريب أن البوليس الفرنسي أغمض عينيه ولم يضع الزيارة تحت مراقبته متعللاً بالعبارة البوليسية الشهيرة "إن الزيارة خاصة ولم يطلب أحد الحراسة!!" مع أنه وضع زيارة بنفس الصفحة للمطربة (مادونا) تحت عينيه وحراسته!! وإذا بصور مجموعة (القبلة) تكسب كل ما سبق من صور ديانا ويرتفع ثمنها وتغطي على شهرة الصورة التي التقطت لديانا **١٩٩٣** وهي شبه عارية في نادٍ بريطاني تمارس فيه الرياضة، وصورتها التي أخذت لها وهي على قارب ملك إسبانيا (خوان كارلوس) وهي ترتدي البكيني وفي أوضاع مثيرة، وهي الصورة التي جعلت تشارلز يتركها مع ولديها ويرحل غضباً دون مراعاة لقواعد البروتوكولات!!

ففي مجموعة القبلة لا تقف ديانا وحدها وإنما هي سمحت لنفسها بأن تجلس عارية بجوار دودي وهو يحيطها بيده من خصرها، ثم يضمها إلى صدره،

بل يقبلها وكل ذلك على سطح يخته!! وتحركت الأحداث بسرعة، وتروي القصة مجلة "باري ماتش" فتقول: إنه في يوم ٣٠ أغسطس كانت ديانا وعماد يقيمان في الجناح الإمبراطوري الذي يقع بالدور الأول من فندق ريتز بالعاصمة الفرنسية باريس، وكانت الساعة حوالي السادسة والربع تقريباً عندما جلست ديانا أمام المرآة تصفف شعرها حيث كان من المقرر أن تخرج مع عماد لتناول العشاء. مر عليها عماد وشاهدها مشغولة فخرج من الجناح المكون من الحجرتين ١٠١، ١٠٢ وتبعه أحد الحارسين المكلفين بحراستها، واتجه الاثنان إلى بوتيك الجواهرجي ألبرتو ريبوس الموجود في ساحة الفاندوم.. فقد تذكر عماد أنه شاهد مع ديانا منذ حوالي ١٠ أيام في فاترينة هذا البوتيك خاتماً مكوناً من أربع ماسات كبيرة على هيئة نجمة ومكتوب عليه "قولي نعم" فقرر عماد شراءه ليقدمه إلى الأميرة خلال العشاء كطلب للزواج..

وفعلاً اشتراه عماد وقدمه لديانا، ولكن إجابتها عن هذا السؤال سوف تظل دائماً لغزا لا يملك أحد الإجابة عنه، ولكن كل الشواهد كانت تؤكد أن الأميرة كانت تعيش في أواخر أيام حياتها أجمل الأيام على الإطلاق. ويؤكد ذلك صديقها الصحفي "ريتشارد كاي" فيقول: "لقد كانت سعيدة كما لم أعهدها أبداً وقبل وقوع الحادث بست ساعات اتصلت تليفونياً ديانا بكاي، وقبل أن تلحق بدودي الفايد للعشاء في فندق ريتز" وقال ريتشارد كاي أنها طلبته لتبلغه أنها قررت أن تجري تغييراً كبيراً في مجرى حياتها بعد أن أدت رسالتها الخيرية، وأعلنت أنها سوف تنسحب من الحياة العامة نهائياً في شهر نوفمبر القادم لتتمكن من مواصلة حياتها بالطريقة التي تتمناها، كامرأة

عادية لها حياتها الخاصة وليس كأيقونة كما كان يطلق عليها وكانت تكره هذه التسمية..

ويضيف ريتشارد قائلاً أنه كان على علم تام بهذا الحلم الذي يراودها منذ فترة، ولكنه لأول مرة يشعر أنها تنوي تحقيقه في القريب العاجل.. ويضيف قائلاً أنه يعتقد أن عماد الفايد كان له دور في هذا القرار لأن ديانا كانت تحبه وكانت واثقة من حبه لها، وكان الاثنان يعيشان في الآونة الأخيرة وكأنهما في الجنة.. ولم يستطع ريتشارد أن يجزم إذا كان الاثنان سيتزوجان أم لا، ولكنه يقول إنه كان احتمالاً وارداً.

ويستطرد ريتشارد في سرد نص المكالمة التليفونية الأخيرة لديانا معه فيقول إن قرارها باعتزال الحياة العامة لن يضع حداً للأعمال الإنسانية التي كانت تقوم بها، بل على العكس لأن مُحَّد الفايد والد دودي كان مستعداً للمساهمة في تمويل مشروع لصالح ضحايا الألغام.. وإنها بمساندة دودي قامت بوضع الخطوط الرئيسية لمشروع إنشاء بيوت تستقبل هؤلاء الضحايا في العالم كله، وبعد فترة صمت قصيرة قالت ديانا: "هذا بالرغم من إنني في أحيان كثيرة أتساءل عن جدوى كل ما أفعله، فبالنسبة للبعض يرونه دائما غير كاف" وأعقبت هذه العبارة بتنهيدة وفترة صمت أخرى، وكأنها طفلة صغيرة تقوم بمهام تفوق طاقتها وتنظر كلمة تأييد أو تشجيع لا تأتي دائماً!!

ولكن ديانا سرعان ما استعادت مرحها وتفاؤلها عندما تذكرت ولديها وقالت له إنهما سوف يصلان من اسكتلندا غداً (الأحد) وأنها سوف تكون في انتظارهما لتمضي معهما بقية أجازتهما وحتى موعد دخولهما المدارس.. وأضافت أن وليام طلبها تليفونياً ليبلغها أن قصر باكنجهام طلب منه أن

يستعد ليصور عدة لقطات فوتوغرافية بمناسبة عودته إلى مدرسته، وبدا عليه الانزعاج والغضب لأن شقيقه الصغير هاري ١٢ سنة استبعد تماماً من هذه الصور، وشاركته ديانا نفس الإحساس لأنها كانت كثيراً ما تعبر عن قلقها بشأن هاري الذي يعيش دائماً في الظل، وكانت تحاول محاربة هذا الوضع وتحاول بكل ما تستطيع إشراك الشقيقين معاً في نفس الأحداث. فهل هذا معناه أنها قالت نعم أو قبلت الزواج من عماد الفايد؟!! شيء في علم الغيب.

ثم طلبها الحبيب (عماد الدودي) في تليفون الفندق الداخلي وأخبرها بأنه اتصل بـ "آن كوكسون" وأن موعدهما معًا يوم الاثنين ١ سبتمبر (ولم يأت هذا اليوم عليهما)!! (أما آن كوكسون فهي الطبيبة الخاصة بعائلة الفايد (مسلمة) تبلغ من العمر (٥٧) عاماً وقد سألها الصحفيون عن أسباب هذا الموعد؟! ولكنها ولا كلمة ولا حرف، ثم سألوها هل ديانا كانت حامل فطلب منك التأكد بالكشف؟! وقالت: هذه أسرار زبائني وقد أقسمت قسم أبقراط!! ولكنها قال عبارات قليلة: أن الاثنين متوافقان معاً، وأن دودي رجل كريم.. إنه نوع من الرجال يحب حماية النساء المجروحات!!.ثم قرر لها دودي أنه نظراً لازدحام المصورين حول الفندق فإنه يفضل إلغاء العشاء بالخارج في باريس ويرى تناول العشاء داخل فندق ريتز الذي يمتلكه مُحَمَّد الفايد.

وبعد العشاء الهادئ الرومانسي تلقى دودي مكالمة تليفونية لا يعرف أحد عنها شيئا؟!، ولكنه طلب الرحيل على وجه السرعة؟!!.

عندما تبين أن المصورين مازالوا مرابطين أمام الفندق اقترح ريف جونز أحد الحرس القيام بمناورة تتمثل في أن تنطلق السيارة المرسيدس ٦٠٠

بسرعة كبيرة من أمام الفندق بسائق الفايد الذي يعرفه المصورون، ووراءها العربة رانج روفر لخداع المصورين الذين سيتابعون أيا من السيارتين.. بالفعل تابع عدد منهم السيارتين، ولكن هذه الحيلة لم تنطل على المصورين الذين كانوا يرابطون عند الباب الخلفي للفندق والذين رأوا سيارة مرسيدس أخرى طراز ٢٨٠- س تغادر الفندق بسرعة كبيرة وعلى متنها الأميرة وعماد الفايد وترينور الحارس، ويقودها هنري بول وقد تابعها عدد من المصورين واستطاعوا التقاط صور لمن بداخلها، وفي ميدان الكونكورد الشهير الذي يبعد قليلاً عن فدق ريتز، يبدو أن السيارة كانت متجهة إلى فيلا ويندسور بالقرب من حدائق بولوني وهو غير بعيد عن قوس النصر، وهي فيلا كان قد اشتراها الفايد، وكانت مقر إقامة دوق وندسور الذي تخلى عن العرش البريطاني بعد أن وقع في غرام مطلقة أمريكية وأصر على الزواج منها، وهي الفيلا التي كان يبدو أن الأميرة ديانا كانت ستعيش فيها عندما تجيء إلى باريس إن كان الله قد كتب لها الحياة، كانت هي تجلس وراء السائق وعلى يمينها عماد الفايد، والحارس إلى جانب السائق.

ولأن موتوسيكلات المصورين كانت إلى جانب السيارة في ميدان الكونكورد الذي تقف فيه المسلة المصرية، قام هنري بول بخرق إشارة المرور في الميدان متجهاً إلى نفق "ألما" بسرعة كبيرة.. وتشير تفاصيل التحقيق إلى أن السائق فقد سيطرته على العربة مباشرة قبيل دخول النفق حيث وجد آثار لاحتكاك الإطارات من جراء "الفرامل" على مدى ١٩ متراً وفقاً لشهود بعض السائقين الذي تجاوزهم العربة في سرعة شديدة والذين أدلوا بشهادتهم، فإن العربة كانت تزيد عن ١٤٠ متراً.

وتقول التقارير التي صدرت عن الشرطة الفرنسية أن السيارة انزلقت نتيجة السرعة الزائدة فاصطدمت بحوائط النفق وتحطمت بالكامل ولقي دودي مصرعه في الحال كما لقي السائق نفس المصير.. أما ديانا فنقلت على الفور لأحد مستشفيات باريس حيث توفيت بعد قليل من وصولها، وقد ألقت السلطات الفرنسية القبض على سبعة من المصورين كانوا يطاردون ديانا ودودي، وقد أعلنت وكالة الصحافة البريطانية النبأ رسمياً في الساعة الثالثة والربع فجر الأحد ٣١ أغسطس ١٩٩٧.

وقد توالت ردود الفعل على النهاية المأساوية للأميرة ديانا في كافة بلدان العالم كان أبرزها إعلان الملكة اليزابيث الثانية ملكة بريطانيا والأمير تشارلز ولي العهد عن حزنهما الشديد لوفاة ديانا، وشعور الرئيس الأمريكي بيل كلينتون بالصدمة والأسى العميق لوفاتها، كما تم تنكيس العلم البريطاني، وتولت السلطات الفرنسية تحقيقاتها حول ملابسات الحادث، وما إذا كانت هناك شبهة جنائية وراء الحادث خاصة مع الظروف المثيرة للشكوك.

ويذكر أن ديانا أحدثت صدمة للشعب البريطاني بعلاقاتها مع عماد الفايد ،وشنت الصحافة البريطانية هجوماً عنيفاً عليها قبل وفاتها بأيام لارتباطها بأجنبي – عربي ومصري مسلم – واقتراب إعلان خطبتهما ثم زواجهما والمخاوف من أن يكون للأمير وليام – ابن ديانا الكبير– والذي سيصبح ملكاً لبريطانيا في يوم من الأيام إخوة من أب أجنبي.

وفي يوم الاثنين ١ سبتمبر بدأت صحافة العالم في تحليل الحادث ونشرت جريدة الأهرام المصرية في عددها رقم ٤٠٤٤٦ أنها ورد لها من مراسلها في لندن وباريس ما يأتي عن الحادث:

وكان الحادث الأليم قد وقع في الساعة الواحدة والنصف بعد منتصف الليلة قبل الماضية بتوقيت جرينتش بعد خروجهما من فندق "ريتز" الذي يمتلكه آل الفايد، واستقل الصديقان سيارة للذهاب إلى فيلا الفايد بغرب باريس لقضاء الليلة، ولاحظ السائق، وبجواره أحد أفراد الحراس الخاص، أن المصورين يطاردونه، فزاد من سرعته إلى مائة كيلو متر محاولاً الهروب داخل نفق "ألما" الذي لا تتجاوز السرعة فيه حسب القانون خمسين كيلو متر، وفجأة فقد السيطرة على عجلة القيادة وانحرف بالسيارة مصطدماً بعمود أسمنتي في الجزيرة الفاصلة بين اتجاهي الطريق تحت النفق، وانقلبت السيارة وتحولت إلى كومة من الحديد أشبه بعلبة سجائر داستها الأقدام، وتوفي عماد والسائق على الفور، وأصيبت الأميرة بإصابات بالغة نقلت على أثرها إلى مستشفى لابيتي سالبتر بباريس بإصابات خطيرة، وفشلت محاولات إنقاذها، لتفارق الحياة داخل غرفة العمليات، كما أصيب الحارس الشخصي ولكن إصاباته غير قاتلة وأشارت التحقيقات الفنية الأولية إلى أن ديانا وعماد لم يستخدما حزام الأمان.

وألقت الشرطة الفرنسية القبض على "سبعة صحفيين للتحقيق معهم بتهمة التسبب في تحطم سيارة "ديانا وعماد" اللذين كانا يحاولان الفرار من كاميراتهم. وأكد شهود عيان أن الصحفيين كانوا يتعقبون السيارة بدراجات بخارية في محاولة لتصوير الأميرة وصديقها. وعندما حاول السائق الهروب، وقع الحادث فلقي عماد "دودي" حتفه على الفور، وأصيبت الأميرة بارتجاج في المخ ونزيف وكسور، وفشل الأطباء الفرنسيون، بعد ثلاث ساعات ونصف ساعة من الجهود المضنية، في إنقاذ الأميرة من براثن الموت. وقد

اعتدى بعض شهود العيان في مسرح الحادث بالضرب المبرح على أحد الصحفيين الذين كانوا يتعقبون الأميرة وصديقها.

وفي إجراء نادر الحدوث، كلفت السلطات الفرنسية الشرطة الجنائية في باريس – بصورة استثنائية – بالتحقيق في ملابسات الحادث، خاصة أن أحد شهود العيان أبدى شكوكاً في ملابسات الحادث، ووصفه بأنه يبدو للوهلة الأولى مدبراً، وقال في تصريحات صحفية لشبكة "سي. إن. إن" الإخبارية الأمريكية أن السرعة الجنونية التي سارت بها سيارة الأميرة، تؤكد أن الأمر لم يكن يقتصر فقط على تجنب التقاط صورة للأميرة وصديقها، لأن ذلك غير منطقي، لأنها صورة بلا معنى، ولن تزيد على مجرد صورة لرجل وامرأة في سيارة.

وفور ورود أنباء الحادث، توجه الأمير تشارلز ولي عهد بريطانيا وطليق ديانا لباريس، حيث رافق جثمانها، عائداً إلى بريطانيا، وبصحبته شقيقتها سارة وأوجيني. وفي الوقت نفسه قام مُحَمَّد الفايد بمرافقة جثمان عماد أكبر أنجاله إلى العاصمة البريطانية، حيث سيدفن في مقابر المسلمين هناك.

وقال توني بلير رئيس الوزراء البريطاني: إن بريطانيا كلها حزينة ومصدومة لفاجعة وفاة ديانا، التي وصفها بأنها كانت شخصية رائعة، وصديقة لكل شخص في العالم وليس بريطانيا وحدها.

أما أغرب ما نشر في الأهرام في نفس العدد فهو ما كتبه "أنيس منصور" وكاد يسبب مشكلة دبلوماسية وبخاصة حينما قررت الرئاسة سفر السيدة حرم الرئيس مبارك لتقوم بواجب العزاء في ديانا وعماد الفايد؛ فقد

نشر يقول في عموده "مواقف":

اغتالتها المخابرات البريطانية إنقاذاً للعرش، كما اغتالت المخابرات الأمريكية مارلين مونرو في مثل سنها؛ فلم يحدث ولا أيام كرومويل في القرن السابع عشر الذي نادى بالنظام الجمهوري أن استطاع إنسان أن يزلزل الأسرة المالكة كما فعلت الأميرة ديانا.

والمأساة بدأت بأن الفتاة الجميلة ديانا اكتشفت أن زوجها ولي العهد يخونها من أول يوم مع واحدة اسمها (كاميلا)، والحرف الأول من اسمها كالحرف الأول من اسمه، وهو موجود على زراير القمصان وعلى المناديل. ولم يكتف ولي العهد بذلك بل قال لها يوماً: "هل تعرفين من الذي اختارك زوجة لي بعد أن رفضتني أختك: إنها كاميلاً!!" إنها أصيبت في كرامتها، في كبريائها، ثم أنجبت ولدين أحدهما سوف يكون ولياً للعهد، وملكاً، وكان لا بد من طلاقها، ومن طلاق عشيقة ولي العهد، والكنيسة تقف ضد زواج الملك من امرأة مطلقة. إنها مشكلة عمة إدوارد الثامن، واعترف ولي العهد بأنه خائن وسوف يبقى كذلك.

وأقسمت الأميرة الجميلة أن تهدم الأسرة المالكة على أدمغة ولي العهد وأبيه وأمه، إنها قالت أكثر من مرة بعبارة شمشونية: علي وعلى أعدائي. وانتقلت من فضيحة إلى فضيحة بعد اعترافها هي أيضاً بالخيانة، واعتراف سكرتيرها وحراسها بأنهم ناموا في فراش الأميرة، ولم تنكر، وحاولت أن تثير شفقة الناس عليها.

ولكن عندما انتقلت إلى الزواج من مسلم يأتي لها بولد يكون اسمه

"مُحَمَّد" أو بنت يكون اسمها "فاطمة"، ويكون الولد المسلم أخاً لملك بريطانيا راعي الكنيسة، كان لا بد من حل. وجاء الحل بالقضاء على الأميرة وعريسها، وبذلك انتهى مسلسل الرعب للأسرة المالكة البريطانية، وانتهى عذاب أميرة عاشت في أسرة نبيلة مضطربة الأب والأم، ومرت بفترة شباب شديدة القلق، وحاولت البنت الحلوة الجمع بين الذهب والسلطة، بين العرش والشوارع والكباريهات والمحيطات والقارات. وبقدر حزن الناس عليها وعلى حياتها وموتها بقدر كراهية الناس لزوجها وأمه وأبيه، وفي الحزن على ديانا لن يذكر "دودي الفايد" إلا السبب الوجيه لفضيحة: ديانا جيت!"

وكان "أنيس منصور" أول من وضع يد المخابرات في دماء الأميرة وحبيبها، والغريب أنه جرى وراءه بعد ذلك جيش جرار من رؤساء وصحفيي المجلات المتخصصة، وأصبح تفسيره أحد التفسيرات الأولى في تفسير المؤامرة، ونقلت وكالات الأنباء والتليفزيون وكل ورقة مطبوعة في الأرض هذا التفسير الملهم الذي وصفه أنيس كتفسير لحادث السيارة، والذي عاتبه عليه وزير الخارجية المصري "عمرو موسى"

وتبنى العقيد القذافي رؤية أنيس منصور فاتهم المخابرات الإنجليزية بتدبير الحادث وطلب تسليم الفاعلين لليبيا لأن آل الفايد أصلهم ليبي قبل أن يهاجروا إلى الإسكندرية؟!! وكان بالطبع يريد أن يذكر العالم وبريطانيا بما سببته قضية (لوكيربي) لليبيا من مشاكل لسنوات حيث طالب المجتمع الدولي بتسليم الذين قاموا بإسقاط هذه الطائرة؟!

أما بغداد فقررت نفس الاتهام للمخابرات الإنجليزية لخروج ديانا من المألوف وتدخلها في السياسة بشأن إلغاء الألغام!!

ثم ثبت أن أنيس منصور كان مع الأستاذ عبد الله حسن مدير وكالة أنباء الشرق الأوسط في باريس، وذهب إلى فندق "ريتز" قبل الحادث بيومين، فما الذي عرفه وجمعه وجعله يسرع بإطلاقه ونشره؟!

وإذا كانت القاهرة أول من أطلق بالونات الشبهات حول مصرع ديانا، فإن هذه الشبهات لم تنته؟! فقد ظهر أن الأميرة كانت حاملا، ولكن الجهات الرسمية لا تجيب عن ذلك: لا الأطباء، ولا من قام بالتشريح، ولكن الصحافة تؤكد ذلك، أنيس منصور نفسه يقول كانت حاملا في الشهر الخامس!!

ولكن اتجاها آخر أعلى صوتاً يتهم الصحافة فقد قتلتها فلاشات المصورين، وكانوا السبب في إسراع السيارة وانحرافها أو تعديل مسارها ثم تصادمها وظهرت عبارة (اقتلوا الباباراتسي) ويقصد بهم المصورون والأصح أن يقال عنهم: المصوراتية.. الدبابير التي تطارد الضحية برذالة وقلة ذوق.. الاسم مأخوذ عن فيلم "الحياة الحلوة" أو الصحافة التي لا تهتم بالحياة الشخصية والخاصة فهي صحافة للفضائح وظهرت عبارة قانونية عن (حق الإنسان في الصورة) وأنه لا يجوز تصويري دون رضاي أو من وراء ظهري؟!

واستمر الجدل حول الشخصية العادية والشخصية العامة؟!؛ فهناك من يرى أن الذين قبلوا دخول عالم الأضواء يجب أن يقبلوه قبولاً كاملاً بكل ما له وكل ما عليه، فليس من المتصور أن يكون سعيهم نحو أجهزة الإعلام حثيثاً حين يريدون، وأن تكون شكواهم منه حين يتعرضون للنقد، الشهرة لا تتجزأ، إنها ليست رداءً نرتديه حين نريد ونخلعه حيث نشاء، كما أن هناك فريقاً آخر يتناول القضية من زاوية أخرى يرى فيها أن الشخص العام – شأنه شأن غيره – يحتاج إلى احترام لخصوصيته والتركيز فقط على الجانب

الذي يمس طبيعة عمله أو يؤثر في أدائه له.

فحين يتصل الأمر بالمال العام، أو احترام التقاليد الاجتماعية المرعية، فإن الأمر هنا يختلف لأن الذي قبل الدخول من البداية في الحياة العامة يجب أن يعلم مسبقاً أنه لم يعد ملكاً لذاته وحده إذ أنه قد قبل طواعية مشاركة العامة في الحكم على فكره وسلوكه.

ولأن الشبهات تعددت والأمر تشعب في مصرع (ديانا ودودي) فلنسترح قليلاً، ولنتتبع هذه الشبهات والنظريات على مهل حتى لا نظلم القضاء والقدر أو نستدعي جيمس بوند – العميل رقم "٧" – بلا داعي، وهذا يتطلب منا معرفة مسرح الجريمة وتوقيتات الإبلاغ ونوع الإصابة وفحص السيارة وأقول الشهود والتقارير الطبية وما الذي تقوله جهات البحث الجنائي وتقارير المخابرات؟!! فالسيارة التي تحطمت كانت قد سرقت قبل الحادث بأسبوعين؛ فمن سرقها! ثم أعيدت للفندق؛ فمن أعادها؟! ثم ما الذي يمكن أن يكون قد تغير وتبدل بداخلها؟! وإذا كان فمن الذي غيّر وبدل وسرق؟! وقد تبين أن السيارة ليست مملوكة للفندق أو لآل فايد، ولكنها لشركة تؤجر السيارات، وإنها بالفعل سرقت في أبريل ١٩٩٧ ولكن عند عودتها تم استبدال جميع قطع الغيار المسروقة ثم خضعت بعدها لفحص فني رسمي وتبين أنها قد سرق منها بعض قطع نظام (ABS) وهو نظام للفرامل يسمح للإطارات بالتوقف بالسيارة دون الانحراف يميناً ويساراً.

ولكن مندوب شركة مرسيدس قرر بأن الشركة المؤجرة اشترت هذه الأجزاء بالفعل ودفعت مبلغ ١١٠ ألف فرنك سويسري، وحينما طالبت

جهات التحقيق الفحص الفني كتب في تقريره أن جميع أجهزة السيارة سليمة وأن السرعة الفائقة هي السبب في الحادث الذي أدى إلى اصطدام السيارة بالعمود.

أما السائق، وهو المتهم الأول، ولكنه متهم لن يدفع الثمن لقد دفعه مقدماً ومات! فلا يعرف حتى الآن من الذي طلبه لقيادة السيارة، وبخاصة أنه لا يحمل الترخيص الخاص بقيادة الشخصيات المهمة؟! ثم أنه قد ثبت وجود مادة "بروزاك" في دمه وهو مهدئ يحظر الأطباء تعاطيه مع الخمر لأنه يسبب النعاس؟! بل أنه تبين أن الكحول بجسده بنسبة تزيد ثلاثة أضعاف على النسبة التي يحظر فيها القانون قيادة أي سيارة؟! فهل هناك أيدٍ خفية وضعت شيئا أصفر للسائق؟!

ولكن سرعان ما تبين أن صاحب خطة "المرسيدس ٦٠٠" هو دودي نفسه وأن السائق "هنري بول" هو من أقرب الناس إلى ثقة آل الفايد وأنه طلب بالاسم وخصيصاً للتمويه على الصحفيين الموجودين خارج الفندق فقد استقل الاثنان سيارة مرسيدس ٦٠٠ عند منتصف ليل الأحد ٣١ أغسطس، وغادرا الفندق في طريقهما إلى قصر دوق وندسور، الذي اشتراه الفايد أيضاً.. وإمعاناً في الحرص، قاد سيارة دودي رئيس أمن الفندق، بينما خرج سائقه المعتاد من الفندق بسيارة أخرى للتمويه وتضليل الفضوليين الذين فوجئوا بعدة سيارات ليموزين سوداء كالتي يفضلها دودي تنطلق كل في اتجاه للتعمية، وبالرغم من هذه الاحتياطات لحق بالسيارة سبعة مصورون، ستة منهم فرنسيون وواحد مقدوني، كل على موتوسيكله، وعندما تنبه دودي وديانا طلبا من السائق الإسراع للوصول إلى القصر الواقع في الحي

السادس عشر بباريس، أرقى أحياء العاصمة الفرنسية، وأخذا الطريق المحاذي لنهر السين، ويبدو أن السائق فقد السيطرة لثوانٍ ربما لثانية.. قيل أنه مخمور فدخل بالسيارة في عامود خراساني داخل نفق كوبري ألما، وأدى عنف الصدمة إلى ارتطام السيارة بجدار النفق وانقلابها عدة مرات.

ومرور الأيام والبحث والتحري بدأت صورة "هنري بول" سائق السيارة القتيل تتضح وتتبلور بعد أن كانت مهزوزة لدى المحققين والرأي العام.. لقد تم فحص دمائه ثلاث مرات وكل فحص أكد أن نسبة الكحول في دمائه وصلت إلى ١.٧٥ جرام بالإضافة إلى وجود عقار "البروزاك"، وهو دواء يعالج الاكتئاب، وجاء في التحاليل أيضاً وجود آثار لدواء مهدئ للأعصاب!!.. والغريب أنه من ناحية أخرى أكدت تقارير التشريح خاصة تشريح الكبد أن "هنري بول" لم يكن مدمناً للكحول!!

لقد كان "هنري بول" الذي يعمل رئيساً للأمن بفندق "ريتز" بفرنسا من الأشخاص محل ثقة لدى أسرة الفايد فهو يعمل لديهم بإخلاص منذ عام ١٩٨٦، نفس هذا الرجل الذي يعشق الطيران قبل الحادث بيومين فقط خضع لكشف طبي كامل من أجل تجديد رخصة كفاءة "إي.. إف.. آر" والتي تمكنه من الطيران السياحي..

والسؤال المطروح المثير للجدل هو: كيف يتم تفسير وجود نسبة كبيرة من الكحول والمهدئات في دمائه بعد الحادث؟! يقال إن "هنري بول" قد تغير تماماً عقب انفصاله عن صديقته "لورانس" التي عاش معها خمس سنوات – بين عامي ١٩٩٠ و١٩٩٥– حتى أن "الشيب" ضرب شعر رأسه فجأة نتيجة لحزنه على فراق "سامنتا" ابنة صديقته التي كان يعتبرها

ابنته.!! لقد قرر له الطبيب قبل الحادث بعدة شهور بعض الأدوية المهدئة التي تعالج الاكتئاب ليواجه بعضاً من مشاكله الخاصة والتي لا يفصح عنها بسهولة!! جاء ذلك على لسان أحد الشهود المقربين من هنري بول...

يجب أن نعرف ما فعله "هنري بول" ليلة الحادث وقبل أن يتم استدعاؤه لفندق "رينز"؟! وقد جاء في التحقيقات أن رئيس الأمن ترك "عماد" و"ديانا" في تمام الساعة السادسة مساء، واعتقد أنه حر ولن يعود للعمل مرة أخرى هذه الليلة، ولكن في تمام الساعة العاشرة إلا الربع شاهدته صاحبة "البار" الذي يبعد عن منزله بحوالي عشرين متراً يخرج من منزله مرة أخرى وهو في كامل أناقته.. وفي الساعة الحادية عشرة مساء وطبقاً لشهادة الشهود تناول "هنري بول" كأسين من "الريكار" في بار بمنطقة الفاندوم، بعد ذلك شوهد وهو يتناول كأسين آخرين من الويسكي "شيفاس ريجال" في بارثان!! ولكن ماذا فعل بين الساعة السادسة والساعة العاشرة إلا الربع؟.. هذا هو السؤال المحير والذي أصبح مجالاً جديداً لفريق الشرطة المكلف بالتحقيق في هذه القضية.

يبقى اتهام المصورين أو سارقي الصور أو (البابارتسي). فما الذي فعلوه وجعلوا عماد الفايد يأمر بالإسراع؟! مع أن أي صور تؤخذ من السيارة لن يكون لها ما للصور التي أخذت في "مجموع القبلة" فديانا بالفستان وليست بالمايوه ودودي بالبنطلون ومعهما سائق وحرس؟! هل الفلاشات الشديدة جعلت السائق لا يرى؟!

ويتبين أن الصحفيين قد تعقبوا السيارة حتى ميدان الكونكورد من واقع الصور التي التقطت حيث صادر البوليس ١٢ فيلماً. ولم يثبت أنهم

استطاعوا مواصلة السير بجوار السيارة لسرعتها الشديدة. وأنها سبقتهم داخل النفق (٨١ نفق ألما) حتى أنه بعد ثلاثة أسابيع من التحقيقات استبعد فرق التحقيقات أن يكون السبب الرئيسي للحادث مجموعة المصورين الذين كانوا يلاحقون السيارة بعد أن كانت تهمة "القتل غير العمد" موجهة لهم!!

ويأتي دور الشهود؛ فما الذي قالوه؟ ما هي تصوراتهم عن الحادث؟! وقد تمكنت صحيفة الجارديان البريطانية من الحصول على شريط تسجيل للمقابلة الأولى التي أجريت مع تريفور ريس جونز الحارس الشخصي للأميرة ديانا وهو الشخص الوحيد الذي نجا من حادث النفق "وهو الشاهد الأساسي".

استغرقت المقابلة التي جرت في مستشفى بيتيه سالبترييه الجمعة "٢٢ أغسطس ١٩٩٧" خمس عشرة دقيقة بين المحقق الفرنسي والحارس جونز وحين سأله المحقق:

– هل تتذكر أنك غادرت شارع كامبو؟

– أذكر أنني ركبت السيارة المرسيدس فقط

– هل تتذكر أي شيء بخصوص الحادث؟

– لا

– هل تتذكر ما حدث قبل وقوع الحادث؟

– حين وصلنا إلى فندق ريتز كان هناك عدد كبير من المصورين.. هذا الأمر ضايق الأميرة ديانا وعماد الفايد، طلبت من المصورين إفساح المكان قام عماد بتغيير البرنامج وقررنا الخروج من الباب الخلفي للفندق كان هناك

عدد أكبر من المصورين.

– هل تذكر أي شيء عن رحلة المرسيدس الأخير؟

– أذكر أننا كنا متابعين من أشخاص هذا كل ما أذكره؟

– أين كنتم ذاهبين؟

– إلى شقة عماد

– هل تتذكر من كان يطاردكم؟

– نعم موتوسيكلات وسيارة لا أذكر الطريق الذي سلكناه يبدو أن السيارة كانت بيضاء وكان صندوقها الخلفي مفتوحاً.

– هل تتذكر من الذي استدعى هنري بول وكيف تم ذلك؟

– عماد الفايد هو الذي استدعى هنري بول ليقود المرسيدس من الباب الخلفي لفندق الريتز.

– لماذا؟

– لأن عماد هو الذي غير البرنامج، لا دخل لي في ذلك؟

– البرنامج الأصلي؟

– كان المفروض أن نغادر من الباب الأمامي للريتز، ويتم ذلك في سيارتين لنحول بين الأميرة ودوي وبين المصورين رأيت أن هذا شيء مفيد.

– هل تعرف ميدان الكونكورد؟

– هو يقع بعد فندق الريتز؟

– لا.. ميدان الفاندون هو الذي يقع بعد فندق الريتز. هل تذكر من كان أقرب إلى المرسيدس الدراجات النارية أو السيارة التي ذكرتها؟

– لا أتذكر.

– هل تغيرت مواقعهما أثناء الرحلة؟

– لا أعرف

– إذن السيارة كانت تلاحقكم حين غادرتم الريتز؟

– نعم

– هل أخذ المصورون صوراً لكم؟

– لا أدري

– هل كانت سيارة خلفكم؟

– حين غادرنا الفندق قطعت الطريق ثم بعد ذلك تابعتنا من الخلف

– هل تذكر إن كانت سيارات أخرى لاحقتكم؟

– كانت هناك عربة جيب ودراجتان ناريتان وسيارة ذات ثلاثة أبواب سوداء اللون.

– كيف تصرفت الأميرة ديانا وعماد حيال المصورين؟

– احتمى كل منهما بالآخر لم يكونا سعيدين بالمطاردة.

– كيف كانت حالة السائق هنري بول؟

– كان يبدو في حالة طيبة

– بخصوص الحادث لا تتذكر أي شيئاً؟

– لا أتذكر شيئاً

فهل كان دودي يناديه قدره، لقد غير خطة الأمن، واستحث السائق على الإسراع بل هو الذي استدعاه من راحته وطلب منه القيادة؟! جعل خطة المغادرة سيارة واحدة "مرسيدس" من نوع مختلف عن سيارات آل فايد "الليموزين" رغم أهمية سيارة الحراسة الأخرى للتصدي لأي هجوم أو على الأقل لتحول بين الأميرة ودودي والمصورين كما قال "تريتور ريزجونس" حارس ديانا. أم أن هناك جهات جعلت "عماد الفايد" يعيش في رعب واضطراب بحيث لا يأمن لأحد على شيء ويطلب التدخل في كل شيء؛ فبعد مرور الوقت على الحادث نشرت مجلة "لونوفود كتيف" تقول تحت عنوان "اغتيال ليدي ديانا": إن عماد "دودي" كان مراقباً بواسطة المخابرات البريطانية التي كانت تتبعه في كل مكان، وكان يعرف أن حياته معرضة للخطر، حيث تلقى تهديدات بالقتل بسبب دخول علاقته مع ديانا منعطفاً جديداً، أثار قلق المخابرات وأوضحت أن عماد الفايد كان ينتقل باستمرار ولا يقضي سوى ليلة واحدة في المكان الواحد، حتى يفلت من قبضة الرقابة عليه، وتجنب احتمال تعرضه للاغتيال.

وأضافت المجلة أن شهوداً موثوقًا فيهم أكدوا أنه تلقى قبل ساعة من الحادث، مكالمة تليفونية أثارت توتره الشديد، قرر بعدها مغادرة الفندق، وفسرت المجلة ذلك بأن المتحدث أبلغه بقرب وقوع شيء ضده. وقالت المجلة إذا كنا لا نستطيع أن نثبت أن المخابرات هي الفاعل المادي الحقيقي فإننا نستطيع أن نقول إنها "الفاعل المعنوي"؟!! فقد جعلوه أي "عماد الفايد" يغير

السيارة والسائق ليصبح بلغة البوليس هدف في العراء" وبخاصة بعد ما نشرته مجلة "فرانس ديمانش" من أنه تكشف أن عملاء المخابرات البريطانية كانوا موجودين بفندق "ريتز" ولم يعرف ذلك إلا بعد وقوع الحادث بأسبوع!!

بقي أن نصف المكان وخط السير!! ولكن ما أعلنته السلطات الفرنسية يغنينا عن هذا فقد أكدوا أن النفق "٨١- ألما" مصمم وفق أحدث النظريات بحيث يكون احتمال حدوث حوادث مرورية عند الحد الأدنى، وأن حادث الأميرة ديانا هو الأول من نوعه داخل النفق!!

ولكن لا بأس من ذكر "أن الركب سار باتجاه أسوار حديقة تويلري الشهيرة ثم إلى ساحة الكونكورد بعد الانحراف يميناً. ثم أخذ النفق الذي يؤدي في النهاية إلى كوبري "المارسو" أو الكوبري رقم "٨".ثم توالت الشبهات من أن هناك فاعل، ولكنه مجهول؛ فبعض الشهود أكدوا وجود سيارة والبعض الآخر أكد وجود موتوسيكل اعترض مسار السيارة وهي تجري بسرعة مما أثر على السائق وأدى إلى اختلال توازنه وسيطرته على عجلة القيادة؟!!

من جهة أخرى تبحث الشرطة عن سيارة فيات "أونو" تم العثور على حطام فانوسيها الخلفيين على بعد عشرات الأمتار من العامود الخرساني الذي اصطدمت به السيارة المرسيدس التي كانت تقل ديانا والفايد، وقريباً من حطام زجاج الفانوس الأمامي للمرسيدس.. ويثور التساؤل حول ما إذا كانت السيارة الفيات قد اصطدمت بالمرسيدس أم أنها ارتطمت بسيارة أخرى قبل حادث ديانا والفايد، هناك أيضاً شاهد استمع إليه القاضي ستيفان قال إنه لاحظ بعد ما ركن سيارته إثر وقوع الحادث مباشرة بجوار الفندق، شخصاً بالغ الأناقة يخرج من سيارة صغيرة داكنة اللون، ويشير إلى

أشخاص آخرين بمغادرة المكان، ثم استقل هذا الرجل الأنيق الأشقر سيارة وانطلق مغادراً موقع الحادث.

هذه الشهادة تأتي تأييداً لما قاله المحامي البريطاني جاري هانتر كان يقضي أجازة في باريس وسمع من غرفته بفندق في شارع جان جوجان في باريس والذي يبعد نحو مائة متر عن نفق الألما دوياً هائلاً، فاتجه إلى النافذة ورأى الناس يهرولون باتجاه النفق وبعدها بثوان شاهد سيارة صغيرة داكنة اللون تغادر بأقصى سرعة وتدخل في الشارع المحاذي لشارع جان جوجان حيث فندق إقامته، وأنه أبلغ محامي عائلة الفايد بما رأى، وقال إن شعوره كان أن ركاب السيارة الصغيرة حاولوا الهرب من موقع الحادث، وبدورها أبلغت عائلة الفايد الشرطة الفرنسية بشهادة المحامي البريطاني الذي لم يوضح إذا ما كانت من طراز فيات أونو أم رينو وأضاف من جهة ثانية أن سيارة مرسيدس بيضاء كانت تتبع السيارة الصغيرة الهاربة.

وفي إطار مسألة "السيارة الصغيرة داكنة اللون" أكدت سكرتيرة بريطانية تعيش في باريس اسمها براند ويلز إنها كانت تقود سيارتها قبل الحادث عندما اضطرت إلى التوقف لإفساح الطريق لسيارة صغيرة داكنة ومعها موتوسيكلان دخلوا جميعهم نفق الألما. الأمر الذي جعل فريق التحقيق الفرنسي لديه يقين من وجود سيارة مجهولة اصطدمت بالمرسيدس المنكوبة، وظهر ذلك من تحليل قطع الزجاج الموجودة بمسرح الجريمة، ومن تحليل لون الطلاء الذي وجد أثره على رفرف المرسيدس الأيمن!!

وقبل الدخول إلى شبهة أن الحادث مدبر وليس قضاءً وقدرًا، وأنه قد تم بطريقة المحترفين وعلى أسلوب "جيمس بوند" نسأل لماذا تتدخل

المخابرات؟! فهل قبلت فعلاً ديانا الزواج من دودي؟! أم أنه رجل مثل الآخرين في حياتها كلهم أثرياء وينفقون ببذخ، ثم أنها ليست في حاجة إليه كما قالت إنها بعد طلاقها أصبحت مليونيرة بثروة ٣٢ مليون جنيها إسترلينيا!! هل أعلنت إسلامها؟! هل كانت حاملا في طفل من عماد الفايد؟! هل اعتبرت الملكية غرامها الجديد تخطى للخط الأحمر لآل فايد؟!

وبادئ ذي بدء جثة الأميرة ديانا لم تشرح بفرنسا لأسباب سياسية؛ فقد أسرع ولي العهد الملك تشارلز إلى فرنسا قبل حدوث ذلك، أما ما أوردته مجلة التايم الأمريكية حول حمل الأميرة فلم تؤكده أي مصادر طبية في مستشفي "لابيتي سالبتريبه" ولم تعلق عليه جهات الطب الشرعي البريطانية، وإنما قالت: أن النتائج سلمت للقضاء ولجهات التحقيق. ولكن عندنا ما نقلته جريدة الدستور "القاهرية" من أن المخابرات الفرنسية قد أعلنت أن ديانا ماتت وهي حامل في الشهر الثاني من عماد الفايد!! ويرى أنيس منصور أنها في الشهر الخامس؟!!

أما ما قيل من أنها أشارت إلى بطنها داخل المستشفى طالبة الحرص على جنينها أو أنها "لقنت أحد الموجودين وقت الحادث بكلمة في أذنه يقولها لمحمد الفايد ما في بطني أنت جده" فهي تكهنات وحوارات شعبية لا يوجد لها أي مصدر رسمي معلن!! فلقد انفجر الشريان التاجي وماتت ديانا!! وتركت الهلات الثلاثية: قبلت الزواج من دودي وقلت نعم!! أسلمت، كانت حاملًا في طفل جده مُحَمَّد الفايد الكبير؟!!

فإذا افترضنا نعم للاحتمالات الثلاثة .. فلماذا القتل في سيارة، وليس على طريقة المخابرات، السم الذي بلا أثر "الأوكونتين"؟!

الإجابة أنها تريد أن تصطاد عماد والأميرة وحارسها مرة واحدة!!

ونضع هذه المعلومات متتالية لتجيب على الأسئلة المهمة التي تجعل تدخل المخابرات محتملا:

١- قالت جومانة أخت عماد الفايد في حديث لها أن دودي وديانا حددا أول أكتوبر ١٩٩٧ ليكون موعداً لزواجهم.

٢- في حياة الأميرة ديانا طبيب جراح باكستاني مسلم هو "حسنات عمر خان" ويقال إنها وجدت لديه دفئاً عاطفياً لم تشعر به من قبل وظهرت معه في كل مكان مما دفع الملكة إليزابيث أن تعلن رفضها لهذه العلاقة وتهددها بعدم رؤية أبنائها إلا في أضيق حدود.

٣- نقلت صحيفة "ذانيشن" الباكستانية عن إمام المسجد الملكي بلاهور تأكيده أن ديانا كانت تحب الحضارة الإسلامية وتريد اعتناق الإسلام. وقال إمام المسجد الشيخ عبد القادر أزاد أن ديانا أبلغته أنها سوف تعتنق الإسلام خلال زيارتها للمسجد عام ١٩٩١ حيث كانت تغطي رأسها "بإيشارب" أسود.

٤- صديقات ديانا أكدن أنها كانت تعتزم تغيير أسلوب حياتها بشكل جذري بعد زواجها من رجل الأعمال المسلم عماد الفايد الذي كان من المقرر إعلانه في أوائل سبتمبر الحالي. حتى الصحف البريطانية، أشارت إلى اتجاه ديانا في أيامها الأخيرة نحو الإسلام وروح الشرق كوسيلة للهروب من الضياع..

ويبقى السؤال الحائر: هل دفعت ديانا حياتها ثمناً لهذا الموقف؟ لقد كان

من شأن اعتناق ديانا للإسلام أن يثير أكثر من مشكلة في بريطانيا أهمها أن ابنها الأمير ويليام كان سيصبح عند توليه العرش هو رأس الكنيسة البريطانية. وفي نفس الوقت، كان أبناء ديانا من عماد الفايد سيصبحون أخوة مسلمين لملك بريطانيا البروتستانتي! وكانت ديانا، بعد إسلامها، ستصبح هي الملكة الأم للجالس على العرش البريطاني؟

على سيقان النساء كتبت "شيلي ونترز".. مذكرات هوليود

في القول المأثور"إن لم تستح فافعل ما شئت"، ربما كان المعنى المقصود في هذا المثل قد صيغ بكل لغات الدنيا؛ فالحياء سمة إنسانية لها لفظتها الدالة عليها في كل لغة.. وقد يتصور المرء أن الحياة مسألة نسبية لها سقوفها التي ترتفع وتتسع في مجتمعات عن غيرها، لطبيعة اختلاف العادات والتقاليد والأعراف في المجتمعات عن بعضها، ولكن لا بد وأن هناك نقاط التقاء لا تباين عندها ولا اختلاف يستطيع المرء إزاءها – أيًا كان موقعه من الدنيا – أن يقول "هذا فعل مجرد من الحياء" مثلاً: لم نر قط مجتمعًا إنسانيًا مهما تعرى وتجرد، يظهر فيه الناس لبعضهم دون ساتر لأعضائهم التناسلية! ولا يتقبل الحياء الإنساني فكرة أن تسرد امرأة وبلسانها سردًا مكشوفًا صريحًا لعلاقاتها الجنسية ونهمها الجنسي، وشخوصا محددة حبكت تلك المرأة خططها من أجل مواقعتهم جنسيًا!

ومع ذلك حدث بالفعل أن فاهت امرأة، بل دونت مغامراتها الغرامية والجنسية في صورة مذكرات لحياتها.. حدث هذا في أمريكا، والمرأة هي "شيلي ونترز" وقالت هذه سيرة مكتوبة لمدينة السينما، سيرتها فيها أو ذكرياتها مع التمثيل..

قالت شيلي ونترز:"قررت أنا و"مارلين مونرو" أن يكون لنا الحق في اختيار الرجل الذي نريده، ثم التخلص منه في الوقت الذي نريده أيضًا". وقد عقبت "مارلين مونرو" على ذلك قائلة: "يعني هذا أن نقوم نحن

باصطياد الرجال بدلاً من أن يقوموا هم باصطيادنا" وكانت لعبة جديدة ومثيرة، فأعددنا على الفور قائمة بأسماء الرجال الذين خطروا لنا، ولم تكن القائمة تضم الممثلين والمخرجين فقط، بل كانت تضم سياسيين وموسيقيين وعلماء وأدباء، كما كانت تضم رؤساء جمهوريات وجنرالات ومدربي حيوانات ورجال أعمال، وكان المهم في هذا أن يكون الرجل جذابًا ونشتهيه لسبب أو لآخر!

المهم.. أعدت كل منهما قائمة على حدة بأسماء الرجال الذين تشتهيهم، وكانت القائمتان مختلفتين، فقد اختارت شيلي ونترز النجوم الذين حلمت بهم في طفولتها وصباها، أمثال: كلارك جيبل، جيف شاندرلر، لورانس أوليفيه، جيمس ماسون، كاري جرانت. أما مارلين مونرو فقد اختارت:"شارل بواييه، جين رينوا، جون هوستون، إيف مونتان، همنجواي، آرثر ميلر". وكان من الغريب أن مارلين مونرو اختارت أيضًا "ألبرت أينشتين" فقالت لها شيلي ونترز مستغربة ومندهشة: كيف تختارين أكبر علماء هذا القرن؟ إن آينشتين صاحب نظرية النسبية رجل بعيد المنال، ثم إنه عجوز.. وكان جواب مارلين غريبًا أيضًا، فقد قالت: أعرف أن صحته جيدة رغم تقدمه في العمر.

تقول شيلي ونترز في مذكراتها، إن السر في شهرتي ونجاحي يتلخص في كلمتين صغيرتين هما: جسدي ووجهي، وهذه حقيقة لا أشعر بأي خجل في تأكيدها.. وأضافت: كما أنني ممن يعنيهن أن تكون ملابسهن ذات مقاسات معينة، ولست في حاجة إلى هذه المقاسات لإبراز مفاتني، ذلك أن صدري وحده كفيل بضبط أي فستان أرتديه، كما أن لدي ولع شديد

بارتداء الملابس الخفيفة سواء كان ذلك في عملي أو حياتي الخاصة، وأود أن أكون صريحة للغاية، فأذكر أنني لا أستخدم عادة الملابس الداخلية مثل مشد الصدر والكورسيه، وعلى كل من يشك في هذا الأمر أن يسأل الرجال المقربين مني.. كما أنني أكره الجوارب مهما كانت ولا أحب استعمالها..

وفي حفلة توقيع مذكراتها سأل أحد الصحفيين عن السبب الذي من أجله لا ترتدي الجوارب، كما تقول بمذكراتها، فأجابته بأن أشارت إلى ساقيها وهى تضحك ثم سألته: "ألا تحب أن تنظر إلى هاتين الساقين؟!"

وعندما سئلت عن سبب قلة الإقبال على أفلامها عن ذي قبل أجابت: "السبب في ذلك هو أنهم أرغموني في بعض الأفلام على الظهور بملابس كاملة، وبذلك بدوت بصورة تخالف طبيعتي، وعدم الإقبال من الجمهور على أفلامي لا يقلقني أو يزعجني، لأنني أعرف السبب في هذا، كما أنني أعرف أيضًا العلاج وهو علاج سهل هو؟.. أن أسارع بخلع ملابسي!

لقد كشفت شيلي ونترز في مذكراتها الفاضحة التي نشرتها في كتاب عن أسماء عشاقها العديدين، فذكرت: مارلون براندو الممثل المعروف، وبيرت لانكستر، ووليم هولدن، وفرانك سيناترا، وإيرول فلين، وغيره وقالت لهم قبل النشر: "أريد دولارات، لقد أكلتموني وأنا صغيرة وبعت لحمى مجانا لكم من أجل دور صغير، والآن وقت الحساب. إما الدفع أو النشر والفضح وحكاية الحكاية وعدم السكوت عن الكلام غير المباح"، ودفع البعض ولم يدفع البعض الآخر، وقررت نشر الغسيل القذر فعن علاقتها بمارلون براندو

قالت:"كان مارلون شابًا قويًا وعبقريًا يتحدث الجميع عن دوره البارع في مسرحية "عربة اسمها اللذة" التي كتبها تينسي وليامز، وعرضتها مسارح برودواي في ذلك الحين، وكنت حريصة حينذاك على مشاهدتها لكني كنت مشغولة ببعض الأعمال الفنية، ولم يكن لدي الوقت الكافي للذهاب لرؤية مارلون براندو حتى جاءتني الفرصة ذات ليلة فكان حقًا رائعًا وهو يقف على خشبة المسرح يهمس ويهمهم تارة ثم يصرخ تارة أخرى فيبعث بالحياة في أرجاء المسرح كله.. ليلتها تعرفت عليه ودعاني للعشاء في شقته الخاصة التي يشاركه فيها صديقه "والي كوكس"، ولم أتردد وذهبت معه إلى هناك.. وفي الداخل كان البرد شديدًا ووسائل الراحة والتدفئة متواضعة، وعندما طلب مني مارلون أن أخلع معطفي قلت له إنني أفضل الاحتفاظ بدرجة حرارتي.. كان العشاء متواضعًا للغاية، وكان الرجل بخيلا معى ولكن الحديث كان ممتعًا، وقد بقينا في غرفة نومه نشرب الخمر ونتحدث حتى لاح نور الفجر دون أن أدري، فقد كنت منتشية تمامًا وسعيدة بهذه السهرة التي تمت دون اتفاق سابق، ولكني لاحظت أن "ولي كوكس" قد أغلق الباب المتحرك الذي يفصل حجرة النوم التي نجلس بها عن حجرة الجلوس؛ فأخذ قلبي يدق واختلطت في داخلي مشاعر القلق والرغبة..

وعندما سألت مارلون عن السبب في إغلاق الباب قال: (لكي يشيع الدفء)، ثم استطرد قائلاً في عذوبة (ولكني أعترف لك بأن الدفء الحقيقي في هذه الحجرة هو في سريري.. إن جسدي هو مصدر الطاقة الوحيد هنا وهو يبعث قدرًا كبيرًا من الحرارة والنشوة) وكان الرجل على حق تمامًا، فإن دوره في المسرحية كان يوحي بقدرته الجنسية، ولكني أعترف بأن حقيقته

كانت أروع من الخيال"!.

أما عن علاقتها بـ"إيرول فلين"الممثل المعروف، فقد قالت:"جاءتني "إيفون دي كارلو" وهي ترتدي ملابس الحريم التي كانت تصور بها فيلمًا من أفلامها الشهيرة ثم همست في أذني قائلة: (إني مكلفة بدعوتك لحفل عشاء رائع مساء الجمعة القادم وسوف أكون معك، وسيكون هناك كلارك جيبل، أما الذي يدعونا فهو إيرول فلين الذي كان يراقبك باهتمام شديد، وهو بصراحة معجب بك، وقد توسل إليّ أن أقنعك بقبول دعوته).

ولم يكن هناك ما يدعو لكل هذا الإلحاح فقد كنت جاهزة تمامًا لمثل هذه الدعوة. وفي اليوم المحدد ذهبت مع إيفون إلى الفيلا الأنيقة التي يمتلكها إيرول فلين في هوليود هيلز، كان كلارك جيبل هو الذي فتح لنا الباب، فأذهلتني المفاجأة وارتبكت وكدت أن أقع على الأرض لولا أن تلقفني كلارك بين ذراعيه.. وكانت هذه بداية رائعة جعلتهم يسألونني عما إذا كنت قد تعمدت تلك الحركة أم لا؟.. قلت لهم إنني أميل إلى المداعبة والمرح، وكنت أعلم مقدمًا من الذي سيأخذني بين ذراعيه.. وحين بدأ الشراب، دعاني إيرول فلين لمشاهدة فيلم سينمائي جديد وتقدم مني يحيطني بذراعيه ويضغط بهما ليجذبني نحوه بحجة أنه يقودني إلى مكان الفيلم، ولكن إينون دي كارلو استأذنت في أن تذهب أنا وهي إلى الحمام، وهناك سألتني: (أي الرجلين تريدين؟) قلت لها: وهل لي أن أختار؟.. قالت: (إن إيرول فلين يشتهيك وسوف أستسلم أنا لكلارك)".

كانت رائحة إيرول فلين تثيرني ولابد أنها كانت تثير أي امرأة أخرى، ولم أستطع أن أعرف هل هي العطور التي كان يستخدمها، أم أنه الصابون، أم

رائحة جسده الممتزجة بكل هذا هي التي فعلت بي ما فعلته.. واكتشفت أنه لم يكن هناك فيلم يستحق المشاهدة، وإنما كانت هناك الحركة الشهيرة التي عرف بها إيرول فلين وهي الضغط على (زرار) فينشق الحائط عن سرير ضخم مريح به تليفون وبار ومجموعة من الصور العارية وراديو وأزهار، وفوق السرير كانت توجد مرآة ضخمة يرى فيها من يستخدم السرير كل شيء.. ونظرت حولي فوجدت كلارك جيبل غارقًا في قبلة طويلة يحيط بها عنق إيفون دي كارلو، بينما كانت يد إيرول فلين تتسلل إلى جسدي.. ولما فرغ إيرول فلين وكلارك جيبل وانتهت السهرة استأذن الجميع، ولكن إيرول فلين جذبني من يدي ملحًا عليّ في البقاء، وتركتني إيفون بعد أن أخذت معها كلارك جيبل، وقالت لإيرول فلين قبل أن تخرج وهي تغمز بعينيها (تذكر أن شيلي سوف تذهب إلى الاستديو في السادسة صباح الاثنين) ولم أفهم شيئًا مما تعني.. فقد كنا يوم الجمعة.. ولكني عرفت بعد ذلك أن إيفون كانت تقصد أنني سوف أنسى وأغرق في جسد إيرول فلين حتى الجمعة التي تليها فأرادت أن تنبهني إلى موعد يوم الاثنين!!

والحقيقة أنني قضيت شهر عسل كاملا ذقت فيه طعمًا للرجال لم أعرفه من قبل، وبدأت أعذر الفتيات الصغيرات والنساء الناضجات حين يتهافتن على إيرول فلين.. إنه نموذج متكامل للرجل بجسده القوي ورائحته التي لا تقاوم".

ومن ذكرياتها عن علاقتها بالمثل الشهير برت لانكستر، ذكرت هذه الواقعة الغريبة:"لقد ظلت ذكرياتي مع برت لانكستر دائما عالقة في ذهني وقلبي، إنني مازلت أذكر هذا الحادث الطريف الذي وقع لنا عندما ذهبنا

ذات يوم إلى أحد المطاعم لتناول طعام العشاء فمنعونا من الدخول لأن برت لانكستر لم يكن يرتدي رابطة عنق كما تنص تعليمات الدخول؛ فقمنا على الفور بشراء واحدة ثم قررنا الآتي للرد على تصرفهم معنا: ارتدى برت لانكستر رابطة العنق ثم خلع البنطلون! فلم تكن التعليمات تنص على ارتداء بنطلون، كما خلعت أنا أيضًا الجوب)! ودخلنا المطعم على هذا الشكل وسط دهشة الحاضرين ثم تصفيقهم.

"تيودورا" خادمة في سيرك قررت أن تعاقب الناس

تيودورا ومعنى الاسم "هدية الرب"، اسم على غير مسمى فهي نقمة الله ولعنته، نشأت نشأة حقيرة كانت مجرد خادمة في سيرك تقوم بأعمال النظافة وعندما بلغت العاشرة من عمرها صارت ترافق شقيقتيها الأكبر منها إلى الرقص في السيرك، تنطلق لتجمع قطع الملابس الصغيرة التي تناثرت وراء أختيها، فقد كانتا ترقصان وتخلعان ليضحك الناس ويصفقوا؟ فما زالت بعد صغيرة لا تملك المؤهلات الجسدية التي تؤهلها لمزاولة حرفة شقيقتيها، ولما بلغت تيودورا الثانية عشرة من عمرها التف عودها وبرزت مظاهر فتنة مبكرة في جسدها فاعتبرت نفسها قد أهلت لمزاولة الحرفة! فرقصت، وأصبحت أشهر راقصة في السادسة عشرة، تتعرى من الأمام ومن الخلف، ثم اهتدت لطريقة مثيرة في الرقص أشركت معها فيها أختيها وكأنها تنتقم منهما! إنها تتعرى تماما على المسرح وتأتي أختها الكبرى فتغطي جسمها بحبات القمح، وتجيء أختها الثانية فتطلق عليها الإوز يجمع حبات القمح بمنقاره والناس في حالة جنون. يلقون عليها الهدايا والفلوس.

واتجهت تيودورا للدعارة ، فهي تعرفها بالرجال الأغنياء لا تكف عن استقبال كل من يدفع المقابل.. عطلت كل مشاعرها الإنسانية، فالجنس محض صنعة في جسدها وملامحها وأدواتها، والمهم دائما أن تقبض مقابل إعمال أدواتها.. العبرة بمن يدفع أكثر، ولا مجال لتصنيف الزبائن نبلاء أو شغيلة.. المزاد قائم على جسدها حتى وهي في أحضان زبون، فإن جاء من

يدفع أكثر لفظت من هو في أحضانها في قحة ورحبت بالآخر بكل فجور.. ومن الطبيعي في امرأة على شاكلة تيودورا أن تبحث دائما لدى زبائنها، علاوة على المقابل المادي، عن أي فرصة يمكن أن تتحقق من خلالها استفادة، وكان أن تعرفت على بعض المسئولين عن مسارح المدينة فاستطاعت عن طريقهم الصعود إلى خشبة المسرح، فنجحت نجاحا كبيرا، وقد وجد فيها شباب الطبقة الأرستقراطية لونا جميلاً شهيا للتفريج عن أنفسهم فكانت لا تخلو حفلة أو مأدبة لهم من تيودورا، وقد ذكر المؤرخ (بروكوبيوس) أنها في إحدى هذه المآدب سامرت على انفراد عشرة ضيوف وثلاثين عبدا.. وحين أوشك الفجر على الشروق كان الجميع مرهقين ومنهكي القوى عدا تيودورا التي كانت بكامل حيويتها ونشاطها!

وفي مرحلة تالية تعرفت تيودورا على أحد النبلاء ويدعى (هيكيبولس) وكان قد عين حاكما لإقليم بني غازي، فأقام حفلا كبيرا ابتهاجا بمنصبه الجديد، واستدعى تيودورا فرقصت وأبدعت حتى الصباح ،وقصدت أن تلفت نظر الحاكم إليها حتى أنه كان في شدة الغبطة والسرور إلى الحد الذي جعله يطلب منها مصاحبته إلى قصره، فما كان من تيودورا إلا أن سألته بخبث: (بصفتي زوجة لك؟) فأجابها الحاكم قائلا: (القانون يمنع زواج النبيل من راقصة كما تعلمين). فأجابته بابتسامة ماكرة وبلهجة خبيثة:(إذا سأكون خليلة لك؟) ثم قالت وهي تبتسم وتتلوى: (حسنا!) وكانت تلك خطوة عظيمة بالنسبة لراقصة، فقد انتقلت رأسا إلى قصر أحد الحكام، إلا أن إفريقيا في هذا العصر كانت قارة مقفرة موحشة فلم تطب ليبيا لتيودورا وأحست بالملل ، زاد من شعورها هذا أن الحاكم وضعها في جناح الحريم

بالقصر فلم يكن لها من أنيس سوى الجارية التي تعمل على خدمتها، فقد كان (هيكيبولس) مشغولا بتصريف أمور الولاية، فلم يكن يتصل بها كثيرا، فدفعها ذلك إلى رشوة جاريتها كي تساعدها على إدخال أحد الشباب إلى مخدعها حين يكون الحاكم متغيبا عنها.. وحدث ذات ليلة أن توجه (هيكيبولس) فجأة إلى مخدعها على غير انتظار ففوجئ بخيانتها له، فطردها إلى الصحراء فهامت على وجهها حتى وصلت الى أبواب مدينة الإسكندرية، وهناك تسكعت كبائعة هوى حقيرة حتى قبض عليها ذات يوم في مشاجرة بالطريق العام، فكان عقابها أن وصم ظهرها بقضيب من الحديد الساخن ظل أثره على جسدها مدى حياتها..

وعادت تتسكع حتى عثرت على أحد التجار جاء إلى الإسكندرية في مهمة عابرة، واتخذته عشيقا لها، ولكن لم يمض وقت طويل حتى أنهى الرجل مهمته بالإسكندرية فغادرها بدون سابق إنذار ودون أن يلقي عليها حتى كلمة وداع، بل أنه كان قد ترك في أحشائها جنينا. وضاقت الحياة حول تيودورا، فلم تجد لها مخرجا سوى الدير ففكرت أن تتخذ منه مجرد مكان يؤويها حتى وضعت مولودها، وعندئذ عاودها الحنين والشوق إلى حياة الفجور فرحلت تاركة الدير إلى أنطاكية باحثة عن والد طفلها. وهناك علمت أنه فارق الحياة فوقفت تنظر إلى طفلها وتفكر في شيء ما، ولكن تفكيرها لم يطل، فقد تركت الطفل أمام دار جدته حتى لا يعوقها شيء عن ممارسة حرفتها! وعادت تيودورا إلى القسطنطينية موطنها الأصلي، وهناك فتح لها الحظ أبوابه على مصراعيه، فقد التقت هناك بصديقة قديمة تدعى (ماسيدونيا) فأعطتها خطاب توصية إلى صديقها الامبراطور (جوستيان)

ليعيدها إلى العمل بالسيرك، وكانت تلك هي البداية. اختارت تيودورا طريقا مختلفا للوصول إلى الإمبراطور بخطاب التوصية؛ فقد تسلقت أسوار القصر الإمبراطوري حتى وصلت إلى نافذة بجوار غرفة الامبراطور، فشقت ثوبها ثم دلفت إلى الداخل من خلال النافذة، وكان الإمبراطور حينئذ منهمكا بين أوراق الدولة يعمل على تصريف شؤونها، فلم يلق بالا لهذه المرأة وكاد أن يدق الجرس ليأمر الحراس بإخراجها لولا أن استوقفه شيء ما فيها. فقد كانت ساقاها الجميلتان تبرزان من خلال ثوبها الممشوق، وملامح وجهها وجرأتها قد راقت له، فنظر إليها مشدوها وسألها: «ما هذا؟..ماذا تريدين يا امرأة؟». فمدت له تيودورا يدها بالخطاب، وهي تقول له بلهجة ذات مغزى: (أريد صداقتك). وحينما فرغ الإمبراطور من قراءة الخطاب نظر إليها قائلاً (إذن لن تعودي) وتحققت بذلك أمنية تيودورا فعاشت مع الإمبراطور تعمل على متعته وإرضائه إلى أقصى الحدود حتى استطاعت أن تصل إلى غاية مآربها، وذلك عندما قرر الإمبراطور أن يتخذ منها زوجة له؛ فقد وجد في مظهرها ما يجعلها تزين له عرش الإمبراطورية، فقد كانت تيودورا حريصة كل الحرص على أن تبدو أمامه في أبهى صورة وأجمل حلية كما أحاطت نفسها بشيء من العظمة والكبرياء رونقاً وبهاءً؛ فراق كل ذلك للإمبراطور فهو يريد امرأة جميلة قوية تشاركه العرش، وكانت تيودورا تجمع بين هذين الأمرين!

كان وقع اختيار الإمبراطور لتيودورا زوجة له سيئاً على الشعب في القسطنطينية؛ فالشعب يعرفها حق المعرفة، يعرف أنها بدأت حياتها خادمة سيرك ثم غانية، فكبر عليه أن تصبح الإمبراطورة على عرش دولتهم، ومن ثم

خرجت جماهير المتظاهرين ساخطة تصيح في غضب وهياج: (تسقط الزانية.. تسقط الشيطانة) إلا أن كل هذا لم يثن الإمبراطور عن عزمه على الاقتران "بتيودورا" التي استحوذت عليه وملكته فقد اتجهت لكل من يعرف الامبراطور وعرفت أدق أسراره، وكانت تسأل عن أشياء كثيرة، حتى ظن أصدقاء الإمبراطور أنها جاسوسة، وضحكت وقالت لهم (إني أعمل لحساب امرأة من الوحل.. أعمل لحسابي) وما هو إلا وقت قصير حتى كانت تيودورا تجلس على العرش كزوجة للإمبراطور "جوستنيان" فلم يجد الشعب كالعادة سوى الخضوع والاستسلام لرغبة وقرار الإمبراطور.

وفي بادئ زواجها عرفت تيودورا باسم (زوجة الإمبراطور) إلا أنه لم يمر وقت طويل حتى عرف هو باسم (زوج الإمبراطورة)؟! إذ طغت شخصية تيودورا القوية والخبيثة على شخصية جوستنيان، فكانت وكأنها تجلس على العرش بمفردها، فقد أرادت أن تنسى أيام هوانها واسترخاصها، وأن تكمل نواقصها فأطلقت لغريزة الشر العنان، فلم يشهد تاريخ الإمبراطورية البيزنطية امرأة ولو حتى من سلالة الملوك أشد غطرسة وكبرياء من تيودورا فقد كان يلذ لها أن تذل وتخضع كل من حولها، وخاصة هؤلاء النبلاء الذين كانت تتركهم يجلسون ساعات طويلة في انتظار مقابلاتها، ثم تتكرم وتتواضع فتأذن لهم بالدخول بعد طول استعطاف، وهى جالسة فوق كرسي العرش واضعة قدما فوق قدم، فإذا ما دخلوا ركعوا أمامها وانحنوا على قدميها يقبلونهما، فتنظر لهم نظرة ازدراء واحتقار، وإذا ما احتدت على أحدهم رفسته بقدمها وأمرت بطرده..كما لم تنس تيودورا أن تبث العيون في أرجاء البلاط وأنحاء البلاد لتقف على كل التفاصيل الدقيقة لكل ما يدور بين

الناس من أحاديث تكون الإمبراطورة طرفا فيها، والويل كل الويل لمن تصدر عنه كلمة طائشة تمس الإمبراطورة، ولو كانت هذه الكلمة صدرت عفواً ودون قصد، فإن ذلك سيكلف المرء رأسه فلا يشفع له تقدم سنه أو كبر مقامه..

وحدث أن وحد أعداء الإمبراطور (الخضر والزرق) صفوفهما ضد جستنيان، وأخذ أنصارهما يعبثون في القسطنطينية فسادا، بل وتمكنوا من التغلب علي بعض القوات الحكومية، وقد تحرج مركز جستنيان لدرجة أنه فكر في الفرار من القسطنطينية، ولكن عارضته الإمبراطورة ثيودورا وقالت: "في مثل هذه الظروف التي نواجهها، ليس لدينا الوقت لمناقشة هل على المرأة أن تسكت إذا ما تحدث الرجال أم لا". ورأت أن هذا الوقت ليس مناسبا للفرار، حتى لو في ذلك الأمان كله؛ فليس هناك شيء مضمون، وكلنا يعلم أن لكل مولود يوم سيودع فيه الحياة، لكن ليس من اللائق على من أصبح إمبراطورا أن يسمى بعد ذلك هاربا.. وإني لن أتخلى أبدا عن العباءة الإمبراطورية، والآن إن شئت أن تنجو بنفسك، فليس ذلك صعبا، ولا شيء يمنعك؛ فالمال وفير والبحر وسيع والسفن كثيره على الشاطئ، أما أنا فإني أتمسك بالقول القديم (إن العباءة الإمبراطورية خير لك.)

قالت ثيودورا هذه الكلمات التي كان لها مفعول السحر على الحاضرين وخاصه جستنيان، الذي بدأ يخطط للقضاء على الثورة، فأمر قائده نارسيس باستمالة رؤساء الأحزاب بالأموال والهدايا وخاصه زعماء الزرق، وفعلا نجح في ذلك وانسحب الزرق من الهجوم. وعلمت تيودورا أنه لم يبق من الأعداء إلا (فيتاليان) يدبر للاعتداء على إمبراطوريتها، فأوعزت لجوستنيان أن يوجه

له الدعوة لزيارته مع حاشيته في القسطنطينية بحجة التفاوض بشأن معاهدة تصالح بينهما، فأرسل جوستنيان الدعوة، ولم يرتاب (فيتاليان) في الأمر، فقبلها ووصل على رأس حاشيته إلى القسطنطينية فاستقبلتهم تيودورا وجوستنيان بأشد ترحاب وبالغا في إكرام الحاكم وحاشيته، فأقاما لهم حفلات الرقص الشرقي وحفلات السباق ومصارعة الوحوش ثم احتفلا تكريما لهم بإلقاء مائة سجين حي في ساحة الملعب الكبير كطعام لخمسين أسدا جائعا !

وفي الليلة الأخيرة للزيارة أقاما لهم حفلة وداع ساهرة لم تشهد الإمبراطورية مثيلاً لها من قبل، فقد رصت فيها ثلاثمائة مائدة مرصعة بالعاج والأحجار الكريمة وسط قاعة من أشهر القاعات التي تسمى (قاعة المضاجع التسعة عشر) ذات السقف الذهبي والستائر المزركشة بخيوط الذهب، وبعد أن تلذذ الضيوف بأشهى ألوان الطعام وأفخر أنواع الشراب، واستمتعوا بأروع الرقصات لأجمل الفاتنات، قام صاحبا الجلالة الإمبراطورية واستأذنا من الضيوف في الانصراف بحجة أن يتركا لهم الحرية في المتعة واللهو حتى الصباح.. وحين تسللت أول خيوط الفجر من النوافذ كان يسود القاعة سكون وصمت رهيبين مع أبشع منظر شهدته هذه القاعة الجميلة كان النبيذ والخمر المسكوب يختلط بدماء الضيوف القتلى على الأرض؛ فقد أصدرت تيودورا أوامرها لكل راقصة بأن تذبح ضيفها بعد أن تسلبه المضاجعة قواه وتفقده وعيه بالخمر! وعرف هذا اليوم باسم."ثورة نيكا سنة ٥٣٢م"

وظلت تيودورا هكذا امرأة متحجرة القلب يحتقرها الشعب ويمقتها

نتيجة تصرفاتها الطائشة وقسوتها ومضاعفاتها الضرائب، ففي عهدها انتشرت البطالة وزاد الغلاء وتفشى المرض وزاد الانحلال والفجور.. وباتت تيودورا امرأة شرسة شريرة إلى أقصى الحدود حتى أن الشعب بدأ في التذمر فتجمعت أفواج الجماهير ذات صباح أمام القصر الملكي هاتفة بسقوط الإمبراطورة، وارتفعت صيحاتهم الغاضبة وهم يقذفون بالوحل تمثالها الرابض في حديقة القصر مرددين (تسقط العاهرة.. تسقط السفاحة) فاشتد غضب الامبراطور جوستنيان فأصدر أوامره بإعدام سبعة من زعماء هذه المظاهرة، ولكن الشعب أحس أن تيودورا وراء هذا الأمر ،فهاج أكثر من ذي قبل وتوجهت الجماهير إلى القصر وهم مسلحين بالفؤوس والحجارة والعصى وهتفوا مرة أخرى (تسقط العاهرة.. تسقط السفاحة) ثم أطاحوا بمخازن القصر وسكبوا براميل النبيذ وهم يصرخون (أين القتلة)؟..كانت وقتها تيودورا راقدة في مخدعها تعاني من مرض غريب قد أصابها، وكانت قد تملكتها غيبوبة لم يوقظها منها سوى أصوات الجماهير الغاضبة ودقاتهم على أبواب الجناح الإمبراطوري، فأحست بأن نهايتها قد اقتربت.. نهضت مستدعية وصيفتها التي ألبستها ثوبها الإمبراطوري، وأزاحت لها ستار النافذة فاقتربت تيودورا بخطى ثابتة لتواجه الجماهير التي أشعلت النار في كل مكان، فبدت المدينة وكأنها جحيم أحمر.. فما إن ظهرت تيودورا من خلال النافذة حتى أصابت الدهشة أفراد الشعب وزعماء المظاهرة فوقفوا ذاهلين لجرأتها وتماسك أعصابها، فانتشر بينهم الهمس، فرفعت تيودورا يدها تسكت الجماهير ونظرت لهم بعين رحيمة وسألتهم: (ما هي مطالبكم؟) فصاحت الجماهير في صوت واحد :(الخبز.. لا شيء سوى الخبز).. أومأت تيودورا

برأسها قائلة: "سوف تنالون الخبز.. وسوف تقام لكم أيضاً حفلة من أروع حفلات السيرك التي شهدتها البلاد"

وانخدع الشعب الطيب الساذج واستجاب لوعدها الخبيث، وتعالت الصيحات (تحيا الامبراطورة) وقالت: لكم الخبز والسيرك! وبدأت الحفلة، فبدأت الاستعراضات ثم المهرجانات والرقص والألعاب، وبدا أن الحفل سيطول ويمتد من الصباح حتى ما بعد الظهيرة.. فأمرت تيودورا بتوزيع غذاء فاخر على جميع الحاضرين مزود بالخمر والمشهيات على نفقة تيودورا. وقبل أن ينتهي الحفل غادر ثنائي الإمبراطورية المكان. وحين انتهى البرنامج الأخير من الحفل ظهر قائد جيوش الإمبراطورية في ساحة السيرك تصحبه فرقة من الجنود المسلحين، فحيتهم الجماهير بالهتافات المدوية ظناً منهم أنها إحدى برامج الاحتفال، إلا أنها لم تكن سوى مؤامرة حقيرة دبرتها تيودورا فقد صاح قائد الحرس في جنوده (استعدوا.. اضرب). وتطايرت إلى قلوب الجماهير سيول من السهام القاتلة.. وتعالت صيحات الفزع والرعب وتدفعت الجماهير نحو الأبواب قاصدين النجاة من هذه المذبحة الرهيبة لكنهم فوجئوا بفرق أخرى من الجنود تنتظرهم على الأبواب، فلم يجدوا مخرجاً أو منقذاً للنجاة. لقد حوصروا حصاراً محكماً لا مفر منه، واستمرت المجزرة حتى الغروب فامتلأت أرض الملعب الكبير ببرك الدم الحمراء القانية. وقد راح ضحية هذه المجزرة الآدمية ثلاثون ألف رجل، وعشرة آلاف امرأة.

وأخبر الحرس تيودورا بنجاح المغامرة فابتسمت ابتسامة خبيثة وهى تهز رأسها، ولم يمض وقت طويل على هذه الحادثة حتى اقتصت السماء من تيودورا، فقد ظل المرض ينخر في جسدها ويفتت في عظامها وهي تحاول

عبثاً بكل وسائل العلاج أن تنجو بلا جدوى، وظلت امرأة مريضة مشوهة حتى لفظت أنفاسها الأخيرة تاركة وصية ساذجة تقول: "اغسلوا جسدي بحمام من زيت الورد وعطروه بالعطور الفواحة!"

وهو ما دفع زوجها الإمبراطور لبناء دير لها في منطقة سيناء بمصر تخليدا لذكراها عام ٥٦٠م كما هو مذكور في البيان التأسيسى للدير تقول، ولذلك قصة: (أن القديسة كاترين ولدت بالإسكندرية ١٩٤م وكانت تسمى "زوروسيا" وكانت مثقفة وجميلة، رغبها الكل لجمالها، ورفضت الجميع، وآمنت بالمسيحية أثناء اضطهاد الإمبراطور مكسيمينوس، واتهمته علنا بقيامه بالتعبد للأصنام أما هو فقد أمر خمسن خطيبا لكي يقنعوها، ولكن كان أن اعتنق هؤلاء المسيحية، وبعد مرور حوالى ثلاث قرون من وفاة كاترينا ظهرت رفاتها المقدسة قي حلم أحد رهبان الدير الذي كان قد أقامه جستنيان تخليدا لزوجته تيودورا التي اعتبرها قديسة منذ "ثورة نيكا" عليه سنة ٥٣٢م فنقلت رفات كاترين ووضعت قي هيكل الكنيسة، وبقيت هناك ليبقى الخير والشر معا في كنيسة واحدة، عرفت فيما بعد "دير سانت كاترين" ليكون أشهر المزارات الدينية بشمال سيناء.

بنت الشيخ البكرى أسقطت نابليون وغرقت الحملة الفرنسية

"اقتلوا الزانية.. اقطعوا رأس الفساد.. أحرقوا جسدها المدنس.. قطعوا أوصالها، وفرقوها في البلاد حتى تأكلها الوحوش الضارية.. مزقوا جسدها ولا تجعلوا له شكلا ولا كيانا اقتلوها.. اذبحوها.. اسلخوها.. أحرقوها مزقوها".

كانت النداءات تتصاعد، تتداخل الأصوات.. تمتزج اللعنات، كل كلمة تنزل عليها وكأنها سيف، كأنها بصقة من نار، كأنها حجر من جهنم، تتصاعد الصيحات وتتداخل حتى لا تفهم «زينب» ما يقال، يشرد ذهنها، فتتذكر تلك الأيام الخوالي، أيام كان النبيذ فيها يسيل كالأنهار وكانت الضحكات تجري على الوجوه كالسيل، فما الذي بدل بالجحيم نعيما؟، ومن الذي قلب حياتها رأسا على عقب؟ أهو الحظ أم هي اللعنة؟

تغمض عينيها محاولة التأمل واستيعاب الموقف ومعرفة أسبابه فيسبقها السيف على رقبتها، يقطعون رأسها ويفرقونه عن جسدها ويعلقونه على باب القلعة لتصبح عبرة لكل من خان وباع وفسق «هكذا ظنوا»، قصفوا رقبتها، وسالت الدماء على الأرض، ارتاحت القلوب ورفعوا الرؤوس بعد أن غسلوا العار عن رجولتهم ووطنيتهم، وصارت مثلا لكل فتاة غير طيعة مقصوفة الرقبة..

أعدموا زينب البكرى حليفة المحتل الفرنسى وعشيقة نابليون بونابرت التي ارتمت في أحضانه، وباعت الشرف والعرض والأرض.. لم يكن المشهد

غريبا على زينب فقد عاشت مشهدا مماثلا له قبل ثلاث سنوات وتحديدا عام ١٧٩٨ عام دخول الحملة الفرنسية إلى مصر حيث كانت تقف في نفس المنزل (بيت والدها الشيخ خليل البكرى) وشاهدت نفس الجمع من البشر بل وأكثر منهم يصيحون بصيحات مماثلة، يهتفون ضد نابليون بونابرت والاحتلال، ولم تفهم المراهقة، فارعة الطول التي يقولون عنها "زرع بدري" صاحبة الأربعة عشر عاما وقتها ما هو المحتل ولا طبيعة الثورة الشعبية التي ثارت ضده بقيادة شيوخ الأزهر، لم تعرف معنى المقاومة ودارت في ذهنها الأسئلة: من هو نابليون؟ ما الذي أتى به مع جيشه العظيم إلى مصر؟، ولماذا يغضب منه المصريون ويقاومونه ويثورون ضده؟ وما هي الثورة أساسا؟

عقلها الصغير لا يدرك أيضا لماذا حرم والدها الشيخ خليل البكرى وهو من سلالة سيدنا أبي بكر الصديق (ﷺ) من لقب نقيب الأشراف، لماذا فضلت عائلته التي يرث فيها الإخوة واحدا تلو الآخر التنازل عن اللقب والمنصب الرفيع لصالح عمر مكرم بعد وفاة عمها الأكبر مُحَمَّد توفيق بن على بن مُحَمَّد البكري. حدث التحول الكبير في حياة زينب بعلاقتها الشخصية مع نابليون بونابرت، ولبداية هذه العلاقة روايتان في التاريخ ..

الأولى:"أن زينب ذهبت إلى بونابرت خلسة في غرفته بمنزل والدها وطلبت منه مضاجعتها وكان هذا بعلم والدها الذي طمع فيما هو أكثر من لقب نقيب الأشراف، فقد أراد أن يكون صهرا لوالي مصر، معتقدا أن نابليون سيطلب يد ابنته للزواج، وبعدها بدأت العلاقة بينهما وصارت عشيقته"

بينما تقول رواية أخرى للمؤرخ الكبير عبد الرحمن الجبرتي في كتابه «غرائب الآثار في التراجم والأخبار» إن الشيخ خليل البكرى قدم زينب بصحبة خمس فتيات مصريات أخريات لنابليون ليختار منهن عشيقة، فاختار بونابرت زينب، لأنها كانت أطولهم قامة وأكثرهم جمالا وكانت ممشوقة القوام، والأهم من ذلك أنها كانت تشبه جوزفين زوجة نابليون التي رفضت القدوم معه إلى مصر. فلما وجد بونابرت الشبه بين زينب وجوزفين اختار زينب، وكان هذا أيضا بعلم والدها ومباركته..

ونهاية الروايتين كانت واحدة، فبعد فترة شعر نابليون بالملل من علاقته بزينب، وأدرك أنها ليست كمحبوبته جوزفين، فقرر تقديمها لجنوده كهدية منه وتركها بين أحضانهم، ولم ينتفض والدها لذلك أو يحاول ردها عن هذا السلوك ولا حتى حمايتها من شرور البشر وشرور نفسه، ولذلك قصة لهذا الفتور فقد وصلت له شائعة عن خيانة زوجته جوزفين له، مع عشيق لها في فرنسا، كان قد تزوجها قبل سنة من الحملة ليترك الحملة بعدها بسنة لـ "كليبر" متعللا بتحطيم الأسطول الفرنسى من الإنجليز في أبي قير.. ترك مصر والحملة بسبب تحطم قلبه، وإن اعلن أنه تحطم أسطوله في التاسع من آذار عام ١٧٩٧.

وفي ساعة متأخرة من الليل تمت مراسم عقد قران أرملة الجنرال "دوبو هارنيه" جوزفين الحسناء، على الجنرال والقائد العام للجيش الفرنسى الكورسيكي نابليون بونابرت.

وعلى قدر ما كان نابليون بونابرت عاشقًا متيمًا بحب جوزفين الجميلة لم يكن لديها أي ميل نحوه، ولولا جهود المدير "باراس" – وهو أحد أعضاء

حكومة المدراء في فرنسا – لما تمت الزيجة من أصله.. في الوقت الذي اشتعل فيه قلب بونابرت حبًا في جوزفين، كان المدير "باراس" هو العشيق الفعلي لجوزفين! وإذا عرف السبب لما ثار العجب من أن يعمل العشيق على تزويج عشيقته الحسناء لرجل آخر، ويبذل قصارى جهده في إقناعها بجدوى هذه الزيجة، بل ويمعن في تصويرها فرصة عظيمة مواتية للاقتران برجل ليس في سبيله لإحراز العظمة على مستواه الشخصي فحسب، وإنما لتحقيق عظمة فرنسا ذاتها.. وما ينتظر جوزفين العشيقة في كنف هذا الزوج العظيم! فقد كان في واقع الأمر عشق "باراس" لجوزفين قد تحلل وصار عبئًا عليه وربما على مستقبله السياسي، ومن ثم كانت تلك فرصته المواتية للتخلص من العشيقة الملازمة والحفاظ على سمعته دون شائبة على الساحة السياسية!.. وغداة زواجه توجه بونابرت إلى إيطاليا سعيًا وراء المجد العظيم الذي ينتظره، وما كان ذلك بالأمر الهين على رجل يهيم عشقًا بزوجته ويكن لها حبًا لا مثيل له، فوق أنه لم تتح له بعد فرصة إظهار هذا الحب، مع ضيق الوقت؛ فسافر نابليون بعواطف مضطرمة في صدره وحنين معذب لحبيبته ما كانت لتكفيه ليلة زواج واحدة بطبيعة الحال!

أما عن جوزفين الزوجة الحسناء، فلم تجد سببًا يلزمها الوفاء لزوجها وقد بقيت من بعده بمفردها! فبعد أيام قلائل من سفر نابليون رمت شباكها على واحد من أشهر الفرسان وسامة وأكثرهم مرحًا، وهو الملازم أول الخيال "شارل هيبوليت" وبينما كان نابليون يضيف نصرًا إلى نصر في إيطاليا، كانت جوزفين تحقق من جانبها نصرًا خاصًا، فتدحر وتغيظ أشهر حسناوات باريس وأكثرهن أناقة باختطافها لـ"شارل هيبوليت" منهن، والذي راح يتردد عليها

يوميًا للقائها في قصرها الصغير بشارع شانترين، ويمضي في صحبتها أعذب الساعات. وإضافة لما يتمتع به شارل هيبوليت من وسامة وشكل حسن، وقوام متميز من حيث الطول والعضلات المفتولة استطاع منذ لقائهما الأول، وبواسطة روحه المرحة، أن يضحك جوزفين حتى تسيل دموعها، بل واستمر في وضع النكات والطرائف التي تستهدف التهكم على ذلك الجنرال القصير الذي تزوجته جوزفين؟!

أما هي فقد نشر العشق غشاوة على عينيها حتى لتضحك إلى درجة الإغماء من نكات قد يحمر خجلاً من إسفافها رجال من عامة الشعب غافلة أو متناسية أنها سليلة طبقة أرستقراطية!. وكان من الطبيعي أن تنسى جوزفين الغارقة في حب "شارل هيبوليت" طلب زوجها المتحرق شوقًا إليها، باللحاق به في إيطاليا، فالرجل الزوج مازال لم يفز منها حتى تلك اللحظة سوى ليلة واحدة كفيلة باضطرام نار الشوق في كيان رجل محب مهما تملكته العزيمة والصبر، بينما تقبع جوزفين الزوجة في قصرها بفرنسا، تفرط في كيانها النسوي بإرواء الغريزة فيه من عشق ووله رجل آخر!. ولما سئم نابليون الوحدة جدد طلبه إلى جوزفين بأن بعث إليها برسالة أخرى مع مساعده الخاص وقائد اللواء "مورا"، يحثها فيها على أن تستقل عربة خلال أقصر مدة ممكنة، وأن تسلك طريق إيطاليا بأقصى سرعة، إذ أن صبره أوشك أن ينفد!! عندئذ وجدت جوزفين نفسها مرغمة على إعادة النظر في المسألة (غير أنها ليست راغبة على الإطلاق في مغادرة باريس، وقد استبد بها عشقها لـ "شارل هيبوليت" فلم تعد قادرة على أن تخلف وراءها العشيق لتسافر من أجل مجرد زوج، بل عادت ترى ذلك من الصعوبة على كيانها

المدله، بحيث يجعله مستحيلاً!! وعليه فقد راحت تبحث في حيلة تمنعها السفر ومفارقة العشيق شارل؛ فقد وجهت جوزفين الدعوة إلى "مورا" رسول زوجها وحامل رسالته إليها، كي يتناول معها العشاء وعلى انفراد، ليتسنى لها – على حد زعمها – أن تتحدث عن الجنرال بونابرت بكل راحة! ولم يكن أسلوب الدعوة يحتاج إلى تورية، فالعشاء الذي امتد حتى ساعة متأخرة من الليل، لم يكن مخصصًا للتحدث عن نابليون، فإن جوزفين قد وجدت الوسيلة السهلة والممتعة لاستقطاب رسول زوجها إلى صفها! لقد أغدقت عليه وجادت بما عرف عنها من سخاء عاطفي، فضمنت أن يعمل قائد اللواء "مورا" وفق ما توجهه وما تريد أن تدخله على قائده الأعلى بونابرت من أكاذيب بواسطته؛ فحملته رسالة إلى زوجها تقول فيها: "قل لنابليون أنه ما من شيء يعادل سعادتي في الالتحاق به، لكني لا أقوى على السفر، فأنا ملتزمة بمداواة صحتي لأني أنتظر مولودًا"

وكم كانت الفكرة ألمعية أثرت على نابليون تأثيرًا رائعًا؛ إذ بكى من الفرح وأمسك بريشته مجددًا ليكتب إليها: "سوف أبقى إذن لشهور عديدة بعيدًا عن كل ما أحبه؟..أيمكن ألا أسعد برؤيتك ورؤية بطنك الصغير؟..كم اتمنى أن اكون بجانبك؟" وكادت تحدث أزمة؛ فالجنرال بونابرت المقيم في إيطاليا يتحرق شوقًا لرؤية حبيبته جوزفين، حتى بات يفكر جديًا في استقالة تعيده إلى فرنسا ليرتمي في أحضان زوجته، ومن ثم ينتهي سبب افتراقه عنها!.. وتفاديًا لتفاقم الأزمة، خاصة وأن حكاية الحمل المزعوم كانت قد شاعت في باريس كلها.. اتفقت حكومة المديرين على تكليف المدير "باراس" بمهمة إعادة الاتزان للزوجة المشاكسة التي تهوى الرجال والاستقرار

في آن معًا. ولا غرابة في اختيار "باراس" بالتحديد للقيام بهذه المهمة؛ فمعطيات ترشيحه لها واضحة. وعندما قام "باراس" العشيق القديم بزيارة جوزفين في بيتها أوضح لها دون غموض بأن أوان الهزل قد ولى، وأنه لا يمكن إفساد حملة عسكرية فريدة من أجل نزوة امرأة. وعلى الرغم من حدة الحديث وعنفه، إلا أن جوزفين أدركت أنه يعبر عن الحقيقة، فهي تغدق بالمال من رصيد لا ينضب بوصفها زوجة نابليون. أما في حال الطلاق فإنها ستدخل السجن فورًا! وأذعنت جوزفين لأوامر حكومة المدراء، ولكنها اشترطت مقابل الذهاب إلى إيطاليا أن يذهب الملازم الأول "شارل هيبوليت" أيضًا للالتحاق بالجيش في إيطاليا!. وقد ذهل "باراس" من هذا الشرط الجريء وحاول أن يحذرها من الخطر الذي سوف تتعرض له إذا علم الجنرال بالاتصالات التي تربطها بذلك الشاب، ولكن دون جدوى، ولا عجب في موقف حكومة المدراء، فطالما كان ذلك هو أسلوب الساسة في معالجة ما يعن من مشكلات، ليس في فرنسا وحدها، بل في العالم كله، قديمه وحديثه؛ فمن غير المقبول لدى الحكوميين أن تتعارض المصلحة الشخصية لإنسان أيًا كان قدره مع المصلحة العليا للبلاد، وإن وجبت التضحية فلا تقع على غير عاتق الإنسان الفرد، فمهما كانت عبقرية نابليون فلا يهم الحكوميين في فرنسا سوى تسخيرها إلى أقصى حد لخدمة المصلحة العليا للبلاد دون نقصان، أما ماذا يجني نابليون الإنسان من خسارة على مستواه الشخصي فهذا شأنه الذي يخصه وحده!.. فلا مانع إذن من أن يعالجوا أشواقه بأن يدفعوا إليه بزوجته التي رصدوا خيانتها ما دام ذلك يمده بالقدرة على الصمود وإحراز النصر لفرنسا!.

وفي صبيحة يوم ٢٣ حزيران صعدت جوزفين إلى العربة، وقد استولى عليها حزن عميق لمغادرة باريس، ولم يكن السفر رحلة يقوم بها عاشقان؛ فالعربة ملأى بالمسافرين، وبعد وصولها إلى مدينة ليون أدهشها الاستقبال الذي حظيت به وكأنها ملكة، الأمر الذي خفف من حدة حزنها على فراق باريس، إذ قدمت إليها باقات الورود واستقبلت بخطابات الترحيب، وكلما تقدم الموكب من إيطاليا أصبح السفر أكثر متعة.. وقد بلغت الرحلة أوجها بالوصول إلى ميلانو، حيث وجدت زوجها وقد استقر كالملوك في قصر"سربللوني" الفاخر، ووجدت نفسها محمولة في دوامة من النشوة؛ فهي الملكة التي ترأس كل تلك الاحتفالات وهل نست جوزفين – إزاء ذلك – حبيبها "شارل هيبوليت"؟!. أبدًا؛ ففي الوقت الذي كان فيه نابليون يطير من نصر إلى نصر، كانت زوجته تحرص على انتزاع فارسها الجميل ما وسعها من ساعات، لتنعم فيها بصحبته، وليس من شك في أن حب نابليون لها كان أصم بقدر ما كان أعمى، فلقد كانت جوزفين بارعة في سيطرتها على زوجها الشهير الذي كان يشده إليها حب جنوني، ولكنها في الوقت نفسه على استعداد للتخلي عن كافة الفاتحين في العالم من أجل أن تنصرف بكليتها إلى "شارل هيبوليت"!!.

مضى عام ونصف لتبدأ رحلة العودة إلى فرنسا، وفيما كان نابليون يتوجه إلى حكومة المدراء برايات الانتصار، كانت جوزفين تقام على شرفها الاستقبالات والحفلات، وتنعم بكل مباهج رحلة عسل مع شارل، الذي كان قد ارتبط بعشق مع الفاتنة "بوليس بونابرت" شقيقة نابليون المتزوجة حديثًا بالماريشال لوكليرك، ويمنحها أوقات فراغه من جوزفين؟! وعلى ما

يبدو أن العلاقة بين شارل هيبوليت وبوليس بونابرت لم تستمر طويلاً حتى هجرها شارل فانتقمت لنفسها بإخبار أخيها الذي أمر بعودة ذلك الشاب المشاغب فورًا، فنفذ الأمر. في ذلك الوقت عاد نابليون إلى باريس.ليستعد للحملة الفرنسية على مصر (١٧٩٨– ١٨٠١) لتفاجأ جوزفين باستقبال بارد من جانبه، لكنها كانت تعرف كيف تعالج ذلك في زوجها، فحسبها تقضي معه بضع ساعات في غرفة حبهما لتعود إليه ابتسامته!.. وقد دفعتها سعادتها بالعودة إلى باريس لأن تغدق على زوجها مزيدًا من الحب، ويسافر نابليون في حملته لمصر، وعندما أبحر بونابرت قاصدًا مصر، امتلأ قلب جوزفين نشوة، إذ اعتقدت أنها قد استعادت حريتها، فأطلقت لهواها العنان حتى أوشكت الفضيحة أن تثور، بينما استقر شارل في شارع ضاحية سانت أونوريه وأخذت جوزفين تتخفي بعناية لتزوره يوميًا، غير أن تلك الزيارات لم تدم سرية لفترة طويلة، إذ كان هناك من يراقبها؛ فجوزيف بونابرت لم يكف عن مراقبة زوجة أخيه منذ أن كانت في إيطاليا؛ فهو يكرهها ويتمنى لو تخلص أخوه منها، لذلك قرر تجميع الأدلة على خيانتها وقدمها إلى أخيه. ووصلت أخبارها عن طريقه إلى نابليون الذي ثار غضبه وقرر العودة ليقوم بطرد تلك الخائنة، وتهلل أفراد عائلته بالخبر حتى دب الذعر قلب جوزفين، وباتت متأكدة من أنها لن تعثر مطلقًا على نابليون آخر، وعندما عاد أصدر من فوره أوامر بالغة القسوة، وحاولت جوزفين جاهدة أن تستدر عطفه من جديد حتى التقيا: زوج امتقع لونه وامرأة غرقت بالدموع وجنتاها، فكان العفو وتم تتويجها كإمبراطورة، كما كانت أيضًا القطيعة النهائية مع ذلك الشاب الوسيم جدًا "شارل هيبوليت"، ولكن عندما قام نابليون بمواجهتها

قالت له:"إني لا أفقه شيئًا من هذا السيل المتلاحق من الاتهامات الذي ترميني به، وهذه مؤامرة حاكها جوزيف، وإذا كنت واضعًا طلاقي نصب عينيك فالأجدر بك أن تقوله لي". أما شارل هيبوليت فقد آثر تجنب أي عداء مع آل بونابرت، لذلك اختار ترك الجيش والتخلي عن زيه العسكري، ورأى سبيلاً جديدًا للعيش في مشاركة السيد بودان التاجر الذي طار فرحًا لهذا، إذ سرعان ما استغل حرص جوزفين على مصالح عشيقها في تسهيل عدة صفقات لتمويل الجيش.

"الأراجوز الفلكلوري" والسقوط في هوى السيقان الناعمة

الفقر، الجوع، الأزمة الاقتصادية الطاحنة، الصراع بين البيرونيين والليبراليين. كانت عناصر حديث الصباح والمساء لدى الشعب الأرجنتيني إلى أن برزت أزمة جديدة دخلت تفصيلاتها ومستجداتها ضمن الأحاديث اليومية، بل ربما حظيت بالدرجة الأولى من الاهتمام وشغف المتابعة؛ فلرئيس الدولة سلسلة من المغامرات العاطفية انتهت بأزمة صارت هي في حد ذاتها مسلسلاً ما من أحد يعرف إلى أي وضع تصل نهايته. يعود زواج "كارلوس منعم" من "سليمة جمعة" إلى ٢٤ عامًا مضت؛ فالاثنان من عائلتين سوريتين (منعم/ جمعة) هاجرتا مع بداية هذا القرن إلى الأرجنتين، وعلى الرغم من أنهما كانا من سكان "لاريوخا" في الأرجنتين، إلا أنهما "كارلوس وسليمة" لم يلتقيا لأول مرة إلا في دمشق بسوريا، بلدهما الأصلي؛ فعائلة جمعة التي هي أكبر وأغنى من عائلة منعم، عادت إلى سوريا لأن الوالد يريد أن يمضي بقية عمره فيها، وعائلة منعم كانت غير مسرورة بعلاقة ابنها "كارلوس" الرومانسية بامرأة شابة مطلقة ولديها ولد، أرسلته إلى بلاد الشام لتبحث له عن زوجة، فحدث التجاذب بين منعم وسليمة منذ اللحظة الأولى، وتم الزواج الذي قالت عنه فيما بعد أنه كان زواجًا ضعيفًا مهزوزًا.

وفي ١٥ مايو ١٩٨٩ اختار الأرجنتينيون كارلوس منعم لخلافة راؤول ألفونسين في رئاسة هذه الدولة الحديثة العهد في الديمقراطية.. وكان ثمة إجماع يومها على أن النصر الساحق الذي حققه هذا السياسي السوري الأصل لم

يكن عائدًا لبرنامجه الانتخابي الذي حمل وعودًا خيالية وغامضة، بل لروحه المرحة وأسلوبه في إغراء الجماهير، وخصوصًا الأرجنتينيات اللواتي يجدن فيه على ما يبدو، ومن زمان، مثال الدون جوان الأنيق على الطريقة الأرجنتينية: سالفان طويلان عريضان، وروح شباب دائمة تظهر في عشقه للرياضة والرقص والملابس ذات الألوان الغامقة وسراويل الشرلستون، وأحيانًا البدلات البيضاء على طريقة خوليو إجلاسيوس.. كلها جعلت من كارلوس معبود النساء اللواتي أطلقن عليه اسم "كارليتو" على سبيل التدليل..

وبعد أقل من سنتين فقد كارلوس منعم سحره لدى النساء والرجال على حد السواء، وبدأ منقذ الأرجنتين يفقد شعبيته إلى درجة أن كثيرين لم يتوقعوا له أن يكمل ولايته حتى العام ١٩٩٥ فالرئيس المحبوب الذي وصلت شعبيته إلى ٨٠% من المؤيدين عند انتخابه يجد صوته بعد عامين في الحضيض.. إذ أن آخر استطلاع للرأي لم يوفر له سوى ٢١% من الراضين عنه طوال الفترة التي مضت من حكم الأرجنتين.. وتحول من رئيس محبوب إلى مجرد حكاية مسلية لشعبه تسري عنهم حالة الفقر والأزمة الاقتصادية والتضخم.. مسلسل الغرام والانتقام بين كارلوس وزوجته سليمة جمعة، وقد راح الزوجان ينشران غسيلهما على كل سطوح الأرجنتين! فالمغامرات العاطفية للرئيس الأرجنتيني لا تخفى على أحد، وقد دأبت الصحافة على تزويد قرائها بقائمة أسماء الحسناوات في حياة كارلوس منعم؛ فرئيس الأرجنتين يميل بصفة خاصة لمن تسلط عليهن الأضواء؛ فبعضهن فنانة رقص شرقي، وعارضة أزياء، وصحفية، وممثلة. ووسط هذه الإشاعات والأقاويل طوال ٢٤ سنة منها ١١ سنة انفصال عن زوجته، ولكنها كانت

تنجح في أن تعود به إلى منزلهم..

ولكن ماريا جوليا السوجاراي (٤٧ سنة) المهندسة ونائبة البرلمان، كانت قد تعرفت على كارلوس منعم أثناء إحدى حفلاته بالطائرة.. يومها وصفته بأنه "الأراجوز الفلكلوري"، وذلك وقت الحملة الانتخابية الشرسة التي تولد عنها لدى اتحاد الوسط الديمقراطي الخوف من منعم، وبدأ تحول البيرونيين إلى ليبراليين قبل فوز منعم بعشرين يومًا بالضبط، وذلك عندما طلب منعم من ماريا التي سحرته بجاذبيتها أن تعاونه.. وبدورها نقلت الرسالة إلى والدها، وقام الضابط القديم – والدها – بمساندته.. وتم انتصار كارلوس منعم في الانتخابات على الرئاسة، وكانت ماريا أول من يهنئ الرئيس الجديد في مكتبه في إقليم أريوخا الفقير والذي كان محافظًا له.. قالت له يومها: "تهنئتي يا كارلوس.. إنه انتصار لنا جميعًا"، وأجابها الرئيس: "نعم.. لا أعرف كيف أشكرك على مساعدتك.. بلغي تحياتي لوالدك".

وارتفع نجم ماريا بسرعة فلكية وبنفس هذه السرعة ازداد ضدها حقد وكراهية سليمة منعم التي حاولت أن تسد كل الغرف أمامها حتى لا تصل لزوجها. وسليمة نفسها هي التي أوعزت للصحافة بعلاقة زوجها مع السيدة ماريا يوم قالت: "لا تضيعوا وقتكم في اقتفاء أثر الرئيس مع النجوم المختلفة.. إنهن ستار لإخفاء العلاقة الحقيقية.. إن كارلوس على علاقة بماريا جوليا ويخرج معها منذ ٧ شهور على الأقل".

وأسند منعم إلى ماريا المهمة الرسمية لنقل مصلحة التليفونات الخاسرة إلى الملكية الخاصة، ونجحت ماريا، واتهمت هي ووالدها من قبل المعارضة بأنهما رجحتا كفة المناقصة التي تقدمت بها شركة أمريكية. ولمع اسم ماريا

جوليا أكثر من الحادث الذي أصبح حديث العالم، وهو طرد كارلوس منعم لزوجته سليمة من قصر الرئاسة حيث كانت تقيم مع زوجها وابنتهما "سلميتا" (١٩ سنة) التي تدرس القانون، وابنهما "كارلتنوس" (٢٠ سنة) الذي يهوى سيارات السباق مثل والده، وعلى إثر ذلك انتقلت سيدة الأرجنتين الأولى للحياة في مسكنها في منطقة أخرى وتقع على بعد ٢٠٠ مترا من بيت غريمتها "ماريا"!

وقد حدثت القطيعة رسميًا عندما أصدر الرئيس مرسومًا جمهوريًا يقضي بطرد سليمة من مقرهما الرسمي في حي أوليفوس الفخم، حيث كانت الأبواب تقرقع والصحون الذهبية تتطاير خلال شجاراتهما اليومية، وحدثت عملية الطرد بالقوة أمام كاميرات المصورين، وبعدها أمر الرئيس بتغيير أقفال أبواب المنزل! وخرجت سليمة من القصر مع أولادها وحوائجها لتترأس التيار المناهض لزوجها، وأخذت الصحافة تنشر الأخبار والاعترافات من كلا الطرفين اللذين تبادلا الاتهامات بالخيانة الزوجية.. ولما كانت الخيانة الزوجية لا تثير ردود فعل لدى رجال الأرجنتين الذين مازالوا يصنفونها في خيانة الرجولة، لجأت سليمة إلى اتهام كارلوس بالشذوذ الجنسي وتعاطي المخدرات!

وفي اليوم التالي للخروج قرأ ابن كارلوس كتابًا مفتوحًا لوالده أمام رجل الصحافة والدموع تفيض من عينيه وقال: "إلى والدي الرئيس.. لا أستطيع أن أصدق أن الذي قام بهذا العمل هو والدي الذي يتحدث باستمرار عن الله والوطن والضعفاء والذي رمى بعائلته في الشارع.. لقد رميتنا مثل الكلاب.. فإذا كنت لا تحب الضعفاء من أفراد عائلتك فكيف تستطيع أن

تحب الوطن؟".

ولاقى هذا النداء صداه في الأوساط الشعبية، مما اضطر الرئيس للرد عليه قائلاً: "بين عائلتي ووطني، اخترت الوطن"

وأقيمت دعوى الطلاق بين الزوجين، فانتقلت سليمة إلى موقع الهجوم، واعدة بنشر كل الغسيل القذر عن تصرفات زوجها وعن مجونه وخيانته الزوجية، وحتى عن سيئاته الخفية وعن تعرضها للضرب أحيانًا، وكأنها تحاول أن ترفع من مستوى الخلاف مع زوجها مشيرة إلى أن المشاكل بينهما ليست زوجية فقط، بل هي سياسية أيضًا، فالسيدة الأولى تعتبر نفسها تجسيدًا للبرونية المناضلة التي تناهض الليبرالية الجديدة لزوجها.. وفي هذه المعركة السياسية تحاول سليمة تجميع خصوم زوجها تحت قيادة وإقامة تيار معادٍ له يطلق عليه تهكمًا اسم "السليمية"!

وإزاء ما تواتر على لسان أنصار النظام البيروني من أن ماريا جوليا الحيزبون ذات الخمسين عامًا، والتي أجريت لها عملية شفط لدهون جسمها، سيطرت إيديولوجيًا وعاطفيًا على رئيسهم كارلوس منعم الذي يعتبر أول رئيس أرجنتيني يطالب بالطلاق أثناء توليه الحكم على الرغم من تحريم الدستور لمثل هذا الموقف.. إزاء ذلك أرادت أن تبرهن للجميع أنها لا تزال تتمتع بالجاذبية والأنوثة، فظهرت وسط ثلوج "لاس ليناس" في جبال الأنديز حيث أشهر وأرقى مناطق التزحلق على الجليد..

وبعد عدة ساعات من هذا الحدث نفدت كل أعداد مجلة "نوتيسياس" التي نشرت صورها وهي متدثرة بفراء من الفيزون يكشف عن جمال كتفيها

العاريين وسيقان جميلة كشفت منها أكثر مما سترت، وتاج من الماس فوق رأسها.. وكانت ماريا قبل ثماني سنوات مجرد سيدة أعمال بدينة لا تهتم برشاقتها مفضلة التهام المحمرات والشيكولاتة، وملابسها المفضلة من أزياء شاتيل.. وأيام دراستها الجامعية كانت ضمن الطالبات النادرات اللاتي يلتحقن بقسم الهندسة المدنية.. ولا يختلف أحد من ضيوفها على أنها رائعة في الكلمات التي تلقيها خاصة عندما يكونون ضيوفًا عليها في فيلتها الفخمة، حيث تعد لهم المآدب الفاخرة والأواني من الفضة الخالصة والخدم بقفازات بيضاء. وكانت دائمًا تظهر بشعرها المشدود على شكل شينيون وفساتين سهرة لا تساير الموضة، ونبرتها الحازمة الآمرة، وبهذه الصورة لم يكن أحد يجد فيها أي أنوثة. ولكنها بدأت تغير كل شيء عام **١٩٨٦** منذ أن أصبحت عضوًا في البرلمان، حيث لجأت إلى أشهر جراحي التجميل ليزيل ذقنها المزدوجة ويصلح من شكل أنفها، كما أزال تمامًا التجاعيد من حول عينيها وشفط الدهون من ساقيها مما ساعدها على ارتداء الأحذية ذات الكعوب العالية والفساتين ذات الديكولتيهات الجريئة.. وكان الجيران أول من لاحظوا هذا التحول الكبير، حتى أن بائع الجرائد قال يومًا: "من قبل كانت مثل الراهبات.. والآن أصبحت في منتهى الجمال والأنوثة، ومع ذلك لن أعطيها صوتي لأنها متسلطة جدًا"

ومع ذلك، ووسط دهشة الجميع، خاصة من ينتمون للأوساط الاجتماعية الراقية، قررت ماريا أن تتحرر من معتقداتها الأرستقراطية وقالت أنها تعلمت الكثير من كارلوس منعم وتشعر نحوه بعاطفة قوية وتحبه بشدة، وكان هذا أول اعتراف لها، وواصلت من بعده لا تخفي إعجابها الكبير به،

وقد تخطى هذا الإعجاب درجة الصداقة ليصل إلى ما هو موجود حاليًا بينهما، أي الغرام العنيف.

ومن ناحيته حاول الرئيس كارلوس منعم أن يهون من هذه العلاقة حتى لا تؤثر على مجرى قضية الانفصال التي رفعته زوجته. وقد تأجلت هذه القضية أكثر من مرة ولكنها قد تصل إلى النهاية المطلوبة بعد أن صدر في عام ١٩٨٧ قانون جديد يبيح الطلاق في الأرجنتين.. كما يحاول أن ينفي هذه العلاقة ويقول: "إن ماريا جوليا مجرد موظفة عندي، وهي صديقة.. وأطلب من الصحافة أن تحترم خصوصياتي"

وعلى العكس فإن السيدة ماريا قررت ألا تخفي شيئًا، وصرحت لمجلة "توتسبياس" قائلة: "في البداية عندما انفصل عن زوجته كنت أتصل به تليفونيًا للاطمئنان عليه.. إننا نكمل الواحد الآخر".. وفي نفس الوقت فإنها أصرت على نفي ما أشيع من أنها كانت بقصر الرئاسة عندما طردت منه سيدة الأرجنتين الأولى.

وتقطن ماريا جوليا أرقى وأغنى أحياء بيونس إيرس العاصمة، وهي زوجة "فرانشيسكو جافياز إيريزي" (٤٧ سنة) وهو مصورها ومن علماء البيئة وعضو في ناد خاص يضم مائة أسرة من أقوى وأغنى العائلات في الأرجنتين، وهما يعيشان في قصر رائع مع ولديهما، لويس (١٤ سنة)، ألفارو (١٠ سنوات)، واحتفلت مدينة بيونس إيرس بأكملها بيوم زفافهما عام ١٩٧٣. ويحاول فرانشيسكو الزوج أن يبعد عن حياتهما شبح فضيحة زوجته الغرامية، وقال:

"إن هدفنا المشترك هو تربية ورعاية ولدينا، وهذا أهم شيء بالنسبة للأسرة.. ونحن علماء البيئة نتميز بنعمة تفهم أمور الحياة بصورة أحسن.. وأنا من ناحيتي لا أتدخل في النشاط السياسي لزوجتي".

فاطمة طوسون الأميرة التي رشحها الناس لعرش مصر

بعد حادث ٤ فبراير عام ١٩٤٢ الذي أهين فيه الملك فاروق بدخول الدبابات الإنجليزية قصر عابدين وفرض وزارة النحاس عليه بالقوة، أصيب فاروق بحالة نفسية، فقد شعر بأنه غير موفق على مستوى حياته الخاصة، وكذلك في الحكم، ولهذا حاول الخروج من هذه المحنة بالتواجد في الحفلات والسهرات.. وحاول الأمراء والنبلاء أن يظهروا وقوفهم بجواره في هذه الأزمة فلم يصدروا بياناً برأيهم، وإنما أيدوه بطريقتهم، إقامة حفلات ساهرة للملك متوالية بدت وكأنها دورية من بيت الأميرة منيرة حمدي إلى سرايا علاء الدين مختار إلى قصر الأمير طوسون وقصر الأميرة شويكار، وكانت معظم هذه الحفلات للعشاء والرقص.

ولكن محنة فاروق كانت قد بدأت قبل حادث ١٩٤٢، محنة على المستوى الشخصي تتمثل في زوجته فريدة حبه الأول، وقد يكون الأخير، التي فضحت عجزه، فانقلب العشق الملتهب إلى كراهية بلا حدود، تسلل خلالها إليه فتاة يهودية من الإسكندرية هي (إيرين جينل).

أما حادث عام ١٩٤٢ فهو الحادث الذي ترتب عليه أن تسلل إلى قلبه حب الأميرة فاطمة طوسون، ومنذ ١١ فبراير عام ١٩٤٢ استطاع فاروق أن يصنع ما لم يستطع أن يصنعه ماركوس أحد رؤساء حكومات المتعة والسلطة والذي لا يقل صيته في الجنس والحب عن الملك فاروق، فقد قالت عشيقته الممثلة (دوفي بيمز) في مذكراتها التي نشرتها مجلة (بيبول)

الأمريكية: إن ماركوس كان يجيد لعبة الفراش، لكنه رغم براعته لا يجيد التعامل مع امرأتين في فترة واحدة، لذلك أعطى ظهره لزوجته (إيميلدا) عندما أصبحنا عشيقين.

أما فاروق فمنذ أن أعطته الملكة فريدة ظهرها وهو يتعامل مع أي امرأة وفي أي وقت، ولكنه يشبه تعامل الرئيس الأمريكي كيندي الذي أصيب هو الآخر بخلل في العمود الفقري ترتب عليه علاجه بالكورتيزون الأمر الذي يجعله يشعر برغبة جنسية زائفة إذا حاول أن يطفئها جسدياً خسر ما تبقى من غروره الرجالي، ويبدو أنها كلمة سحرية إذا قالتها الزوجة لزوجها وأحس بعجزه وإهانته اندفع يبحث عن انتصارات أخرى، فجاكلين قالت لكيندي: "كف عن الكورتيزون"، وفريدة قالت لفاروق: أنه إذا اقترب منها فإنها ستستقبله كمتطفل، أما إيميلدا فكانت تعرف كيف تحتوي ماركوس وتقترب منه، تعتقل وتنفي، وهكذا فعلت إيميلدا مع (دوفي بيمز) الممثلة الأمريكية التي اعتقلها البوليس السري واعتدوا عليها جنسياً ورحلت إلى واشنطن بـ١٠٠ ألف دولار لتلتزم الصمت. ولذا عاد ماركوس لفراش زوجته وجهاً لوجه، ولهذا كان فاروق وكيندي لا يذهبان مع النساء إلى آخر المطاف.

وفي يوم ١١ فبراير عام ١٩٤٢ وبقصر علاء الدين بالمرج أقبلت فتاة صغيرة جميلة لها عينان واسعتان ممتلئة القوام تسير كما تسير الملكات ،وكان معها زوجها النبيل حسن طوسون، وكان من الواضح أنها يشوبها خلل جغرافي حينما يلتقي الربيع بالخريف فزوجها تخطى الأربعين ببعض الأعوام وهي تقترب من العشرين إلا بعض الأعوام، وبسرعة جاءت طيور الحزن لتسكن فوق أشجار الحنين ، فازدهر حنين كبير عند فاروق لهذه الفتاة شعر

وقتها أن إيرين اليهودية ليست كافية فهي فتاة رياضية جميلة سبق لها الزواج خمسة مرات من مصري وبرازيلي وثلاثة من الإنجليز، ثم أنها فتاة فاضحة مفضوحة ليس لديها أي مانع من أن تنام معه عارية تماماً، أما فاطمة طوسون فالبراءة والحياء والحزن والشجن يملئها فنصفها حلو كله ابتسامة ولكن بباطنها حزن وشجن. وبالطبع لم يكن يعرف فاروق أن إيرين اليهودية كانت تتلقى التعليمات من لامبسون الإنجليزي على أن تحتوي فاروق حتى لا يذهب إلى الألمان فقد قال لها لامبسون: (بالطبع يجب أن تذهبي معه للسباحة للقصر لأي مكان) وحينما قالت إيرين بأنها ليست مهتمة إطلاقاً بفاروق قال لها لامبسون: ولكننا مهتمين بمصر، فردت إيرين:سأفعل ذلك فقط لأني أكره الألمان، أفعل ذلك لأننا يجب أن نكسب الحرب.

واستمرت إيرين الخليلة الرسمية لفاروق لمدة عامين من خريف عام ١٩٤١ إلى نهاية عام ١٩٤٣.ولم تكن فاطمة طوسون بعيدة عن الحياة الملكية، فهي صديقة للأميرة فايزة أخت الملك فاروق، وكانت هي وماهيوش طوسون ونسل شاه وأميرات أخريات محل عين وفحص الملكة نازلي للترشيح للزواج بالملك، ولكن فاروق كان قد فاجأ الجميع باختيار صافيناز ذو الفقار حتى أنه لم يعط الملكة سعة من الوقت لإدارة المقارنة لاختبار أيهما أفضل، فلم تكن تعتقد نازلي أن يفكر ابنها في الزواج قبل أن يبلغ العشرين. وفاطمة طوسون كانت ضمن مجموعة الزهرية وهي مجموعة من صاحبات وأصحاب أخت فاروق فايزة وزوجها التركي مُحَّد علي رؤوف ، وهي بالطبع مجموعة لا بأس من التذكرة بأنها مجموعة ذات أفكار متحررة بها نسبة مرتفعة من الأجانب باعتبارهم أصحاب مأمونين وعابرين سبيل ليس لديهم نية

الاستمرار وبلا مطامع سياسية، وقد ابتكرت الأميرة فايزة هذه المجموعة التي اهتمت بالأدب والسينما والفنون والرسم حينما قرر فاروق أن يمنع ظهورها علناً وأن يقصر حركتها على المحافل الاجتماعية باعتبارها رئيسا للهلال الأحمر المصري.

وبسرعة جمع فاروق كثيراً من المعلومات عن الأميرة فاطمة طوسون، كان لديه في بلاطه أصحاب المواهب في هذا المجال، وكانت المعلومات أنها فتاة يتيمة الأب فقدت والدها وعمرها عشرة سنوات وزوجها يكبرها باثنين وعشرين عاماً، وكان زواجها في ٣ مايو عام ١٩٤٠ وعمرها ستة عشر سنة، وأنهم قد أرغموها على هذا الزواج، ثم قدم أهل البلاط تحليلا آخر يقول أن فاطمة تهوى السينما والقراءة وأن زوجها حسن طوسون الذي تجاوز الأربعين له أب مستبد وهو حماها الأمير طوسون يعامل ابنه الذي شاب شعر رأسه كأنه طفل في السابعة، فهو لا يدخن أمامه ولا يضع ساقاً على ساق في حضرته، وهو يقيم معه في سراياه بالزمالك، وأن الحما يتدخل كثيراً، فهو يكره أن يشاهد زوجة أحد أبنائه مكشوفة الصدر أو الذراعين وأن فاطمة تعيش في هذه السرايا كالحريم في جو محافظ.

واعتقد فاروق أن كل هذه المعلومات لصالحه، وبدأ يغزل نسيج مغامرة وهي من الأشياء المحببة إليه، نظم حفلاً ساهراً في قصر عابدين وحضرته فاطمة وزوجها وتحدث إليها فاروق؛ فاحمر وجهها حياءً وسألها فردت وهي تنظر للأرض خجلاً، وانتهزت فرصة تحدثه مع أميرة بجانبه وأسرعت بالهرب، وليس هناك ما يثير الصياد أكثر من أن يرى طيراً يهرب منه، وتكررت الحفلات وفي كل مرة يدعى فاروق للخروج من أزمة حادث ١٩٤٢ يشكر

فاروق الإنجليز في سره ويطلب سراً أسماء المدعوين والمدعوات، فإذا علم أن فاطمة هناك ذهب، وإذا علم أنها ليست هناك اعتذر بمشاغل الحكم، حتى جاء اليوم الذي سألها فيه بدون مقدمات: "أي عطر تفضلين؟"، فقالت بغير تفكير: "شانيل رقم خمسة"، وبعد انتهاء الحفل أيقظ فاروق خادمه بوللي وطلب منه أن يبحث في القاهرة عن أكبر زجاجة عطر شانيل خمسة، فلما احتج بوللي بأن الساعة الثالثة صباحاً قال له فاروق اتصل تليفونياً بأصحاب محال العطور في بيوتهم وأيقظهم.. وعندما جاء العطر أرسله إلى الأميرة فاطمة طوسون بدون بطاقة..

وبينما فاروق يجلس مع إيرين جينل قص عليها (دون جوانيته) بالإيقاع بالأميرة فاطمة عن طريق العطر، وأثناء ذلك قال لها لماذا لا تفكرين في أن تزيدي وزنك، وكان وقتها وزن إيرين خمسة وأربعين كيلو جراما ومحيط وسطها هو نفس محيط رأسها، واعتقدت إيرين أن فاروق لديه أفكار أخرى، ومنذ ذلك الوقت أصبحت إيرين تخشى من فاطمة طوسون وتشك في عبارة فاروق التي قررها لنساء كثيرات (سأصنع منك ملكة مصر).

وهنا يقرر مصطفى أمين في كتابه (ليالي فاروق):

"لقد أحب فاروق فاطمة طوسون أكثر مما أحب فريدة، كان حب فاروق للملكة فريدة حب تلميذ صغير لتلميذة صغيرة، حب عمره لا يتجاوز الزهور كان فاروق في الثانية والعشرين من عمره، ولكن حبه الثاني لفاطمة كان حب شاب لشابة، وكان قد رأى نساء كثيرات، وكان قد بدأ يبحث عن فتاة كالتي يقرأ عنها في الكتب والروايات".

ويقرر مصطفى أمين أيضاً أن فاروق من أجلها فكر أن ينزل عن العرش وأن يهرب معها. إن فاطمة طوسون هي المرأة التي تملك ورقة من الأوراق الإنجليزية كتبها كيلنر في ١٩ يناير ١٩٤٦ برقية رقم ٣٦ للندن تؤكد حب فاروق، وأن هناك كثير من الفضائح حول الطريقة التي يستعرض فيها فاروق علاقته معها..

وكما يقول سيد صديق عبد الفتاح في كتابه (ليالي ونزوات فاروق): إن قصة فاطمة وفاروق تشبه قصص ألف ليلة وليلة من البداية إلى النهاية، ولا يوجد تتالي ولا تواريخ للحوادث في هذه القصة، ولكن هناك سيناريوهات خاصة يكتبها كل كاتب ليؤكد أن فاطمة طوسون امرأة اقتربت من عرش مصر وأنها كانت آخر إهانة من الإهانات النسائية جعلت الملكة فريدة تصمم على الطلاق.

أما الحادث الذي جعل الملكة فريدة تصمم على ذلك حينما بلغها أن فاروق في الحفل الذي أقامه للأمراء والأميرات رداً على وقوفهم معه وضع برنامج السهرة على أساس الاستقبال ثم العشاء ثم مشاهدة فيلم سينمائي واختار الفيلم السينمائي، وكأنه يقول ما يريد أن يقول لفاطمة، وحينما انتهى الفيلم وأضيئت الأنوار التفت إلى فاطمة وسألها هل أعجبتك الرواية؟. فقالت فاطمة: "النهاية جميلة"، فقال فاروق وهو ينظر لفريدة: "يا سيدتي إنها البداية" .

وأثناء مغادرة فاطمة مع زوجها قال لها فاروق إنني أتفاءل بحرف الفاء، ولو كنت تزوجتك لما اضطررت أن أغير اسمك كما فعلت مع صافيناز، وغيرت اسمها إلى فريدة. ولم تفهم فاطمة ماذا يقصد ولكن زوجها فهم

وامتنع عن حضور أي حفلة لها صلة بالملك، حتى أن فاروق خرج عن البروتوكول عندما دعاها إلى العشاء في ركن فاروق بحلوان دعوة مباشرة، ولكنها خيبت أمله، فقد جاءت ومعها زوجها ومعها اثنتان من الوصيفات. وكما يقولون: الرجل الذي يقع في حب تأخر عن موعده يصبح مثل الإعصار، أعلن فاروق رسمياً في بلاطه ولرئيس ديوانه أحمد حسين يشرح له الموقف أن هناك ألف عقدة وعقدة، فالملكة فريدة طلاقها سيحدث رجة، ثم أن فاطمة طوسون امرأة متزوجة، ولكن الرجل الإعصار يطلب البحث عن طريقة ويقول له قل لزوجها وإذا رفض يطلقها مجلس البلاط، ومرة أخرى يهدئ من روعه أحمد حسنين ويوضح له أن مجلس البلاط الملكي لا يستطيع أن يتدخل في حياة الأميرات إلا إذا تبين أن الزوج قد هجر زوجته أو فقد قواه العقلية، ثم لنفترض أننا استطعنا تطليقها هل يتزوج الملك مطلقة؟ إن ذلك ضد الذوق الملكي، ويقول فاروق (طظ) إنني أعرفك.. تعقدت المسائل.. إن الخديوي عباس طلق زوجته ولم يقل له البلاط شيئا، ثم إن كل الناس يطلقون زوجاتهم وكل الرجال يتزوجون بمطلقات ما عداي أنا!! بل إنك أنت يا حسنين طلقت زوجتك" ويجيب حسنين: "ولكنني لست ملكاً"

وينهي فاروق الحوار بأن يعلن أنه قد صمم على الطلاق وأن فاطمة ستكون هي الملكة القادمة، وأنه لا يستشيره ولكنه يبلغه فقط وعليه التنفيذ، وتحدث حسنين إلى أحمد ماهر باشا رئيس الوزراء وقتها..

ودخل رئيس الوزراء للملك ليضع أمامه ألف عقدة أخرى: "لنفترض يا مولاي أنك طلقت فريدة ورفض زوج فاطمة الطلاق، ثم إننا لا نستطيع

أن نتحرك قبل أن نحصل على تأكيد أن فاطمة طوسون مستعدة للطلاق من زوجها ثم الزواج منك"، ويجيبه فاروق بتهكم: "هل ترفض امرأة أن تجلس ملكة على عرش مصر؟"، ويقول له وزيره: "سلها"، ثم ظهرت بعد ذلك مشكلة برلمانية أن الدستور يعطي الحق في مناقشة الحياة الخاصة للملك إذا مست استقرار البلاد، وهنا يقرر أحمد ماهر باشا للملك أنه إذا حدث ذلك ستكون نهاية وزارته، سيقول الناس أنه (الدلدول) الذي أتى به الملك للوزارة ليوافق على الطلاق.

وهنا تقرر إيرين جينل في مذكراتها التي أخذ عنها كل من وليم استاديوم وماك ليفي: "إن فاروق قد أتاها في يوم ما وأخبرها أنه يحبها، فقالت له وماذا عن فاطمة طوسون، فأخبرها فاروق أنها ولدت بنتاً تواً، وأن هذه البنت ابنته وأنه قد أرسل لها عقداً من الماس في المستشفى ولم يذهب لزيارتها على الإطلاق، أو ليرى ابنته الصغيرة..

وتساءلت إيرين عن زوج فاطمة طوسون، هذا الزوج الحقير الذي دفع زوجته إلى الزنا ولم يفعل أي شيء للملك سوى أنه ابتسم ونظر إلى الجانب الآخر، ثم تعلل بعد ذلك في مذكراتها بأن مستوى التصرفات الطبيعية في عائلة فاروق الحاكمة كان يسيره فاروق حسب الظروف". وعلى الرغم من عدم تصديق الرواية في جانبنا إلا أننا نذكرها على أساس موضوعية البحث، وبخاصة أنها تمثل الطريقة التي يحل بها فاروق مشاكله إذا تعذر عليه تحقيق طموحاته بالطرق القانونية والمشروعة، إن بنتاً غير شرعية في حياة الأميرة فاطمة كافية لتطليقها، وبالطبع سيكون ذلك بهدوء وتكتم القصور، وبخاصة أن فاروق قد سجل فيما بعد هذه الخبرة باصطناع طريق للاغتيال والقتل

تحت اسم الحرس الحديدي، ولكن كيف لنا أن نؤيد هذه الرواية وإيرين اليهودية نفسها تعتقد أنها كانت عند أقدام العرش، فجاءت فاطمة طوسون لقلب فاروق فأبعدتها تماماً حتى عن حذاء الملك، إن الغيرة النسائية تجعل الرواية موضوعة بين قوسين.

وفي نوفمبر عام ١٩٤٦ قتل حسن طوسون زوج فاطمة طوسون في حادث سيارة، على الرغم من أن سرعته كانت لا تزيد عن ٦٠ كيلو متر، والغريب أن السائق لم يصب ودون توجيه الاتهام لأحد، فإن حوادث السيارات قد تعددت في الأسرة الملكية، وبخاصة حينما مات أحمد حسنين باشا بنفس الطريقة، بل أن فاروق نفسه تعرض لحادث سيارة، وهي ما تعرف بحادث القصاصين، وعلى الرغم من أن الأمر جاء على رغبة فاروق، وأنه ردد عبارة: ما لقيصر لقيصر، إلا أن فاروق قد التقى بعد ذلك عشرات المرات مع فاطمة طوسون ولم يثر موضوع الزواج.

وانقلب الأمر بعد موت الزوج. فاطمة تحضر الحفلات التي تعلم أن فيها فاروق وتتخير المناسبات التي تستطيع فيها أن تحادثه، ولكن فاروق لم يعد فاروق، إن الحب الذي استيقظ فجأة نام فجأة. وتعددت روايات الكتاب بالعربية يتعاملون مع فاطمة طوسون، باعتبارها امرأة فارسة أبية، استمرت على رفض فاروق وفضلت عليه أمير برازيلي وتزوجته وتركت مصر، أما الكتاب الأجانب فإنهم يرون أنها قد تدلهت، ولكن فاروق تعامل معها كما يتعامل مع الدمية وأنه قد خدعها ومنذ مات زوجها لم يعد العاشق الولهان الذي كان يحبها، فقدت توهجها وكأن طيور الحزن التي بثت الحنين في قلب فاروق، قد هجرت أشجار فاطمة طوسون لتسكن فوق أشجار

امرأة أخرى.

وفي كتاب سيد صادق – السابق الإشارة إليه – هذه النهاية التي تشبه ألف ليلة وليلة، أن فاروق أرسل رسولاً إلى فاطمة بعد زواجها يهددها من أنها إذا لم تعد إلى مصر سيحرمها من لقب الإمارة وسيمنعها من رؤية ابنتها، وأنه يستطيع أن يأتي بها مرغمة باستخدام نفوذ الدولة، ولكن فاطمة أبت أن تعود وقالت إن الله أقوى من فاروق وأن ابنتي سوف تعلم الظروف التي اضطرتني أن أتركها للعذاب الذي تحملته من أجلها، وثار فاروق وأمر بإصدار أمر ملكي بحرمان فاطمة من اللقب.

أما فاطمة فقد تزوجت أورليانو براخترا، وكان العقد في دار الكونت ديباري المطالب بعرش فرنسا، وقد صدق قول إيرين جينيل العاشقة اليهودية لفاروق (كان مثل طفل يريد أن يحصل على لعبه وكلما أسأت معاملته أصر على الحصول على هذه اللعبة).

ولكن يبقى السؤال: لماذا هددها فاروق بابنتها، ولماذا أصر على بقاء الابنة في مصر؟ حقاً لا أحد يمكنه أنه يمتطي صهوة البحر، ويكبح جماحه مهما كان بارعاً في العوم، فالموجة الناعمة تخرج منها موجة شرسة، وقانون البحر هو نفسه قانون الأنوثة، فالرجل مهما كان قوياً يمكن أن تهزمه امرأة..يمكن أن تقشره كالبرتقالة، وتمص رحيقه وعصيره.

التاريخ شبه الرومانسى لهتلر

ولد أدولف هتلر **ADOLF HITLER** سنة ١٨٨٩م، في العشرين من أبريل، وكان مسقط رأسه "برونو" الواقعة بالقرب من حدود ألمانيا. وكان أبوه موظفًا بجمرك النمسا، ثم عمل بالزراعة في بلدة "لامباخ" التي انتقل إليها بعد إحالته للمعاش. واهتم هتلر منذ وقت مبكر بقراءة كتب التاريخ، وألحقه أبوه بإحدى المدارس لكي يتخرج منها مؤهلاً لأن يكون موظفًا حكوميًا، لكن هتلر رفض الاستمرار بها والتحق بمدرسة للفنون الجميلة، فقد كان عنده موهبة الرسم، لكنه فشل في الامتحان، ونصحه مدير الأكاديمية بأنه يصلح للتخصص في هندسة البناء، فتوجه إلى فيينا وعمل بدايةً في وظيفة معاون، ثم عمل نقاشًا، وكان يعاني من الفقر والحاجة لدرجة الجوع في بعض الأحيان، وحتى هذه اللحظة لم تظهر عليه أية علامة من علامات النبوغ أو الذكاء.

وتكونت لديه في تلك الأثناء نزعته القومية بالغة التعصب لألمانيا، وكراهية غير محدودة للشيوعية واليهودية. وبالرغم من الضنك الذي كان يعيش فيه إلا أنه كان حريصًا على القراءة والاطلاع، ولاسيما على كتب التاريخ وسير كبار الزعماء. وترك هتلر فيينا في نهاية عام ١٩١٣، وهو في الرابعة والعشرين من عمره متجهًا إلى ميونيخ بألمانيا، هربًا من الخدمة العسكرية.

وعندما اشتعلت الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤ التحق هتلر

بالجيش، وكان في سن الخامسة والعشرين، وأثبت هتلر في هذه الحرب أنه جندي شجاع، وجرح هتلر في هذه الحرب مرتين، ومُنح وسام الشجاعة. ولكن انتهت الحرب بهزيمة الألمان بعد أن قتل ملايين البشر في هذه الحرب الضارية، وبكى هتلر على ضياع ألمانيا، وقضى بعد الهزيمة أسوأ أيام حياته، لكنه أخذ على عاتقه مهمة تقوية عزيمة الشباب الألماني وتوعيتهم بحقيقة أن الهزيمة لا يجب أن تثبط الهمم، وبذلك وضع نواة الحزب النازي الذي انضم إليه بعد ذلك ملايين الشعب الألماني.

استطاع هتلر في عام ١٩٢١ أن يتحول إلى زعيم تتعلق به ملايين الأبصار في كل مكان، ثم سعى بعد ذلك للاستيلاء على الحكم عام ١٩٣٣ ليصبح دكتاتور ألمانيا الأوحد، وفي صيف سنة ١٩٢٨ عندما كان هتلر في ميونيخ وقد أصبح اسمًا لامعًا، أرسل إلى أخته غير الشقيقة "أنجيلا" كي تحضر إلى فيينا للإشراف على منزله. وحضرت الأخت، وكان معها ابنتها "جيلي" التي كانت تبلغ العشرين من عمرها، جميلة سارحة الحديث، ووقع هتلر في حبها بالرغم من أنه خالها، وكانت هي في العشرين وهو في التاسعة والثلاثين. وقد اعترف هتلر بنفسه بهذا الحب وقال عنه: إنه نوع من أنواع العشق الذي تطور بعد ذلك ليصبح عشقًا جنسيًا، ولكن يبدو أن جيلي كانت أحيانًا تتبرم من هذه العلاقة ومن غيرة هتلر الشديدة عليها، وأرادت أن تعود إلى فيينا وحدها وقد رفض هتلر ذلك، بل هددها بالقتل إن هي أقدمت على ذلك.

وفي نهاية عام ١٩٣١ أي بعد مرور ثلاث سنوات على هذا الغرام الغريب، وُجدت جيلي مقتولة بطلقة نارية في حجرتها، وقيل في ذلك الوقت

أنها انتحرت!! وكانت هذه الحادثة صدمة قاسية لهتلر، الأمر الذي جعل أصدقاؤه يقفون بجانبه خوفًا من أن يقدم هو الآخر على الانتحار.

ولقد كان من الواضح للجميع أن الزعيم لا يتذوق الجنس إلا مع ابنة شقيقته جيلي؛ حيث أعلن ذات مرة: "لو لم أكن رافضًا فكرة الزواج من الأساس، لكنت تزوجت من جيلي، إنها امرأة رائعة". ويضيف هتلر: "لقد قررت أن أبقى أعزب إلى الأبد وعليها أن تبقى كذلك، بل أنني أحطتها بحرس خاص، وهم على استعداد لإطلاق النار على كل من يحاول الاقتراب منها".

وقد قال أحد أصدقاء هتلر: "إنني أعلم تمامًا أن هتلر قد رسم لوحات فاضحة لفتاته المدللة، أن لا يجرؤ أحدٌ على رؤيتها، لكنه أحرقها بعد وفاتها".

وتمر السنوات على وفاة جيلي، ويزداد هتلر غلظة وفظاظة في معاملة النساء، وتقول "هزييب" سكرتيرته الخاصة: "بعد انتحار جيلي، كان هتلر لا يبدي أي اهتمام بالنساء، بل كان يحاول التقليل من شأن المرأة ودورها في المجتمع".

كما كان هتلر يستخدم أساليب ملتوية مع النساء، فيوهم كل واحدة منهن بأنها المرأة الوحيدة التي يحبها، وبهذا استطاع أن يوقع في حبه الكثيرات، وتقول إحدى السيدات: "كنت على استعداد أن أرتمي في أحضانه، لكنه لم يعط لي الإذن أبدًا، كي أفعل ذلك".

وهناك حادثة أخرى تلقي الضوء على شخصية هتلر، فقد تعرف الرجل

الداهية على ابنة الدبلوماسي الإنجليزي اللورد ميتغرد وأحبها جدًا، حبًا كاد يقترب من حبه لجيلي، ابنة أخته، وكان يلتقي بها سرًا في أماكن كثيرة، وكان يعشقها بنفس الأسلوب الذي عشق به جيلي. وتتكرر القصة بكل تفصيلاتها وتنتهي بالعثور على الفتاة مقتولة بالرصاص، وقيل في هذا الوقت تفسيرات كثيرة، ودار همس كبير حول هذا الموضوع، وكان مما قيل إن الفتاة ضاقت ذرعًا بهجوم هتلر الدائم على بلدها إنجلترا، ثم ازداد ضيقها به عندما بدأ هتلر يتعرف على "إيفا براون" وهي الحبيبة والعشيقة التي لازمته حتى الموت، لدرجة أن "إيفا" حاولت التخلص أكثر من مرة من فتاته السابقة. أيًا كانت الدوافع والأسباب، فالنهاية كانت مأساوية مثل كل نهايات هتلر.

في عام ١٩٣٢ يسوق القدر إلى هتلر فتاة من بافاريا، على جانب كبير من الجمال، تدعى "إيفا براون" التي لم تلفت نظره في أول الأمر، لكنها كانت شديدة الرومانسية وشديدة الأخلاق، لدرجة أنها سجنت نفسها في مقر إقامة هتلر ثلاثة عشر عامًا، إلى أن انتحرا معًا، شهدت عظمته قبل اندلاع الحرب العالمية الثانية، وشهدت الانتصارات المبهرة للزعيم في أول الحرب، ثم شهدت المأساة الكبرى التي عاشها هتلر وألمانيا تتحطم أمامه. شهدت كل ذلك وتجرعت الآلام التي هدت من كيان الزعيم.

لكن لماذا استمرت علاقة إيفا براون مع هتلر طوال الثلاثة عشر عامًا وهي عمر العلاقة بينهما إن حالة الضعف الجنسي التي كان يعاني منها هتلر، كانت تعالجها الرومانسية والجو الأفلاطوني الذي كانت تعشقه إيفا براون، فهي لا تميل إلى الممارسة الجنسية بقدر ميلها إلى المداعبة. وهكذا وفي هذه الفترة الصعبة من حياة هتلر والتي انشغل فيها بموضوع الاستعداد

العسكري، وغزو أوروبا، وإشعال الحرب العالمية الثانية، كانت إيفا تنتظره في وداع وصمت، وهي تترقب أن يخرج من صمته أو استغراقه في التفكير.

وقد بقيت حالة هتلر الصحية جيدة حتى عام ١٩٤٠، لكنها بعد ذلك بدأت تضطرب، ففي عام ١٩٤٢ بدأ يشكو من الصداع المستمر ومن فقدان الذاكرة النسبي، كما بدأ يشكو من رعشة في أصابعه، وفي أواخر حياته، كان يسير وهو يرتكز على عصاه، وفي نهاية عام ١٩٤٤ بدأ يعاني من نوبات الصرع، وأصبح يسير خطوات وئيدة بطيئة، وكان من الواضح أن هتلر بدأ يتدهور بسرعة كبيرة صحيًا. حدث كل هذا وإيفا براون بجواره، تشد من عزيمته، وتكرر أمامه جملة لا تمل من ترديدها: "إنك فعلت كل ما تستطيع من أجل ألمانيا".

وفي مساء أول مايو سنة ١٩٤٥، أعلن رسميًا وفاة أدولف هتلر وإيفا براون، وكأنه كان يعطيها مكافأة حياته، بأن أعطاها اسمه، ثم أطلق عليها النار وعاد ليطلق الرصاص على نفسه، ويقال إنه كان قد أنجب منها طفلاً، أرسله إلى سويسرا، وهو شديد الشبه بهتلر، وظل حيًا حتى مات منذ سنوات قليلة.

الراقصة حكمت فهمى.. وجواسيس هتلر

شبح "الحرب العالمية الثانية" وبداية من عام ١٩٣٨ كان هو بذرة كل هذا، فقد اتجهت النية إلى توسيع الجيش المصرى، وزيادة عدده، مع رفع مستواه التسليحى، وهى رغبة اتفق عليها "الملك، والإنجليز، والوفد.." وكان الاحتلال يراها تدبيرًا جيدًا مع احتمالات الحرب، وقد رأت إنجلترا في معاهدة ١٩٣٦ ما يجعل مصر تدخل الحرب معها، وأعلن عن قبول دفعة جديدة في الكلية الحربية من الحاصلين على الثقافة العامة فقط، بحجة أنهم سيستكملون تعليمهم في الكلية الحربية فالحاجة أم الاختراع. وتكرر ذلك بأمر الملك عام ١٩٤٢ ليمدد للجيش بأصهاره وأقاربه وأهمهم "إبراهيم خيري"؛ فقبل ١٩٣٦ وكانت الكلية الحربية لا تقبل إلا عددا محدودا من الضباط كلهم من الفئات العليا المصرية والدراسة شكلية، فلم يكن مطلوبًا من الضباط المصريين وقتها، أية مهام قتالية..

ولكن في الفترة من (١٩٣٦–١٩٤٠) تدفق من أبناء الطبقة الوسطى للجيش كثيرون، وربما أيضا من الفئات الدنيا مثل صغار الموظفين، والتجار المتوسطين، وصغار الملاك، وفي ذلك الوقت دخل ٨٨% من الضباط الأحرار للجيش؛ فمع بداية عام ١٩٤٠ والحرب العالمية مشتعلة لم يكن للجيش المصري قرب الحدود الليبية المشتركة مع حدودنا إلا بعض قوات رمزية من الجيش والطيران في منطقة مرسى مطروح، وكانت هناك مجموعة من أربعة ضباط برتبة ملازم طيار تقيم معا في شقة مفروشة بمصر الجديدة وهي

قريبة من المطار الحرب (مطار ألماظة) وكانت هذه المجموعة مكونة من الطيارين:"أحمد سعودي أبو علي، وحسين عزت، ومُحَّد وجيه أباظة، وعبد اللطيف البغدادي" فشكلوا تنظيما سريا بين ضباط الطيران سموه "تنظيم الطيران" بهدف مقاومة الاحتلال البريطاني، وقاموا بالاتصال بجماعة الإخوان المسلمين للتعرف على مدى استعدادها للمشاركة في مقاومة الاحتلال البريطاني، واقترح الاخوان إدماج التنظيمين ولم يتم الاتفاق، وعن طريق حسين عزت تم ضم "أنور السادات" إلى المجموعة، في ذلك الوقت كان أنور السادات ضابط الإشارة يكره الاحتلال الإنجليزي ويحلم بخروج المحتل من وطنه، ومن البداية اتجه الضابط الشاب الثائر ناحية القوى الوطنية التي كان يعتقد أنها تحارب الإنجليز، وكان يحلم ويعمل من أجل ثورة مسلحة يقوم بها الوطنيون والشرفاء من ضباط الجيش. وكان في هذه الفترة مفتونًا بشخصية عزيز المصري الأسطورية، وكان عزيز المصري يجاهر بكراهيته للإنجليز حتى أن سير مايلز لامبسون السفير البريطاني في مصر طلب إبعاده من الجيش، ولوح بميول عزيز المصري للمحور، واجتاحت جيوش هتلر أوربا في هذا الوقت، وبدأت تلحق بالحلفاء الخسائر الكبيرة، وبدا أن بريطانيا العظمى لن تستطيع الصمود أمام زحف قوات هتلر، وكان الجيش المصري يشترك مع القوات البريطانية التي تحتل مصر في الدفاع عن الصحراء الغربية ضد قوات المحور، ولم يكن هناك وطني في مصر راضيًا عن اشتراك مصر في الحرب لحساب بريطانيا التي تحتل مصر حتى أن الشيخ مُحَّد مصطفى المراغى شيخ الأزهر أعلنها صراحة قائلًا:"لا ناقة لنا ولا جمل في هذه الحرب".

وتفجرت أزمة عندما أغضب علي ماهر رئيس الوزراء الإنجليز عندما

قال في البرلمان "إن سياسة مصر هي تجنب ويلات الحرب" وغضب الإنجليز وطلبوا من الجيش المصري الانسحاب من مواقعه، وأن يسلم الضباط المصريون أسلحتهم قبل انسحابهم، لكن أنور السادات – بتعليمات وإصرار – من عزيز المصري – بدأ يحرض الضباط ويثير مشاعرهم ضد مسألة تسليمهم سلاحهم. وتمكن من إقناع الضباط برفض تسليم السلاح. وفي النهاية اضطرت إدارة الجيش إلى أن تأمر الضباط بالانسحاب مع الاحتفاظ بأسلحتهم!

وتوطدت علاقة السادات بعزيز المصرى، وذات يوم طلب عزيز المصري من أنور السادات أن يقابله في محل جروبي، وفي هذا اللقاء أخبره أن الألمان طلبوا منه أن يسافر ليساعد رشيد الكيلاني في ثورته ضد الإنجليز بالعراق، وطلب عزيز المصري من أنور السادات أن يساعده على الهروب سرًا من مصر، وأخبره أن الألمان بعثوا له برسالة يقولون له فيها أن طائرة ألمانية سوف تكون في انتظاره عند جبل "رزة" بالقرب من صحراء الفيوم، ولم يتردد أنور السادات في وضع وتنفيذ خطة هروب عزيز المصري سرًا من مصر، ووفر بالفعل سيارة طراز "بيك أب" تصلح للسير في الصحراء، لينقل فيها عزيز إلى مكان الطائرة الألمانية التي سيهرب بواسطتها خارج مصر. ولم تنجح الخطة لتعطل السيارة قبل الوصول لجبل رزة ورصد الإنجليز اتصالات للسادات مع عزيز.فصدرت أوامر بنقله إلى منطقة "الجراولة" بمرسى مطروح، ولم يجد أنور السادات أمامه سوى أن يطلب من رفيقه الضابط طيار عبد المنعم عبد الرؤوف مسألة تدبير هروب عزيز المصري، وبالفعل قام عبد المنعم عبد الرؤوف وزميله حسين صبرى ذو الفقار بالاستيلاء على

طائرة حربية وضعا فيها الفريق عزيز المصري، وقررا الإقلاع بها إلى بيروت، لكن ما أن أقلعت الطائرة حتى اكتشف حسين صبري ذو الفقار نفاد الزيت واضطر إلى الهبوط بها فوق شجرة بالقرب من مدينة بنها !

واهتزت مصر كلها لمحاولة هروب عزيز المصري، وكانت الأحداث قد بدأت تزداد سخونة، فقد سقطت العلمين في يد القائد الألماني روميل وأصبح على بوابة مصر الغربية، وكان شعور المصريين المعادي للإنجليز يتصاعد يومًا بعد يوم، وبدأ أنور السادات يحرض زملاءه لكي يرسلوا ضابطًا مصريًا إلى روميل في العلمين، ليخبره بأمر التنظيم السري لضباط الجيش المصريين"تنظيم الطيران" وأنهم على استعداد للمشاركة في الحرب إلى جانبه ضد الإنجليز، مقابل أن تنال مصر استقلالها التام بعد هزيمة الإنجليز!

وامتدت بعدها الاتصالات بالنازية، وهذا ما حدث بالفعل، وأقلع الطيار أحمد سعودى برسالة تحمل هذا المعنى على طائرة حسن إبراهيم الحربية، وكانت طائرة بريطانية من طراز "جرادياتور" فظن الألمان أنها طائرة بريطانية جاءت للهجوم على مواقعهم، فأطلقوا النيران عليها فوق العلمين فانفجرت، واستشهد الطيار أحمد سعودى.. وهكذا كُلف "أنور السادات، وحسن عزت" بالاتصال بالجواسيس الألمان لأسباب غامضة عللوها "بأن عدو عدوي صديقي"؟! ولكن السادات في أوراقه يعتبر مجموعة الطيران تنظيمه، وفي مرة أخرى يقسمها لمجموعتين: فقد تحدث عن أحمد سعودي ومغامراته وعن صديقه حسن عزت وعن وجيه أباظة على أنهم أفراد مجموعته هو "تنظيم السادات" التي رأسها عام ١٩٤٠ ويجعل "باقي مجموعة الطيران" لعبد اللطيف البغدادي "تنظيم البغدادي" الذي تنسب له مجموعة

الطيران في الأصل. وفي هذه الفترة كانت حكمت فهمي تتربع على عرش الرقص الشرقي،كان مقدرا لها أن تلعب دورا على مسرح لأحداث مع جاسوسين ألمانيين زرعتهما المخابرات الألمانية في القاهرة، لتوفير المعلومات المهمة التي يحتاج إليها "روميل" في معركته الحاسمة ضد جيوش الحلفاء في الشرق الأوسط. والحكاية تبدأ من اجتماع مجلس حرب عقد في منتصف يونيو/ حزيران في برلين حين ذكر رئيس المخابرات الألماني أن "روميل يحتاج إلى معلومات عن القاعدة البريطانية في مصر"، ونتيجة لذلك تم وضع خطة تتضمن تسلل اثنين من الجواسيس إلى القاهرة وحيفا، وكان أحدهما ويدعى "كلين" قد سبق له أن عاش في الإسكندرية، والثاني "مولينبروخ" عاش في حيفا، وكانا يتحدثان العربية بطلاقة، وعليهما أن يعودا إلى هاتين المدينتين لكن محاولات إرسالهما إلى القاهرة وحيفا باءت بالفشل، إلى أن وقع اختيار رئيس المخابرات الألمانية على اثنين قضيا سنوات في شمال إفريقيا هما "آبلر وساندي".

ويروي الرئيس الراحل أنور السادات في كتابه "صفحات مجهولة" رحلة هذين الجاسوسين حين يكتب: "صدر إليه – إبلر – وإلى زميله ساندي أمر بالتسلل إلى مصر وكلفا بعمل معين، وسلما جهازا لاسلكيا دقيقا، وزودا بالآلاف من الجنيهات المزيفة المطبوعة في اليونان، وبسيارة من سيارات الجيش الإنجليزي التي استولى عليها الألمان أثناء معركة العلمين، وتحركت السيارة بالرجلين، وقد ارتديا ملابس ضباط الجيش الإنجليزي، وحملا معهما جهاز اللاسلكي والثروة الطائلة واخترقا الصحراء الغربية من طريق غير مطروقة، تقع جنوب سيوة، ثم انحرفا إلى الواحات الخارجة واستراحا فيها

وتزودا بما يحتاجان إليه ثم اتجها صوب أسيوط.."

ويستكمل السادات روايته قائلا: "كانت هذه المرحلة من أخطر مراحل الرحلة بالنسبة إليهما، إذ أن الطريق طريق عسكري، تنتشر على جانبيه المعسكرات البريطانية والحراسة، وتذرعه دوريات الاستكشاف وقوافل الجنود والعتاد، وأخذت السيارة تنهب هذا الطريق مارة بالموت في كل لحظة، ونفد منها الوقود في منتصف الطريق وإذا بقائدها "آبلر" ينثني بكل جرأة إلى أحد المعسكرات البريطانية فتفتح له الأبواب، ويدخل إلى محطة البنزين في المعسكر ويقدم أوراقه، ويعبئ سيارته بالبنزين ثم يخرج مودعا بتحيته الجنود، ووصلا إلى أسيوط ثم انحرفا في الطريق إلى القاهرة، ودخلاها ضابطين إنجليزيين تقوم لهما دنيا القاهرة وتقعد في ذلك الزمان"

لكن الحقيقة أن رحلة الجاسوسين كانت أضخم وأكبر مما رواه السادات بكثير، وقد أورد "بول كارل" الكثير عن تفاصيلها في كتابه "ثعالب الصحراء"، كذلك "ليونارد موزلي" في كتاب "القط والفئران" الذي استمد مادته من اعترافات الجاسوس الألماني هانز آبلر، ومن معايشته للأحداث حيث استغرق الإعداد لهذه العملية قرابة ثلاثة أشهر ونصف الشهر، وقد جهزت القافلة بإمدادات تكفيها لمدة ستة أسابيع، وقام سلاح الجو الألماني بمدها بتجهيزات خاصة للتغلب على صعوبات الصحراء.

وفي ٢٩ أبريل/ نيسان ١٩٤٢ بدأ العمل، وعندما قطعت القافلة المسافة من طرابلس إلى أسيوط، وقبل خمسة أميال منها خلع الجاسوسان ملابسهما العسكرية ولبسا ملابس مدنية قام رجال المخابرات الألمانية بحياكتها في برلين، على غرار ملابس المصريين، وزودوهما بصور وإيصالات

فنادق وعملات مصرية، وكل ما يمكن أن يحمله شخص يقيم في مصر، وهكذا تبدأ عملية "كوندور" يذكر ليونارد موزلي أن "الراقصة حكمت فهمي"، ولم تكن حكمت فهمى مجرد راقصة جميلة بل كانت أيضا فنانة عملت بالتمثيل مع فرق مسرحية شهيرة مثل فرقة علي الكسار وفرقة جورج أبيض وفرقة فاطمة رشدي وقامت في السينما ببطولة فيلم "المتشردة"، كانت رائعة الجمال حتى أن الشاعر أحمد رامي كتب فيها ربع ديوانه الأول، وأيامها كان لكل راقصة لقب، وكان لقبها "سلطانة الغرام"، والذي أطلق عليها هذا اللقب كان أحمد رامي نفسه،

وطارت شهرة حكمت فهمى من مصر إلى العالم، وأصبحت تسافر للرقص في أشهر الملاهى العالمية، وسافرت إلى ألمانيا ورقصت أمام هتلر ووزير دعايته جوبلز. وكانت همزة الوصل بين الجاسوسين والسادات، وهي التي دبرت اللقاء معهما بناء على طلب جون آبلر، لكن السادات يحكي الحكاية بشكل مختلف فيقول:

"وبدأت قصة القدر، بطرقات خفيفة على باب صديقي الصاغ حسن عزت، دخل في إثرها رجلان من الألمان، يصحبهما صديق له هو الأستاذ عبد المغني سعيد، ثم لم يلبث الصاغ حسن عزت أن أتى بثلاثتهم إليّ، وهكذا بدأت قصة القدر بالنسبة إلينا. وقال لنا عبد المغني سعيد إنه تعرف بهما عن طريق قريب له متزوج من ألمانية تعرف عائلة "آبلر" وأخرج الرجلان أوراقهما، وأثبتا بما يقطع كل الشك حقيقة جنسيتهما الألمانية وحقيقة مهمتهما، وطلب الألمانيان منا أن نقدمهما إلى الفريق عزيز المصري، وكانا يطلقان عليه كلمة "الزعيم"، وقال آبلر أن جهاز اللاسلكي الذي جاء

به قد تعطل وأنه يرجو أن يعتمد في إصلاحه علينا، كما طلب أن نسهل لهما عند الحاجة الاتصال الشخصي بروميل في مكانه في العلمين"

وقال أنور السادات:"أول ما فوجئت به من أمرهما (يعني الجاسوسين) أنهما يقطنان في عوامة للراقصة المشهورة حكمت فهمي".

في حين أن مُحَمَّد صبيح في كتابه "بطل لا ننساه.. عزيز المصري وعصره" كتب أنه سأل حكمت في مقابلة معها عن الجاسوس آبلر: "هل كانت بينك وبينه علاقة قديمة؟" فأجابته: "كان قبل أن يسافر إلى الخارج يتردد على الملاهي التي أعمل فيها وكان من أصدقائي".

وما يؤكده حسين عيد الذي عكف على كتابة مذكراتها ونشرها تحت عنوان "مذكرات حكمت فهمي.. أسرار العلاقة بين السادات والمخابرات الألمانية" أن حكمت قابلت أبلر في الخارج، في فيينا

أما "ليونارد موزلي" في كتابه "القط والفئران" فيقول: إن آبلر ذهب إلى حكمت فهمي حيث ترقص، وكانت تربطه بها علاقة حميمة، بعث إليها بيد النادل تذكرة كتبها على ورقة حساب خاصة بالمحل، وبعد لحظات جاءت وأخذت يده وقالت له بالعربية: "مرحبا بعودتك يا حسين ما أجمل أن يرى المرء صديقا وصديقا شابا من جديد"..

"بول كارل" في كتابه "ثعالب الصحراء" يرى أن الراقصة حكمت فهمي كانت العميل الأول في نقل الأخبار فعلاقاتها الطيبة مع الضباط البريطانيين قد مكنتها من الحصول على معلومات خطيرة للغاية، فالراقصة المحبوبة جدا كانت تكره البريطانيين وعلى استعداد للقيام بأي عمل ضد العدو، عدو

وطنها، ولم يتوقف آبلر عند حد في استغلال هذا الشعور لديها، وقد أخبرته حكمت عن انتقال عناصر من الجيش البريطاني من سوريا وفلسطين إلى مصر، كما أخبرت الجاسوسين الألمانيين عن وصول مائة ألف لغم إلى جبهة العلمين، وذلك عندما قررت بريطانيا إقامة خطها الدفاعي المحصن في هذه المنطقة بالرغم من أنه في ذلك الوقت لم يكن الموقف واضحا كما عرف آبلر من حكمت فهمي معلومات عن انتقال الفرقة النيوزيلندية الثانية تحت قيادة الجنرال فريبرج إلى مرسى مطروح، وذلك قبل أن تتحرك الفرقة بزمن طويل"

أما ليونارد موزلي فقد بيّن أكبر إنجازات حكمت فهمي في كتابه "القط والفئران" حين اصطحبت حكمت "آبلر" إلى عوامتها حيث كان الرائد الإنجليزي سميث يغط في نوم عميق وبجواره حقيبة البريد الرسمي الذي كان مكلفا بإيصاله إلى الجنرال ريتشي، وطمأنت حكمت آبلر بأن الرائد مخمور حتى الثمالة وأنها أعطته منوما في الكأس الأخيرة، فأخرج آبلر أوراق الحقيبة، وكان بداخلها رسالة طويلة تعلوها عبارة "سري للغاية" وكانت الرسالة تذكر تفاصيل التعزيزات التي سيتسلمها الجنرال ريتشي لتقوية خط دفاعه تأهبا للمعركة الكبرى التي سيخوضها ضد روميل، كما كانت الرسالة تذكر أيضا اسم ومكونات لواء مدرع سيرسل إلى الجبهة. وأضافت الرسالة أن خط الدفاع البريطاني سيكون في العلمين، وأحضر آبلر ورقة وقلما وراح ينقل تفاصيل الرسالة، وفي تلك اللحظة تذكرت اسمه كاملا ونطقته "حسين جعفر" وتحدثا وافترقا على أن يلتقيا في اليوم التالي ليسهرا معا، وأصبح حسين يثير اهتمام حكمت وتطورت العلاقة إلى أن قال لها حسين "حكمت عندي شيء أريد أن أتركه عندك"، وكان هذا الشيء حقيبة تخصه هو وأنور

السادات، هكذا اعترف لها، كما اعترف لها بأنه ألماني. قائلا: "إنني فخور بألمانيتي، فخور بهتلر، مطيع له، واسمي هانز آبلر".

وعلى الرغم من انزعاج حكمت فهمي وخوفها من الحقيبة، ومما اكتشفته بداخلها "جهاز لاسلكي" فإنها قالت له: "معكما سأسير، بكما ربط مستقبلي، وخوفي على أزواج شقيقاتي لأنهم ضباط كبار بالجيش المصري، وكذلك على أمي الطيبة."

وبعد فترة قليلة تعطل جهاز اللاسلكي، وكان وجوده في العوامة يشكل خطرا على حكمت، ووافق أنور السادات على الذهاب إلى عوامة الجاسوس الألماني «آبلر» وإصلاح جهاز اللاسلكي المعطل، وعندما دخل السادات العوامة سأل عن جهاز اللاسلكي فضحك الجاسوس «آبلر» وقال له: "تستطيع أن تجده.. إذا عثرت عليه بنفسك!".

وبدأ أنور السادات يبحث عن جهاز اللاسلكي ويطوف في حجرات العوامة التي لم يجد بها سوى وسائل الراحة والرفاهية، وصناديق الويسكي وكؤوس الشراب! وأخيرا كشف له الجاسوس «آبلر» عن المخبأ السري لجهاز اللاسلكي، وكان داخل جهاز «بيك أب» موسيقي، بطريقة لا يمكن لأحد اكتشافها، وفحص أنور السادات الجهاز ووجده معطلا بالفعل، لكن الجاسوس «آبلر» قدم له جهازًا لاسلكيًا آخر أمريكي، وقال له أنه جهاز قوي لكنه لا يعرف كيفية تشغيله، واكتشف السادات أن الجهاز ليست له مفاتيح فاقترح على «آبلر» أن يشغله بمفاتيح مصرية الصنع يقوم هو نفسه بتركيبها. ووافق الجاسوس الألماني على اقتراح السادات الذي حمل الجهاز في حقيبته، وتوجه به إلى بيته في كوبري القبة. لكن ما هي الا أيام حتى انكشف

أمر الجاسوس الألماني عندما سهر في إحدى الليالي، ودفع الثمن جنيهات إنجليزية مزيفة كان يحملها معه ثمنا للويسكي، وجاء حسن عزت ليقول" ألقوا القبض على اثنين في الصحراء ولديهما جهاز إرسال واستقبال، وأنهم يضغطون عليهما لإجبارهما على الاعتراف على جاسوسهما في مصر"

ومر أسبوع لم يتصل بها آبلر، إلى أن انتبهت على صوت أحد رجال القلم السياسي يطلب منها أن تخرج معه، لتجد نفسها أمام محقق بريطاني، أدركت بعدها أنها وقعت في الفخ وأصبحت في النهاية حبيسة الجدران وبجوارها في السجن كانت أسمهان وعزيز المصري، وفي التحقيقات أنكرت معرفتها أو لقاءها بهانز آبلر، ثم قالت فيما بعد أنها تعرف حسين جعفر، واكتشفت أن المحققين يعرفون الكثير، يعرفون حكاية جهاز اللاسلكي، وسرقة حقيبة الماريشال تايدر من غرفته الرقم ٢٧٣ بفندق الكونتيننتال، لكنهم لم يحصلوا منها على شيء.

وأضربت حكمت فهمي عن الطعام لمدة أسبوع في سبتمبر/ أيلول ١٩٤٢ وعندما ساءت حالتها نقلت إلى مستشفى الدمرداش للعلاج، واتصل بها شخص من طرف مكرم عبيد الذي كان وزيرا للمالية في وزارة مصطفى النحاس، ولما أقصي عن منصبه بدأ يعد لكتابه الأسود عن النحاس، وكان يعتقد أن لدى حكمت معلومات حول علاقة النحاس بالإنجليز، ورفضت رفضا قاطعا أن تمده بأي معلومات. وصدرت الأوامر بنقل حكمت فهمي إلى معتقل النساء في المنصورة، وقضت في المعتقل "فترة قصيرة" وخرجت "محطمة عجوزاً في سن الشباب، منهارة الصحة، ذابلة الملامح، خامدة النظرات على بشرة الوجه اصفرار وشحوب".

يقول السادات: كان "آبلر" يعرف مصر من قبل، كما يعرفها كل أبنائها، فقد كانت أمه الألمانية تزوجت في ألمانيا من صالح بك جعفر المستشار ثم حضرت معه إلى مصر، وفي يدها ولدها من زوجها الأول (الألماني) وكان ولدها هو هانز آبلر، وأراد الزوج المصري أن يوفر لابن زوجته حياة مطمئنة في مصر، فيسر له سبل التعليم والنجاح وأعطاه اسما مصريا ولقب أسرته، وأصبح هانز آبلر يعرف في مصر باسم حسين جعفر، لكنه لم يكن ذلك الولد الصالح الذي ارتجاه زوج أمه، فقد فشل المستشار في إقناعه بالعدول عن حياة الليل بين المراقص والحانات، ولما أيقن بأنه لا سبيل لإصلاحه في مصر طرده من حياته، وككثير من أبناء مهنته، جاء السقوط على يد امرأة، فقد كان «آبلر» على علاقة براقصة فرنسية يهودية، تدعى «إيفت» وكانت في الحقيقة جاسوسة بدورها تعمل لصالح الوكالة اليهودية في مصر، وبينما كانت تقضي الليلة في عوامته، سمعته وهو يتحدث بالألمانية مع زميله عن المعلومات التي لديهم وجهاز الإرسال الذي يخصهم، حيث كانت القيادة الألمانية قد حذرتهم من استخدام جهاز الإرسال في هذا التوقيت، وكانوا هم يتناقشون حول أهمية إرسال المعلومات التي تحصلت عليها "حكمت فهمي"

أبلغت «إيفت» قادتها، وأبلغوا بدورهم المخابرات البريطانية لتسقط شبكة التجسس الألمانية، وعندما كشفت المخابرات البريطانية أمر الجاسوس الألماني وجد كل من تعاون معه ومن بينهم السادات طريقه إلى السجن. وأودعوا جميعًا سجن الأجانب، فيما أفلت السادات فقط من هذا المصير، بعدما أنكر معرفته بالألمان، وبعد فترة اعتقال جرد هو وزميله الطيار حسن

عزت من رتبهما العسكرية وفصلا من الجيش.. أما باقي الجواسيس فقد قابلهم رئيس الوزراء البريطاني نفسه "ونستون تشيرشيل" حيث ساومهم بين الإعدام أو الإفصاح عن سر شفرتهما، وقد اختاروا الخيار الثاني، والذي من خلاله استطاع البريطانيون خداع «روميل» ما تسبب في هزيمته.

ويحكى خالد محيي الدين عن ذلك في كتابة (والآن أتكلم) : حادث أثر في نفسى كثيرا، هو اعتقال الضابطين أنور السادات وحسن عزت، وكان السادات رُحل لميس المدفعية، وبقي حسن عزت في ميس الفرسان، وكنت ضمن أفراد الحرس عليه، وجلست طويلا في إعجاب وشغف بهذا الضابط المعتقل المتقد حماسا وثقافة، ومعه اقتنعت بضرورة أن أعمل من موقعي كضابط في عمل سياسي من أجل مصر، ورتبت وسيلة لتهريبه في حالة استدعائه للمحاكمة، ورفض حتى لا يمس أحد من زملائه بسوء فقمنا في الفرسان بفك أكرة الباب بحيث يمكن فتح الباب من الداخل ومكن ذلك حسن عزت من الدخول والخروج كما يشاء، بل كنا نصطحبه لخارج القشلاق متنكرا لنسهر ونعود، وأشهد أنه لم يخدعنا ولم يحاول الهرب؟!

ويقول خالد محيي الدين: وكنت أنقل رسائل منه إلى ضابط آخر طلب مني التعرف إليه والثقة فيه هو "عبد اللطيف البغدادي" وتعرفنا كما تعرفت على وجيه أباظة، وانتظمت معهم في لقاءات فيما يشه التجمع، وتوقف كل شيء بعزل حسن عزت من القوات المسلحة، وعمل تفتيش وتحقيقات واسعة بالطيران .

ومرة آخرى يذكر "خالد محيي الدين" حسن عزت في كتابه: ولهذا فعندما طلب مني أن أكتب مقدمة لكتابه قبلت بترحاب، وقلت في كلمتى

"إنه أستاذي في الوطنية" وغضب عبد الناصر وقال لي:كيف تقول عنه أستاذ الوطنية، وهو مشكوك في موقفه منا؟.. وقلت أنا اقرر حقيقة رغم اختلافنا معا الآن .

هذا الكتاب النادر هو "أسرار معركة الحرية" الذي يعتبر بمثابة مذكرات لحسن عزت، والذي يمكن اعتباره وثيقة من الوثائق المهمة عن تلك السنوات المضطربة التي سبقت الثورة ومهدت لها، أثار الكتاب مشكلات وأزمات يكفي أنه كان السبب في أول أزمة بين عبد الناصر وخالد محيي الدين سبقت أزمة الصديقين الحميمين الشهيرة في مارس ١٩٥٤، التي خرج بعدها خالد من مجلس قيادة الثورة ومن مصر كلها. تكمن أهمية هذا الكتاب النادر في أنه حصل على صك الاعتماد من أبرز قيادات ثورة يوليو، فهذا الكتاب الذي يقع في «١٣٠» صفحة قد كُتبت له ثمان مقدمات، بينها ثلاث كتبها أعضاء في مجلس قيادة الثورة حينها وهم: عبد اللطيف البغدادي وأنور السادات وخالد محيي الدين وعزيز المصري الثائر الكبير والأب الروحي للضباط الأحرار وفتحي رضوان أول وزير للثقافة بعد الثورة، والشيخ أحمد حسن الباقوري وزير الأوقاف الشهير، وقد كانت مقدمة أنور السادات بعنوان «أخي في الإرهاب» والفريق عزيز المصري قال إن ما كتبه حسن عزت في الكتاب إنما هو قليل من كثير، أما خالد محيي الدين الذي نتوقف عنده الآن، فقد كتب:«إلى أستاذي في الوطنية وأرى في مجهوده فائدة كبرى لكل مصري يريد أن يعرف كيف يخدم وطنه".

ماري أنطوانيت من العرش إلى منصة المقصلة

أصبحت ماري أنطوانيت ملكة إلى جانب زوجها ملك فرنسا لويس السادس عشر، ولم تكن تجاوزت التسعة عشر عامًا من عمرها، شابة جميلة رقيقة، عينان زرقاوان تشعان بالحياة في وجه أبيض ينبض بالحيوية، وجسد بض لين، وشعر أشقر وفير، إضافة إلى أنوثة جد طاغية، وقد قال فيها الشاعر «هوراس والبول» الإنجليزي رغم بروده وشيخوخته

"إن ماري إنطوانيت حينما تقف فهي تمثال الجمال، وحين تمشي فهي الأناقة مجسمة".

وقد سجل التاريخ مقارنة بين ماري أنطوانيت ومدام دي باري عشيقة ملك فرنسا لويس الخامس عشر، ذلك لأن ماري أنطوانيت لم تكن بأي حال أفضل من مدام دي باري فيما يتعلق بالسلوك والعلاقات، فإن كانت مدام دي باري زوجة لرجل غاب عن الحياة غيبة غامضة واختارت أن تكون عشيقة ملك فرنسا – لويس الخامس عشر – فإن ماري أنطوانيت كانت زوجة لرجل حاضر هو لويس السادس عشر، ومع ذلك عشقت في حضوره. ولعل أبرز حكايات عشقها كانت تلك التي ارتبطت فيها مع الكونت «أكسيل دوفيرزن» بعلاقة خاصة جدًا حميمة وممتدة. وقد بدأت هذه العلاقة أثناء إحدى الحفلات التنكرية، إذ أُقيم في الأوبرا مساء يوم الأحد الموافق ٣ كانون الثاني عام ١٧٧٤ واحد من تلك الاحتفالات

التنكرية التي يتزاحم فيها المدعوون، وفي تلك السهرة حضر إلى قاعة الاحتفال فريق من عدة أشخاص يحيطون بامرأة حسنة المشية، تضع قناعًا من الحرير وتلتف بتلك العباءة الفضفاضة الحريرية التي تُسمى «الدومينو».

وأثناء الحفل اقتربت هذه السيدة ذات القناع من شاب في التاسعة عشرة من عمره، وهو سويدي الأصل، ويُدعى «أكسيل دو فيرزن» ونشأ بين السيدة والشاب حوار طويل احتوى على الكثير من العبارات الغامضة والماكرة، وبعد فترة تركت السيدة الشاب كي تتجاذب أطراف الحديث مع بعض الحاضرين، وقد كشف هذا الحديث على الفور عن شخصية السيدة..

إنها ولية العرش «ماري أنطوانيت» وكان هذا اللقاء بمثابة الشرارة التي أطلقت على قصة العشق التي اتخذت فيما بعد أبعادًا أسطورية، فلم يكن هذا اللقاء هو اللقاء الأخير، وإنما أصبحت هناك دعوات كثيرة توجه إلى فيرزن لحضور الحفلات الراقصة المُقامة في قصر فرساي، وهكذا أصبح «دو فيرزن» من المقربين إلى الملكة ماري أنطوانيت – التي انتقلت من موقعها كأميرة مع زوجها ولي العرش إلى ملكة بعد وفاة الملك والد زوجها في ذات الفترة التي بدأ فيها غرامها بـ «فيرزن» – فهو من بين الذين يُشاركونها اللعب، والذين تدعوهم إلى سهراتها الخاصة، ولكن لم تلبث الإشاعات أن انتشرت، لأن شغف الملكة أصبح ظاهرًا، ولم يتردد كثيرون في التأكيد على أنها عشيقة السويدي. وحرص فيرزن على القضاء على حملة النميمة التي أُثيرت حوله وحول الملكة، لذلك عمد إلى الإبحار إلى أمريكا ضمن حملة عسكرية يقودها الكونت «دور رو شامبو».

وفعلًا رحل فيرزن إلى نيويورك كمعاون لرو شامبو، وبعدما عادت

الحملة فكر فيرزن في الاستقرار بفرنسا، ولكي ينال موافقة أبيه الذي عارض الفكرة، أخذ يلوح له بفكرة الزواج من «جيرمين» الفائقة الثراء، أو من الآنسة «ليبل»، ولكن شيئًا من ذلك لم يحدث.

أما الملكة ماري أنطوانيت فقد وضعت عام ١٧٨١ وأثناء سفر فيرزن إلى أمريكا مولودها الأول والثاني وسط ابتهاج عام، ولم تلتق الملكة بفارسها ثانية إلا في شهر مايو ١٧٨٣ حيث كانت ماري أنطوانيت جالسة في الصالون الذهبي تعزف على القيثارة فبلغها أن الكونت دو فيرزن جاء، عندئذ لم تتمكن من إخفاء انفعالها أمام الحضور إلا بمشقة بالغة، ولكن قد تغير فيرزن كثيرًا، إنه الآن رجل مكتمل الرجولة، فقد كبر عشر سنين إلا أنه قد ازداد سحرًا وإغراء، أما الملكة فقد أصبحت في أوج جمالها بعد أن زادتها الأمومة تألقًا، ولقد كتبت رسامتها الخاصة مدام «فيجين لوبرين» تقول:

"كانت ماري أنطوانيت طويلة مشرقة رائعة التناسق، مُمتلئة دون ميل نحو البدانة، وكانت ذات ذراعين بديعين، وكفين صغيرين كاملي التناسق وقدمين جميلتين، وكانت صاحبة أجمل مشية بين نساء فرنسا، فهي تسير رافعة الرأس بشموخ وجلال فتجعلك تميزها من بين جميع سيدات البلاط والحاشية، أما الذي يلفت النظر في محياها فهو ذلك التألق المدهش في لون بشرتها"..

وكان لابُد من الفراق بين الملكة والكونت الشاب، فقد عجز فيرزن عن إقناع والده بما يحتاج إليه من مال، فذهب إلى مليكه «غوستاف الثالث» الذي كان راضيًا عنه، فمنحه رتبة عسكرية ثم اصطحبه معه إلى إيطاليا، وكان الفراق قاسيًا، فما يربط بين الملكة وفيرزن هو الغرام الحقيقي. وعاد فيرزن إلى باريس ضمن أعضاء الوفد الملكي المُرافق لغوستاف الثالث

في زيارته الرسمية لفرنسا، وأقامت الملكة على شرفه احتفالًا رائعًا في قصر تريانون، وكان من شأن ذلك الاحتفال أن أسبغ طابعًا رسميًا على حبهما.

عاد فيرزن أخيرًا مع نهاية عام ١٧٨٨ كان الغليان قد بدأ في جوانب الحياة الفرنسية، وكانت الملكة في تلك الآونة في أشد الحاجة إليه أكثر من أي وقت مضى، وكان الخطر الأكبر على ماري أنطوانيت قد بدأ عندما نشأت بالبلاد طبقة من الشعب ذات تيارات فكرية جديدة استمدت أفكارها من مؤلفات "جان جاك روسو" فتبصروا بحقوقهم وغاروا على مصلحة بلادهم ووطنهم بعد أن أصبحت الحالة الاقتصادية في فرنسا تزداد سوءًا بسبب الإسراف الزائد في البلاط الملكي والمحسوبيات القذرة التي خلقتها الملكة ماري أنطوانيت، وزاد السخط أكثر وأكثر بعد أن ارتفعت الديون وانهار الجيش وضاعت المستعمرات، وغير ذلك من مظاهر الفوضى والفساد، في حين أن الدول الأُخرى المُجاورة تتقدم وتزداد قوة ورقيا، وكان هذا السخط العام كله يتجه صوب الملكة الفاسدة وحدها، فقد كان الشعب يعرف أن السلطة كلها بيدها، فالملك رجل ضعيف بليد لا حول له ولا قوة. ويومًا بعد يوم ازدادت الحالة سوءًا وازداد السخط، فكان يجتمع كل يوم عشرات الأحرار وأنصار الدستور وأتباع «فولتير» وعديد من المثقفين ورجال الصحافة والأدباء والفنانين، كما كان الكونت «دوبروفينس» شقيق الملك من أكبر المعارضين الذين يعملون في الخفاء على أمل أن يجلس يومًا ما على عرش فرنسا.

ولما بدأت الثورة على الملك والملكة تأخذ طريقها في الظهور بدأ الكونت «دوبروفينس» يعمل جهرًا ضد أخيه الملك، فأخذ يوزع المنشورات

المثيرة ضده وضد زوجته ماري أنطوانيت، حتى أن هذه المنشورات جاوزت حدود فرنسا، وازداد عددها بكثرة وبطريقة مثيرة، ولم تكن من عمل الكونت دوبروفينس فقط، بل إن كل الطوائف المُعادية المُطالبة بالثورة اشتركت في نشر وتوزيع المنشورات، ووصلت إلى الملكة نفسها، فقد كانت طوائف المعارضة الثورية تتشعب في كل أرجاء البلاد.

وهكذا وجدت ماري أنطوانيت نفسها مُحاصرة من كل جانب بالأعداء، فقد كان لابُد أن يستيقظ الشعب المسكين الذي رضخ تحت وطأة النظام الملكي الظالم سنين طويلة، بل حقبة من الزمن ليست بالقصيرة امتدت على مدى أكثر من لويس! كان آخرهم تعيس الحظ الذي جاءت بجواره على العرش امرأة مثل ماري أنطوانيت، فكانت من الأسباب الرئيسة التي أدت إلى يقظة الشعب الفرنسي وثورته، لهذا كله كان لا بُد أن يثور الشعب ويُطالب بالحرية، فقد أقبل الجميع على قراءة «العقد الاجتماعي» لجان جاك روسو، ومؤلفات فولتير وديدور التي تقول أن النظام الملكي ليس أفضل الأنظمة، وليس النظام الوحيد الذي أراده الله.

كما ظهرت في هذه الأثناء بعض الشخصيات المُتحمسة للثورة سواء كان هذا نابعًا من مطامع شخصية أو دوافع وطنية، فقد ظهر «سميرابو» الذي لُقّبَ «خطيب الثورة»، كما ظهر «لافاييت، وروبسبير، ودانتون، ومارا»..وقد كانت أول مظاهر الثورة الإيجابية هي الاستيلاء على سجن الباستيل في ١٤ يوليو ١٧٨٩، فقد خرج عشرون ألف رجل صوب هذه القلعة التي كانت بمثابة سجن يُسجن فيه الأحرار والأبرياء، فاستولى عليها المُتظاهرون وعلقوا رأس حاكمها على قمة حربة وراحوا يطوفون به أنحاء

باريس، وكانت تلك هي الشرارة الدموية الأولى للثورة.

وفي يوم ٤ أكتوبر – في باريس – زحفت جموع الشعب الغاضبة رجالًا ونساءً قاصدين قصر فرساي حتى بلغوه بعد مسيرة ست ساعات، وظلت هذه الجموع الهائجة حول القصر طوال هذه الليلة إلى أن دقت الساعة الخامسة صباحًا، فانطلقت فجأة رصاصة من بندقية كانت إيذانًا ببدء الهجوم، فهرع الثوار نحو القصر من كل صوب بالمئات، والألوف مُسلحين بالبنادق والحراب والفئوس. وكان هدف الجميع جناح الملكة، فقتلوا الحراس الذين قاوموهم، وحملوا رؤوسهم على الحراب، وهرعت إحدى الوصيفات إلى الملكة تحثها على الإسراع بالهرب ولم تجد الملكة وقتًا لارتداء جوارب أو حذاء فجرت حافية القدمين وبيدها جواربها إلى جناح الملك.

وفي خارج القصر كان يقف عشرة آلاف ثائر، صيحاتهم ترتج لها كل جدران القصر تُطالب بانتقال الملك والملكة إلى باريس، وبالفعل بدأ الموكب الملكي الحزين، فخرجت من القصر عربة ضخمة تجرها ستة جياد كانت تقل الملك والملكة وجميع أفراد الأُسرة المالكة الذين تركوا قصر فرساي بلا رجعة وإلى الأبد.

وأخيرًا وصل الموكب إلى باريس وتم السماح للملك والملكة بأن يقيما في قصر التوليري، ذلك القصر القديم المهجور الذي كان فيما مضى مقر الملوك، ولكنه مُنذ عهد لويس الرابع عشر لم يسكنه أحد. وأوى الملك والملكة في غرفة مهملة ليس بها أثاث ولا شمعدانات وأبوابها لا تُغلق ونوافذها مُهشمة، ولكن الخدم أعدوها سريعًا على ضوء الشموع، ومُنذ ذلك الحين أصبح الملك والملكة صورة فقط ليس لهما أي سلطة؛ فالسلطة

كلها قد أصبحت في يد الثورة.

ونعود لدور العشيق «فيرزن» فلما كان القصر قد أُحيط بالحرس الوطني حتى لا يهرب الملك والملكة، وكان كل الخدم تقريبًا من الجواسيس، ورغم ذلك ظلت ماري أنطوانيت على صلتها بعشيقها فيرزن، فهو الوحيد الذي كان يملك مفتاح الباب السري المُؤدي لغرفة ماري أنطوانيت في قصر التوليري، وقد تسلل إليها ذات يوم وقضى معها الليل بطوله وحدهما، كما قام بمساعدتها هي والملك والأسرة المالكة على الفرار من قصر التويلري إلى خارج باريس ثم خارج الحدود.

وقد بذل فيرزن في هذا أقصى ما يستطيع من جهد من أجل غرامه وعشقه للملكة ، ولكن مشروع هذا الفرار فشل في النهاية بعد أن تم تنفيذ الجزء الأكبر منه، ولم يلتق العاشقان بعد ذلك، إذ بقي فيرزن خارج فرنسا يتتبع الأخبار، فقد أُعدم الملك، وجاء الدور على الملكة لتلقى مصيرها. دخلت السجَّانة في صباح ذلك اليوم على ماري أنطوانيت في زنزانتها، وجدت الشمعتين تضيئان بضعف وضمور وشعلتهما تترنح في النفس الأخير ويخبو ضوؤهما شيئًا فشيئًا، فبدت الرؤية للقادم من الخارج ضعيفة برهة من الوقت.

كان الشرطي قابعًا في ركن من الغرفة وماري أنطوانيت منطرحة على فراشها في ثيابها السوداء كاملة، لكنها لم تكن نائمة، بل كانت عيناها مُعلقتين على سقف الحجرة تنظر إلى نقطة واحدة لا تحيد عنها، فقد كان هذا اليوم هو أطول يوم في حياة ماري أنطوانيت. قدمت لها السجَّانة حساء الإفطار فاعتذرت ماري أنطوانيت في هدوء، إلا أنها تحت إلحاح السجانة – التي أشفقت عليها – تناولت بضع ملاعق صغيرة، ثم ساعدتها السجَّانة في

تغيير ملابسها، فقد كانت التعليمات ألا تذهب ماري أنطوانيت إلى المقصلة بثوب الحداد خوفًا من إثارة الشعب، ورأت ماري أنطوانيت أن تلبس ثوبًا أبيض خفيفًا، وكانت أقسى مظاهر الذل والهوان تلك الواقعة التي حدثت في هذا الصباح، فقد كانت ماري أنطوانيت تُعاني في الأيام الأخيرة من نزيف مُستمر، فأرادت أن تُغير قميصها، فطلبت من الشرطي القابع في الحجرة معها أن ينسحب لحظة، غير أنه رفض بناء على الأوامر الصادرة إليه بألا يتركها دقيقة واحدة، فلم تجد أمامها سوى أن تجثو على ركبتها في ركن من الغرفة بين السرير والحائط، ووقفت السجانة أمامها لتسترها حين تتجرد من ملابسها، ولما انتهت ماري أنطوانيت أمسكت بالقميص الملوث بالدماء فكومته ودسته في فوهة بالحائط خلف السرير!

انتهت ماري أنطوانيت من ارتداء ملابسها بعناية، فهي حريصة على أناقتها ومظهرها حتى آخر لحظة من حياتها.. في الساعة الثامنة حضر القس ليأخذ اعترافها، إلا أنها رفضت في أدب أن تعترف له. ولما سألها: هل يصحبها إلى حيث التنفيذ؟ أجابت في هدوء «كما تشاء».

وفي الساعة العاشرة صباحًا جاء الجلاد «سمسون» وهو شاب مارد ضخم الجثة، استسلمت له ماري أنطوانيت وهو يقيد يديها خلف ظهرها فلم تبد أي مقاومة. وفي الساعة الحادية عشر صباحًا فتحت أبواب السجن على مصراعيها وبدأت مراسم تنفيذ حكم الإعدام.. كانت اللحظات التاريخية العصبية تمر بطيئة متثاقلة جاءت عربة مكشوفة ذات حواجز يجرها جواد كبير أعد في وسط العربة لوح من الخشب كمقعد تجلس عليه ماري أنطوانيت.

وقفت العربة أمام باب السجن، خرج الضباط أولًا يليهم فرقة كاملة

من الحراس فوق ظهورهم البنادق ثم تبعهم المارد سمسون وهو يسير بوجه متجهم في خُطى ثابتة، صدره عارٍ يلمع في وهع الشمس، يمسك في يده بطرف حبل، طرفه الآخر على مسافة مترين يسحب به ماري أنطوانيت، كان القسيس في ملابسه السوداء والصليب يتدلى على صدره والقبعة تُغطي بعض عينيه، يسير ببطء بجوار ماري أنطوانيت، واستمر هذا الموكب المهيب من داخل السجن حتى خارجِ البوابة حيث كانت تقف تلك العربة المكشوفة بجوادها الثقيل وعليها المقعد الخشبي الذي ستجلس عليه ماري أنطوانيت..

كانت الجماهير واجمة في ذهول وهي تصطف على جانبي الطريق لترى هذا المشهد الفريد في تاريخ فرنسا، ورغم ضخامة وكثرة ازدحام الجماهير إلا أنهم كانوا صامتين عيونهم شاخصة على الموكب وكأن على رؤوسهم الطير أو أن أنفاسهم قد حبست، فإن رهبة هذا المشهد المهيب كانت أقوى من أي شيء. كانت ماري أنطوانيت تتقدم وسط هذا السكون بخُطى بطيئة نحو العربة، ثم وقف سمسون خلف العربة وصعد عليها واستدار في هدوء وهو يمد يده لماري أنطوانيت ليساعدها على الصعود.

جلست ماري أنطوانيت على المقعد الخشبي وإلى جوارها القس في ملابسه السوداء، ووقف سمسون العملاق بصدره العاري فوق العربة فارجًا قدميه على وجهه جمود لا ينم عن أي شعور، وما زال طرف الحبل في يده. سارت العربة ببطء بين جماهير الشعب التي جاءت لترى هذا المشهد الخارجي، وكات ماري أنطوانيت وهي جالسة على مقعدها الخشبي تهتز مع كل درجة للعربة وعيناها محمرتان تنظران إلى أعلى، وكأنها تنتظران أن تأتي لها

السماء بمعجزة تنقذها من مصيرها المُؤلم ومن سيف الجلاد سمسون.

كان جسدها كله يختلج وكل نقطة دم في عروقها تصرخ وتستغيث، وقد بدت وكأنها امرأة هرمة عجوز ووجهها شاحب هزيل، ورغم هذا كانت تُحاول جاهدة أن تضبط زمام مشاعرها وألا تلتقي عيناها بعيون الشعب. وترامت إلى أسماعها الشتائم وعبارات الاستهزاء، فكانت وكأنها لا تسمع ولا ترى، بل إنها ظلت تنظر إلى أعلى في استسلام، وكان ميدان الجمهورية الفسيح الذي تتوسطه منصة المقصلة يعج بالآلاف الذين جاءوا منذ الفجر حتى لا يفوتهم ذلك المشهد الفريد، مشهد إعدام ملكة..

وقفت العربة أمام المنصة ورأت ماري أنطوانيت المقصلة ونصلها الحاد، فنظرت إليها برهة في شرود وهي جالسة على مقعدها الخشبي، فبدت وكأن الدنيا تميد بها، وما هي إلا لحظات حتى بدأت المراسم الأخيرة. هبطت ماري أنطوانيت من العربة في بطء وتثاقل، تقدمت خطوتين.. صعدت درجات المنصة بصعوبة، أمسكها الجلاد ولمع للسلاح بريق وهو يهوي على رقبتها، اصطبغت المنصة بلون أحمر قاتم وساد الميدان صمت وسكوت، وأمسك سمسون برأسها ولوح به لأعين الجماهير التي صاحت: (تحيا الجمهورية)..(تحيا الجمهورية).

وضع رأسها بين فخذيها، وكانت تلك هي نهاية ملكة انتقلت باستهتارها وغرورها من العزة والجاه إلى الذلة والمهانة، ومن العربة المذهبة الفاخرة إلى عربة الجلاد، ومن العرش إلى منصة المقصلة.

الرئيس "جون كنيدي" يقلد الملك شهريار

قال الصحفي "فرانسيس لارا": "لو أن عدد النساء اللائي عرفهن كنيدي هو ثلث ما تسرده عنه الإشاعات لظل الرقم خياليًا، وأغرب ما في الأمر أنهن لم تثرثرن علنًا حول مغامراتهن!!".

وقال مارتن فنكر، وهو أحد المسئولين عن حراسة كنيدي: "شهيته حيال النساء كانت مرضية، ولو أراد المرء تدوين قائمة بكل نسائه لعجز!"

وإن كان في ذلك ما يثير الدهشة، فالأمر الذي يستوقف المرء عند دهشة أكبر هو الإنصات لهذه المقولة: "المعروف أن جون كنيدي كان إنسانًا رومانسيًا بكل معاني الرومانسية، وأن الجنس عنده لا يمثل أي شيء بجانب كلمات الحب الساخنة، ولقد أشبعته جاكلين حبًا، ولكن من المعروف عنها عشقها الجارف للجنس.. ويبدو أنها كانت تمارسه خفية من وراء زوجها، ثم تعرفت جاكلين على أوناسيس المعروف عنه أنه وحش جنسي متعجرف، وتعلقت به!!"

فالرجل وسيم رومانسي أشبعته زوجته حبًا ولكن كلاً منهما يسعى للجنس مع أطراف أخرى بعيدًا عن شريكه! ترى أي خلل في العلاقة وفيمن يكمن؟! المرجح أن يكون الخلل في شخص الزوج "كنيدي". ذلك إذا ما روعيت فرضية أن تحقيق إشباع جنسي من قبل الزوج لزوجته في مقابل ما حققته له من إشباع عاطفي يجعل الزوجة مكتفية من زوجها ليس لها حاجة في غيره.. أما والحال أن بها عشق جارف للجنس احتمل معه أنها تمارسه من

وراء زوجها، وأنها وجدت في أوناسيس الوحش الجنسي المتعجرف غايتها، فهذا في حد ذاته يعد بمثابة دلالة على إخفاق كنيدي – الرومانسي – جنسيًا.

وهو نفسه السبب الذي يمكن أن يُعتمد دليلاً على أن شهيته حيال النساء وتعدد علاقاته النسائية لم تكن من كونه (زير نساء) صاحب مخزون هائل من الطاقة يجعله محتاجا لمثل تلك الكثرة من النساء، وإنما كانت بدافع الضعف ومحدودية الاقتدار الجنسي، وهي حالة يميل صاحبها للاعتقاد في عجزه عن دوام السيطرة على الساحة الجنسية لامرأة واحدة تكتشف مع تكرار المواقعة محدودية قدرته الجنسية، ومن ثم فهو لا يميل للإبقاء على علاقة من هذا النوع من امرأة بذاتها، وإلا كان اختار من بين أجمل النساء محظية له واكتفى بها..

كانت مغامرات جون كنيدي النسائية قد ازدادت حدة وشراسة، بينما كانت "جاكي" تلعب دور الزوجة الوفية المخلصة خلال حملة انتخابات الرئاسة. لقد انغمس كنيدي من حين لآخر في سلسلة متوالية من العلاقات الغرامية.. وتشير ملفات مكتب التحقيقات الفيدرالية الأمريكي (FBI) إلى العديد من هذه العلاقات، ومن بينها علاقة غرامية لكنيدي مع اثنتين من المضيفات الجويات في ولاية كاليفورنيا. ويشير تقرير آخر لمكتب التحقيقات الفيدرالية إلى علاقة جون كنيدي مع المطرب الأمريكي الشهير "فرانك سيناترا" وإلى أنهما يشاركان معًا في حفلات ماجنة في (بالم سبرنجز) و(لاس فيجاس) و(نيويورك) وإلى وجود شهادات مكتوبة من اثنتين من بائعات الهوى في نيويورك تؤكد مضاجعة جون كنيدي لهما.

وتكشف ملفات مكتب التحقيقات الفيدرالية أيضًا عن أن جون كنيدي قام خلال عامي ١٩٥٧، ١٩٥٨ برحلات عديدة إلى كوبا لزيارة "فلو سميث" زوجة "إيرل سميث" السفير الأمريكي في كوبا. وأن لقاءات عديدة جرت بين العشيقين في ميامي وبالم بيتش!

وفي خلال حملته الانتخابية كان معاونوه يتحدثون بشكل صريح عن نساء كنيدي من مضيفات إلى عارضات أزياء وممثلات؛ فعلى سبيل المثال: قالت جانيت دي روز "المضيفة على طائرة كنيدي الخاصة": "أنها تلوم جاكي لأنها لم تواكب زوجها في أسفاره.. كانت جاكي لا تحب الاختلاط بعامة الشعب وتبغض تلك الحملات الانتخابية المرهقة، حيث ترغم على الشد على الأيدي وتوزيع الابتسامات وتقبيل الأطفال والشيوخ.. إن جاكي إنسانة متحفظة وأعتقد أن جون لم يكن يشجعها كي تخرج من عالمها، وإن كانت قد لعبت دورًا أساسيًا في الصورة التي كونها عن نفسه كرئيس!".

لقد كان جون منهمكًا في حياته الجنسية، وكان قلقًا من أن يرغم على تبديل مسلكه إن هو انتخب رئيسًا للولايات المتحدة الأمريكية، كما خشي أن تسرب أخباره إلى الصحف فيستفيد منها غريمه (ريتشارد نيكسون)، ورغم انشغالاته الكثيرة كان ينظم برنامجه بشكل يتيح له ممارسة رياضته المفضلة مع النساء، ففي السابع من فبراير عام ١٩٦٠ وبينما كان يتوجه بالطائرة من ولاية تكساس إلى ولاية أوريجون، قرر جون كنيدي تغيير وجهته ليصل إلى فندق "ساند هوتيل" في مدينة لاس فيجاس للقاء المطرب الشهير فرانك سيناترا، الذي وجه الدعوة إلى كنيدي ورفاقه لتناول الشراب في جناحه، بينما كان يستعد لارتداء ملابسه للقيام باستعراضه الغنائي في

النادي الليلي بالفندق.

وفي جناح سيناترا كان هناك عدد من النجوم المشهورين من بينهم: "دين مارين"، و"سامي ديفيز"، و"جوب بيشوب"، و"بيتر لوفورد" وبعد قليل نزل الجميع إلى قاعة الانتظار في الفندق وجلسوا على المائدة المخصصة لفرانك سيناترا..

ويروي أحد الصحفيين المرافقين لجون كنيدي في هذه الرحلة: إن قاعة الانتظار في ذلك اليوم كانت مزدحمة للغاية، وأخذ أناس يجيئون ويرمحون، وحول مائدة سيناترا انتشرت مجموعة كبيرة من فتيات الاستعراضات، ومن بينهن كانت امرأة بالغة الجاذبية لها عينان زرقاوان وشعر في حلكة الليل واسمها "جوديت كامبل اكسنر" وكانت مطلقة وتبلغ من العمر ٢٦ عامًا، وهي ممثلة فاشلة من ممثلات هوليوود، ولكنها كانت نجمة ناجحة من نجوم الحفلات، وقد انزلقت في علاقة غير شرعية مع فرانك سيناترا، وقدمها سيناترا إلى جون كنيدي. وفي اليوم التالي دعاها كنيدي للعشاء واحتساء النبيذ. ثم بدأت علاقتهما العاطفية بعد شهر واحد عندما التقى الاثنان معًا في فندق بلازا في مدينة نيويورك. وخلال هذه العلاقة التي دامت حتى منتصف عام ١٩٦٢ تعددت اللقاءات بينهما في الفنادق والأوتيلات وفي بيت جون كنيدي في جورج تاون، خاصة عندما كانت جاكي تمضي عطلتها في ولاية فلوريدا، بل إن اللقاءات بينهما تعددت أيضًا داخل البيت الأبيض!!

وأغدق عليها كنيدي الهدايا، ومن بينها بروش كبير من الماس والياقوت وشيك بمبلغ ألفي دولار لشراء معطف من فراء المنك الثمين. ولم تنقطع

الاتصالات التليفونية بين اكسنر وجون كنيدي طوال الثمانية عشر شهرًا الأولى له في البيت الأبيض، وهو ما تكشف عنه سجلات البيت الأبيض.

وأكثر الجوانب التي تثير الاهتمام فيما يتعلق بهذه العلاقة هو ما تكشف فيما بعد عن ارتباط "اكسنر" بعصابات المافيا، وخاصة بزعيم المافيا في شيكاغو (سام جيانكان) ونائبه في كاليفورنيا (جون روسيللي). وقد قامت وكالة المخابرات الأمريكية في وقت لاحق بتجنيد الاثنين "سام جيانكان" و"جون روسيللي" في إطار مؤامرة لاغتيال الزعيم الكوبي "فيدل كاسترو".

وعلى الرغم من النواقص العديدة وعدم الاتساق الذي يفوق روايات اكسنر المتعددة لعلاقتها مع جون كنيدي تبقى الحقيقة الأساسية وهي أنها كانت على علاقة بالمافيا، وأن جون كنيدي كان واعيًا بذلك، واستمر في علاقته بها!

ويقول بيتر لوفورد "زوج إحدى شقيقات كنيدي": "كانت جوديت اكسنر تحب مديح نفسها، فأخذت توهم أنها مهمة في حياة كنيدي، مسكينة لم تكن تعرف طباعه، إذ أنه لم يمزج مرة بين الحب والجنس، حتى مع مارلين مونرو، فقد تعرف جون على مارلين في عام **١٩٥٧** إلا أن قصتهما الفعلية تأخرت إلى عام **١٩٥٩** حين قرر الرئيس قضاء عدة أيام معها في بالم سبرنجز، وكان زواج مارلين من الكاتب آرثر ميللر يكاد يصل إلى ختامه، وكانت مارلين تبحث لنفسها عن رفيق ملائم، فالتقت بجون في حفل عشاء"..

ويقول أحد الضيوف الذين كانوا على نفس مائدة هذا العشاء: إن مارلين في رأيي هي أفضل مغامرات كنيدي، لقد كانا من نفس العائلة الروحية، ولدا من أجل الشهرة والنجومية. وكانت مارلين تلك الليلة تمازحه حول مساندتها له في حملته الانتخابية: أتشعر اليوم أن ظهرك أصلب؟.. بينما كان جون يداعبها من تحت الطاولة!

وماذا كان رد الفعل عند جاكلين؟ لما سمعت جاكلين عن علاقة زوجها بمارلين، كانت حاملاً في تلك الحقبة، وقد زارها الكاتب "ترومان كابوت" في نيويورك.. فقالت له: "الحمد لله أنني حامل.. هذه حجة رائعة للاعتذار عن جميع المآدب الرسمية".

وقال كابوت فيما بعد: لقد كانت جاكلين مستعدة للاستمرار في الحفلة رغم هذا.. والحق لها وقد عاونته مرات كثيرة في تنظيم انتخابه داخل الحزب، وحين زارها الصحفي "جوالسوب" في هيانس بورت وجدها قلقة بسبب تدخل الصحافة في شئونها الخاصة؛ فنصحها أن لا ترفض لقاء الصحافة كي تطرد الإشاعات من حولها..

وقد لعبت جوان برادين – وهي زوجة صحفي من كاليفورنيا – دورًا كبيرًا في إقناع جاكي بالمشاركة في الحملة الانتخابية.. تقول: اقترحت على جاكي مجموعة من الأمور كي تساعد زوجها في حملته الانتخابية، وأعتقد أنني تمكنت من إقناعها لسبب واحد، هو أنني كنت حاملاً مثلها، أخذت "أغربل" معها المواعيد والمقابلات التليفزيونية.. ومرات كثيرة كنت أختار نيابة عنها ثم أرافقها إلى الاستديو أو أطلب من شبكة التليفزيون أن تأتي إلى بيتها للتصوير، وخلال الحملة الانتخابية قالت لي جاكي أكثر من مرة أنها

تخشى أن تفقد جنينها، فقد سافرت أكثر من مرة من منطقة إلى أخرى، وفي طقس سيء، وفي مرة أصر مستشارو جون أن تسافر معه جاكي إلى نيويورك، وطلبت منها ألا توافق إن كانت تشعر بالتعب، إلا أنها قالت: "لو رفضت السفر وفشل في الانتخابات، فأنا لن أسامح نفسي أبدًا".. وسافرت معه، وكانت رائعة.. تحدثت بالإسبانية إلى الإسبان، وبالإيطالية في الحي الإيطالي، وبالفرنسية مع الهاتيين خلال المأدبة التي أقيمت في نيويورك. كانت جاكي على بعد أربعة مقاعد من زوجها فتنهدت وقالت لي: "هذه أقرب مسافة بيني وبين زوجي منذ أشهر"!..

وفي مرحلة أخرى ورد أن جاكي كانت تشعر بالقرف وتحاول ما استطاعت أن تكون مسافرة للابتعاد عنه. كانت تتصرف بطريقة غريبة حيال مغامراته.. تتهكم عليه في بعض المرات.. تغضب مرات أخرى.. أو تصمت وتغض الطرف، وذات مرة كان الزوجان معًا لقضاء عطلة في بالم سبرنجر، ولما عادت جاكي من البحر قالت لزوجها: "انزل بسرعة إلى الماء.. لاحظت لك جميلات من النوع الذي يعجبك"..

وفي مناسبة ثانية – وخلال حفل في البيت الأبيض – أجلسته بين سيدتين كانت قد سمعت أنه عاش علاقات معهما!

ولأن المناظرات التليفزيونية التي تسبق الانتخابات هي الأهم في أغلب المعارك الانتخابية؛ فعن هذه المواجهات قال أحد مستشاري كنيدي: حين عدنا من نيويورك أمضى كنيدي عشرين دقيقة مع فتاة جميلة.. وليلة المناظرة مع نيكسون سألني جون ما إذا كنت أمنت له فتاة الليل، فاهتممت بالموضوع.. ويبدو أن هذه اللقاءات كانت تريحه! فقد كان كنيدي خلال

المناظرة التليفزيونية مرتاحًا مبتسمًا أمام الجمهور. أما نيكسون فكان شاحبًا!. وقبل كل مناظرة كنا ننصاع لرغبات جون النسائية.. وبعكس ما توقع البعض لم يبدل فوز كنيدي بمنصب الرئاسة أنملة في تصرفاته. ويبدو أن مشكلته الأساسية في بداية عهده كانت التفلت من رجال الأمن.

ويقول مارش فنكر "أحد المسئولين عن حراسته": ذات مرة طلب جون من أحد الخدم أن يلفه في سجادة كي يتمكن من الخروج من البيت الأبيض! لقد كانت أجهزة الأمن تتفقده باستمرار، وحين فهموا أسلوبه أخذوا يتصرفون معه بشكل مختلف، ويعاونونه على تحقيق رغباته.

وعن علاقة كنيدي بالمخابرات الأمريكية في هذا الشأن، فقد نظمها تمامًا.. يقول أحد مرافقيه:كان المخبرون رجال الأمن الشباب لا يصدقون أعينهم حين طلب منهم مرافقة الرئيس، كانت مهمتهم الأساسية أن يحتفظوا بما يشاهدونه لأنفسهم.. وكان كنيدي يحب إشراكهم في حفلاته لأنهم شباب مثله يحبون السهر والخمر والنساء.. كان يشعر أنهم أصدقاؤه، وأنهم لن يفشوا أسراره أبدًا.. لقد كانت مرافقة الرئيس عيدًا دائمًا. كان كنيدي يقبل على الحياة بشهية معتقدًا أن كل رغباته ستتحقق، وأن كل الأمور تسير على ما يرام!

كان الرئيس قد عين لنفسه في البيت الأبيض غرفة نوم مستقلة عن غرفة زوجته يستعملها حين تكون غائبة. من جهة أخرى كانت جاكي تضجر من البيت الأبيض، وكان هو يشجعها كي تسافر باستمرار.. وخلال أسفار الرئيس كنا ما أن نحط الرحال حتى نجتمع حول الرئيس مرتين.. الاجتماع الأول لتحضير الملفات السياسية، والاجتماع الثاني – وكان يحضره

دومًا رئيس المخابرات – فكان لتنظيم برنامج الرئيس (الإنساني)!!.. كان رجال الشرطة السرية يسبقون الرئيس إلى المدن المزمع زيارتها لتنظيم المواعيد الغرامية مع أجمل حسناوات المنطقة اللواتي لم يرفضن مرة فكرة لقاء رئيس الولايات المتحدة الأمريكية! أما الحفلات الخاصة، التي كانت تنظم في البيت الأبيض، فقد كانت تدور غالبًا حول حمام السباحة.. وكانت أوامر رجال الأمن صارمة للخدم.. إذ يمنع بتاتًا اقترابهم من مكان الحفل..

ويبدو أن كل العاملين في البيت الأبيض كانوا يحفظون أسراره.. وبدوره كان يعرف تحركات زوجته بحذافيرها.. كان يعرف – مثلاً – أن طائرتها ستصل في السابعة، ولأنه على اتصال دائم بالمسئولين عن حمايتها كانوا يبلغونه حين تهبط طائرتها على أرض المطار، وحين تنزل من الطائرة وتركب السيارة.. أي أن حفلاته كانت أشبه بالمغامرات البوليسية لا ينهيها قبل أن تدخل سيارة جاكي إلى البيت الأبيض..

أما الحسناوات المشاركات في الحفل، فكن يطلب منهن – ببساطة – الخروج من باب خلفي! يقول بيتر لوفورد عن علاقة جون بجين مانفيلد: كانت جين شقراء فاتنة، إلا أنها لم تكن شعلة ذكاء.. التقى بها الرئيس ثلاث مرات.. الأولى في بيفرلي هيلز.. والثانية في ماليبو.. والثالثة في بالم سبرنجر.. كان زواجها يصل إلى نهايته.. وكانت تنادي كنيدي (مستر كاي)، وكان الرئيس يمتدح مفاتنها ويقول أنها أجمل جسم في هوليوود!

وتروي ليزلي ديفرو، وهي بائعة هوى معروفة في نيويورك، أن بيتر لوفورد، وهو رئيس شعبة المخابرات المسئولة عن مغامرات الرئيس العاطفية، اتصل بها وطلب منها لقاءً في فندق (كارليل) وحين صعدت إلى الغرفة

المتفق عليها وجدت نفسها وجهًا لوجه مع رئيس أمريكا، ويبدو أنها التقت بالرئيس بعد ذلك أكثر من مرة!

ورغم هذا فهناك بعض النساء رفضن الوقوع في شرك الرئيس الوسيم، منهن "شيرلي ماكلين" التي كانت تمضي بضعة أيام عند فرانك سيناترا، حين أعلن الرئيس أنه ينوي زيارته فطلب سيناترا من الزائرة الحلوة أن تستقبل الرئيس على أرض المطار.. وفي السيارة حاول كنيدي مغازلتها، ففتحت الباب وقفزت.. توقف السائق وطلب منها الصعود بسرعة كي لا تعرض حياة الرئيس للخطر، وقد قالت شيرلي جملة أصبحت اليوم شهيرة وهي: "الحق أنني أفضل رئيسًا يمارس رغباته مع النساء بدلاً من جن يمارسها على بلاده وشعبه".

وفي سبتمبر ١٩٥٨ حضر جون كنيدي والسناتور الأمريكي "جورج سمازوز" حفلة في السفارة الإيطالية في واشنطن، شاركت فيها نجمة السينما العالمية الإيطالية "صوفيا لورين" وكانت جاكي خارج واشنطن، وبدا أن صوفيا بمفردها ولا يرافقها أحد، وأبدى جون كنيدي اهتمامه بالتعرف على صوفيا لورين، ولكنه بدلاً من أن يتجه إليها مباشرة انتظر في فناء السفارة الإيطالية وبعث إليها بصديقه السناتور "جون سمازوز" الذي أخذ يحادث النجمة العالمية بنغمة ناعمة محاولاً إغراءها، وقال لها أن صديقه كنيدي الذي من المتوقع أن يصبح رئيسًا للولايات المتحدة الأمريكية قريبًا، يدعوها لتناول طعام العشاء معه في منزله.. وأضاف سمازوز: إن الشمبانيا قد أعدت بالفعل.. ورفضت صوفيا لورين هذه الدعوة في أدب، ولكن بحزم، وشهد الموقف – موقف عرض الدعوة والرفض – "ماكسين تششاير" الذي كان

يقف بالقرب من صوفيا لورين والسناتور جورج سمازوز.. وعاود سمازوز دعوته مرة ثانية وثالثة ولكن صوفيا لورين صدته. وعاد السناتور سمازوز إلى فناء السفارة الإيطالية حيث كان جون كنيدي ينتظر، وأبلغه برفض صوفيا لورين، ولكن كنيدي لم يكن من نوع الرجال الذين ينتابهم اليأس من أول مرة؛ فأقنع جورج سمازوز بالعودة من جديد إلى صوفيا لورين لإقناعها بقبول دعوته على العشاء والشمبانيا!. وعندما عاد سمازوز إلى صوفيا لورين نظرت إلى المراسل الصحفي "ماكسين تششاير" تستنجد به للتخلص من إلحاح سمازوز المتكرر وإزعاجه لها، وبدت صوفيا لورين كما لو كانت تتوسل إلى ماكسين تششاير لينقذها من هذه الورطة، ولكن السناتور سمازوز لم يفهم تلميحات النجمة العالمية وتصور أن المراسل تششاير هو مرافقها أو مترجمها الخاص فابتسم سمازوز لها قائلاً بلهجة غاضبة: "أوه يا للجحيم يمكنك أن تأتي بصديقك أيضًا لسهرة رباعية".

وعلى الرغم من فشل محاولات جون كنيدي مع صوفيا لورين، إلا أنه حقق نجاحًا ملموسًا مع "باميللا تيرنر" البالغة من العمر ٢١ عامًا، والتي كانت نجمة جديدة في الحفلات الاجتماعية في واشنطن، والغريب أن باميللا تيرنر كانت تشبه جاكي إلى حد كبير وتتسم بنفس التحفظ..

وقد عملت باميللا في وظيفة سكرتيرة في مكتب السناتور جون كنيدي، ثم انضمت – في وقت لاحق – إلى الفريق المسئول عن حملته في انتخابات الرئاسة الأمريكية.. وقد أثارت لقاءات باميللا تيرنر الليلية في شقتها مع جون كنيدي ضيق وغضب أصحاب المنزل، وهما زوجان كاثوليكيان؛ فقاما بوضع أجهزة تسجيل في فتحة التهوية الموجودة في غرفة نوم باميللا، وعمدا

أيضًا إلى تصوير جون كنيدي وهو يخرج من شقتها مسرعًا كمن يلوذ بالفرار تحت جنح الظلام..

وقد ضم "إدجار هوفر" مدير مكتب التحقيقات الفيدرالية آنذاك هذه الأدلة إلى ملفات جون كنيدي المتضخمة.. وقررت باميللا الانتقال إلى شقة أخرى، وبناء على توصية من جون كنيدي نفسه، انتقلت للإقامة في بيت "ماري ماير" وهي فنانة حرة متخرجة في كلية البنات في فاسار والتي تخرجت فيها أيضًا جاكلين كنيدي، وبالتالي كانت صديقة لها..

ويقول جيمس أنجلتون "مدير العمليات السرية في وكالة المخابرات المركزية الأمريكية" وكاتم أسرار ماري ماير: أن ماري ماير نفسها في مأزق حرج رغمًا عنها؛ فباميللا تيرنر تقيم معها، وبالتالي أصبحت ترى جون كنيدي وهو يزورها سرًا، وتتكشف لها العلاقة الغرامية بين الاثنين، ولكن ما كان بمقدورها أن تفعل شيئًا رغم أنها صديقة لجاكي..

ويضيف جيمس أنجلتون: أنه عندما تم تنصيب جون كنيدي رئيسًا للولايات المتحدة الأمريكية، اقترح على جاكي تعيين باميللا سكرتيرة صحفية لها، ولكن جاكي تساءلت مندهشة عن مبرر ذلك، خاصة وأنها ليست بحاجة إلى سكرتيرة صحفية، علاوة على أن باميللا تيرنر لم تكن لديها خبرة من أي نوع في العمل مع رجال الصحافة ومواجهتهم، ولكن في نهاية الأمر رضخت جاكي لاقتراح جون كنيدي، خاصة بعد أن تبينت أنها بتعيينها باميللا سكرتيرة صحفية لها سيكون بمقدورها مراقبتها عن كثب. ولكن ما لم يكن في قدرة جاكي التنبؤ به آنذاك هو قيام جون كنيدي في وقت لاحق بقطع علاقته مع باميللا تيرنر والدخول في علاقة غرامية مع

ماري ماير صديقة جاكي!!..

يقول أحد معاوني جون كنيدي، وهو "لانجدون مارفن": علاقات الرئيس الأمريكي الأسبق مع النساء كان يمكن أن تصبح لها نتائج مدمرة لأبعد الحدود، ويشير لانجدون في هذا الصدد إلى إحدى المرات التي انغمس فيها كنيدي مع ملذاته وتملص من حرسه الخاص حتى أن أحدًا لم يكن يدري مكان وجوده لبعض الوقت.. وكان من بين من تركهم كنيدي خلفه وهم في حيرة من أمرهم، حامل الصندوق الأسود الذي يحتوي على النظام الشيفري الخاص بشن هجوم نووي على الاتحاد السوفيتي أو الرد على أي هجوم مماثل من جانب موسكو..

وخلال تلك الفترة التي أمضاها كنيدي في مضاجعة إحدى الفتيات كان بمقدور موسكو أن تشن هجومًا نوويًا ساحقًا وماحقًا على الولايات المتحدة دون أن تستطيع واشنطن الرد على ذلك من جانبها.

ومرة ثانية عندما فقد جون كنيدي دفتر التليفونات الخاص بعشيقاته في ولاية أريزونا، وعندما تم العثور عليه أرسل إلى جناح كنيدي بفندق كارليل بمدينة نيويورك دون علمه، في الوقت الذي كان وزير الخارجية السوفيتية يزور نيويورك لحضور مؤتمر تابع للأمم المتحدة، وتصادف أن نزل وزير الخارجية السوفيتية في نفس الجناح الذي كان مخصصًا لكنيدي في الفندق.

ويقول لانجدون مارفن: إن كنيدي اتصل به في اليوم التالي وهو في حالة من الذعر، مما دفعه – أي لانجدون مارفن – إلى رشوة عامل المصعد في فندق كارليل، ليتيح له الدخول إلى جناح وزير الخارجية السوفييتية، وعثر

بالفعل على لفافة مربوطة بداخلها دفتر التليفونات الأسود، دون أن تمسه يد..

ويشير لانجدون مارفن إلى أن مخاوف كنيدي كانت تتمثل في إمكانية قيام جريدة "برافدا" الناطقة بلسان الحزب الشيوعي السوفييتي بنشر فضائح الرئيس الأمريكي الجنسية في صدر صفحتها الأولى لو امتدت يد وزير الخارجية السوفيتية إلى دفتر التليفونات قبل أن يعثر عليه لانجدون مارفن!

كان "د. ماكس جاكوبسون" الملقب بطبيب النشاط ودكتور العجائب – وكان من أصل ألماني ويعمل على تركيب المنشطات منذ سنوات وهي مواد يمنعها القانون، ولذا فقد طرد من نقابة الأطباء في الولاية التي كان يمارس فيها – كان يعطي حقنه السحرية لكتاب وفنانين ورجال سياسة.. وكان كل هؤلاء يمتدحون قدرته ويقولون أنه يساعدهم على إعطاء أفضل ما عندهم، فحقنة تتيح لهم العمل لساعات طويلة بلا تعب ولا نوم.

وكان جون كنيدي قد اتصل بجاكوبسون للمرة الأولى في عام ١٩٦٠ قبل أسبوع من مناظرته التليفزيونية مع نيكسون؛ فحملته الانتخابية وحياته الغرامية كانت قد أضنتاه. طرح الطبيب عليه مجموعة من الأسئلة حول صحته. وقال له: أنه متعب بسبب التوتر والعمل المستمر، ووعده بمعالجته، فحقنه بدواء من ابتكاره، فشعر كنيدي بحرارة تجتاح جسده.. ثم شعر بنشاط غريب.. وفي مايو من العام التالي كان كنيدي سيسافر مع جاكي إلى كندا في زيارة رسمية، فاتصل بجاكوبسون ليأتي إلي بالم بيتش، وحين وصل استقبله الرئيس وقال له أنه غير مرتاح لصحة جاكي فهي حزينة دائمًا وتشتكي من ألم في الرأس، وبعد مناقشة قصيرة قرر الطبيب حقن جاكي للتخفيف من ألم في الرأس، ومنذ ذلك اليوم أصبح جاكوبسون يعالج الرئيس

وزوجته بشكل دائم، حوالي ثلاث أو أربع مرات أسبوعيًا..

وفي عام ١٩٦١ أدمن جون وجاكي المنشطات، فقد اكتشفا أن هذه الحقنة تعينهما على العمل بنشاط ولساعات طوال، وكانا يؤمنان بموهبة جاكوبسون، ولم يسألا مرة عن تركيبة الحقن التي يستخدمها!..

تقول روث مور – وهي ممرضة عملت مع جاكوبسون – أنه إنسان خطر ونصاب.. وذات مرة حاول طبيب البيت الأبيض مناقشة قضية المنشطات مع الرئيس، إلا أنه رفض نصائحه، فقرر الطبيب تحليل حقن جاكوبسون فتبين أنها منشطات بالفعل؛ فقال الرئيس: "إذا كان هذا الدواء يفيدني ويريحني فما يضير إن كان من المنشطات؟"..

وفي نوفمبر عام ١٩٦٣ تناول الرئيس حقنته الأخيرة قبل رحلته إلى دالاس، وقال جاكوبسون: "لقد كان الارتياح باديا على ملامحه، غير أن الإشاعات كانت تقول أن رحلته هذه ستكون خطرة، فعبرت له عن قلقي، إلا أنه طمأنني وضحك!!".

من يقدر على إيميلدا ؟!

مسكينة شعوب العالم الثالث، معيبة عند معظمها الديمقراطية، ومن ثم لا سبيل أمامها لمسائلة الحكام، الأمر الذي يجعل مصيبة هذه الشعوب ليست مصيبة واحدة، وإنما مصيبتين في آن واحد: مصيبة من خارجها وأخرى من داخلها. التي من خارجها تتمثل في الاستعمار في الأصل، بواسطة تحجيم انطلاقاتها الاقتصادية وتعويق تقدمها في سبيل اعتمادها على ذاتها ليتحرر قرارها السياسي من التبعية. أما مصيبتها التي من داخلها ففي حكامها الذين يأمنون شره نفوسهم لاستلاب أموال هذه الشعوب المسكينة بنظم حكم ديكتاتورية تجعلهم في منأى عن مساءلة شعوبهم لهم، بل حتى عن رصد تنامي ثرواتهم والبحث في مصادرها.. لكأنها مؤامرة محبوكة بين طرفي الانتكاسة: الخارجي والداخلي، لإفقار هذه الشعوب المغلوبة على أمرها والغنية في الأصل، وإلا ما كانت مطمعًا للاستعمار قديمه وحديثه، ولكنها في النهاية فقيرة لافتقارها للحرية والديمقراطية، ومن وطأة المصائب النهمة لثرواتها..

وها نحن بصدد سيرة واحد من مصاصي دماء الشعوب هؤلاء.. ماركوس وزوجته إيميلدا، وفضائحهما الجنسية والمالية، ففي عام ١٩٦٩، وفي إطار محاولات "فيردناند ماركوس" لإعادة انتخابه رئيسًا للفلبين، طلب كتابة سيرة ذاتية جديدة له، وأراد إنتاج فيلم سينمائي يتناول تاريخ حياته!! وهذه في حد ذاتها حيلة قديمة ومستمرة عند أصحاب الديكتاتوريات، فما أن توشك فترة حكم الديكتاتور على الانتهاء، حتى يعد العدة لفرض فترة

جديدة ثقيلة على شعبه، والديكتاتور ذاته هو أول من يدرك سقوط أسهمه لدى الجماهير التي اكتوت بناره، ولأنه دائمًا رجل بلا إنجازات حقيقية لوطنه فتراه يعمل على نحو يحقق المثل الذي طالما تواتر عند الجماهير البسيطة. "اللي على رأسه بطحة يحسس عليها"، وهو كصاحب بطحة كبيرة واسعة سرعان ما يسعى لمغازلة الإحساس الكامن بالقهر في نفوس الجماهير، مصورًا نفسه بطلاً مغوارًا درأ عن البلاد جحافل المستعمر الغاصب أو طردها من البلاد وحقق لها استقلالها! بينما تتردد أصداء ذلك في الأوساط الجماهيرية بما يعني أن المستعمر الأجنبي كان في أكثر الأحوال أرحم بالشعب من الديكتاتور الوطني؛ فحلم الشعوب الدائم يتمثل في الحرية والرخاء، وهما أمران لم يتحققا على يد ديكتاتور أبدًا..

كان أن تولى كتابة سيرة ماركوس الذاتية الصحفي الفلبيني "بنيامين جران"، أما بالنسبة للفيلم السينمائي فقد أراد ماركوس أن تقوم بدور البطولة فيه "جرتشين كوجانكو" زوجة صديقه الثري "إدوارد كوجانكو" وهو دور حبيبة ماركوس خلال الحرب العالمية الثانية، ولكن إيميلدا ثارت غيرتها ورفضت هذا الاختيار، وأخيرًا تقرر اختيار اثنتين من الممثلات الأمريكيات، وهما "جويس ريس" و"دوفي بيمز" للقيام بالدور بصورة مبدئية على أن يحسم ماركوس الأمر بنفسه في نهاية الأمر.. وبالفعل توجهت الممثلتان إلى مانيلا حيث التقى ماركوس بهما، وبعد دقائق من لقائه بهما طلب أن يخلو بـ "دوفي" حيث دار بينهما حديث حول عالم السينما وأخبرها ماركوس أنه رئيس الفلبين وأنه أحبها من أول نظرة!

في اليوم التالي عاود ماركوس زيارته للممثلة "دوفي بيمز"، وبدأت علاقة

غرامية بينهما استمرت لمدة عامين بعد ذلك، وحصلت "دوفي" بالطبع على موافقة ماركوس على القيام بدور حبيبته خلال الحرب العالمية الثانية. ولنتتبع الآن لنرى كيف يخدم الديكتاتور مراهقته المتأخرة، ولنستشف أي لص إقطاعي هو.. لقد اختار ماركوس منزلاً لعشيقته في إحدى ضواحي مانيلا عاصمة الفلبين، ووضع تحت إمرتها مجموعة كبيرة من الخدم والحراس الخصوصيين علاوة على سكرتير شخصي!

وفي بداية علاقته معها، أخبرها ماركوس أنه منفصل في الواقع عن زوجته "إيميلدا" منذ سنوات عديدة، وأوضح لها أنه لا يستطيع الانفصال عنها رسميًا على الرغم من أنهما منفصلان بالفعل كزوجين.. واعترف ماركوس لعشيقته "دوفي" أيضًا بأنه متزوج زواجًا عرفيًا من "كارمن أورتيجا" وأن أمه مازالت تعتبر "كارمن أورتيجا" هي زوجته الحقيقية!

وبعد بضعة أسابيع من بدء العلاقة بينهما، بين ماركوس ودوفي، منحها ماركوس الفرصة للقيام برحلة إلى هونج كونج لشراء مجوهرات لها، ولتمضية إجازة في جزر "الباهاما". وفي هونج كونج ابتاعت دوفي مسجلاً صغيرًا لتستخدمه في تعلم لغة "تاجالوج" واللغة الإسبانية على يد ماركوس، وأيضًا لمآرب أخرى سنوردها في موقعها المناسب!

وكان ماركوس – عندما تغادر زوجته إيميلدا الفلبين – يمضي كل وقته مع دوفي. وبعد أن ينام ماركوس، كانت دوفي تفحص الأوراق والمستندات على مكتب الرئيس الفلبيني وتختار من بينها ما تريد الاحتفاظ به! ومن المعروف أن ماركوس كان يحضر دوفي إلى مقر إقامته في قصر "مالاكانانج" في مانيلا، عندما تكون زوجته إيميلدا خارج العاصمة الفلبينية..

وبدأ تصوير الفيلم بالفعل، ولكن ببطء، وأصبحت "دوفي بيمز" شخصية مشهورة في مانيلا، ومنحها ماركوس منزلاً آخر في العاصمة الفلبينية لتعقد فيه مؤتمراتها الصحفية. وكثر غياب ماركوس عن عيني زوجته إيميلدا التي كانت عندما تشعر بالشك وترتاب في غيابه، تأمر حراسها بأخذها في رحلة بالسيارة في مانيلا للبحث عن ماركوس! وبالطبع كان الحراس يعرفون أين يكون الرئيس الفلبيني، وبالتالي يقومون بأخذ إيميلدا إلى أماكن أخرى ليس من المتوقع أن يوجد بها ماركوس، ذلك وعلى الرغم من العلاقة الهشة التي كانت تربط بين ماركوس وإيميلدا، إلا أن بعض الأشخاص في قصر "مالاكانانج" كانوا يعتقدون أن العلاقة بينهما على ما يرام، خاصة أن إيميلدا كانت تستيقظ في الصباح متألقة ومتوردة الوجنتين، بينما كان السبب في ذلك أنها تحتفظ في غرفة نومها بأنبوبة أكسوجين، وتمضي بضع دقائق بعد استيقاظها بتمرينات للتنفس!

ونعود لـ "دوفي"؛ فذات مرة قرأت دوفي بيمز تحقيقًا صحفيًا في إحدى مجلات هونج كونج، يصف ماركوس بأنه أغنى رجل في آسيا.. وعندما سألت "دوفي"، "ماركوس" عن حقيقة الأمر أجابها قائلاً:

– حسنًا.. إن إيميلدا أكثر مني مالاً..

وأوضحت له دوفي أن هدفها الوحيد في الحياة أن تكوّن ثروة، فأعرب ماركوس لها عن امتنانه لأن علاقته معها حالت دون إصابته بانهيار عصبي، واتخذ عدة ترتيبات مالية لتأمين مستقبلها من الناحية المادية، وذلك عن طريق صديقه المصرفي "روبرتو بنيديكتو"، ومن المعروف أن "ماركوس" و"بنيديكتو" يمتلكان بنكًا في "بيفرلي هيلز" بالولايات المتحدة الأمريكية،

وربما من قبيل الرغبة في إبراز قدراته في مجال المناورات السياسية، أو ما يتمتع به من ذكاء..

أمام عشيقته راح ماركوس يستعرض "دوفي" حيله وأساليبه ليبقى في الحكم مجددًا فترة رئاسية جديدة بالرغم من أن ذلك يتم بواسطة الانتخابات!! ولا عجب فالانتخابات لفظ مفترى عليه من ذلك الذي يجري في معظم دول العالم الثالث. إنهم فقط يعطلون الأعمال ويصدعون رءوس الناس بدعاياتهم وقوائم بطولاتهم وإنجازاتهم الوهمية، وفي النهاية تزييف إرادة الجماهير ليظل الحاكم حاكمًا وهو القابض بيد من حديد على مقاليد الأمور في البلاد.. فماذا قال ماركوس لـ "دوفي" وهو يستعرض قدرته على استغفال شعبه، قال أنه دفع بالليبراليين ليرشحوا "سيرجو أوسيمنا" كمنافس له في انتخابات الرئاسة.. أما لماذا سيرجو أوسيمنا بالتحديد؛ فلأنه من السهل على ماركوس أن يهزمه! وأكد لها أنه سيفوز سواء بالحق أو بالباطل، وأنه مستعد لاستخدام التهديد الشيوعي للبلاد كذريعة لإعلان الأحكام العرفية إذا ما اضطر إلى ذلك.

وخلال الحملة الانتخابية أخذ ماركوس يتهم منافسه "أوسيمنا" بالخيانة لتعامله مع اليابانيين خلال الحرب العالمية الثانية.. ومن المثير للسخرية أن أوسيمنا قدم نفسه خلال المعركة الانتخابية على أنه موال للولايات المتحدة الأمريكية! وبالتالي اتهمه ماركوس بأنه مرشح وكالة المخابرات المركزية الأمريكية!

وقبل خمسة شهور من انتخابات نوفمبر **١٩٦٩** قدم الرئيس الأمريكي "نيكسون" إلى الفلبين في زيارة رسمية بعد أن هدده ماركوس بأنه سيدير ظهره

للولايات المتحدة إذا لم تسانده بوضوح وبشكل قاطع في الانتخابات؛ فجاءت زيارة نيكسون لدعم ماركوس وطمأنته على أن واشنطن تقف إلى جواره..

ومع اقتراب موعد انتخابات الرئاسة في الفلبين، تصاعدت حدة العنف واتسمت المعركة الانتخابية بالدموية والعمليات الإرهابية بصورة لا مثيل لها، وصل العنف إلى مداه عن طريق تنفيذ الجانبين المتنافسين "ماركوس" و"أوسيمنا" لعمليات اغتيال وحرق قرى بأسرها وتسويتها بالأرض، وبالتزوير والأساليب غير المشروعة حقق ماركوس انتصارًا ساحقًا وحصل على ٧٤% من أصوات الناخبين.

وقد اضطر ماركوس إلى إنفاق ١٦٨ مليون دولار لإعادة انتخابه رئيسًا للفلبين، وقام بتمويل حملته الانتخابية بواسطة عدة طرق من بينها طبع مزيد من البنكنوت، وبالتالي زيادة نسبة التضخم في البلاد، واستنزاف موارد الفلبين من النقد الأجنبي. وعلاوة على ذلك، أجبرت هذه الظروف ماركوس على تبني برنامج للتقشف، وتخفيض قيمة العملة الفلبينية (البيو) بنسبة ٥٠%.وطوال هذه الفترة (فترة انتخابات الرئاسة) افتقدت "دوفي بيمز" ماركوس، حيث أنه كان مشغولاً وغارقًا حتى أذنيه في معركة انتخابات الرئاسة.

وقامت دوفي خلال تلك الفترة بأجازة خارج الفلبين، وعندما عادت وجدت ماركوس في حالة من الضياع لم تجد لها تفسيرًا ولا مبررًا، ولكن الكولونيل "فابيان فير" رئيس البوليس السري حضر لزيارتها ذات يوم وبرر لها شعور ماركوس بالضياع والهزيمة، إذ كانت نبرة توجيه الاتهامات بالفساد والاحتيال والكسب غير المشروع لماركوس قد علت، وفي مواجهة هذه

الاتهامات أعلن ماركوس أنه سيتنازل عن كل ممتلكاته إلى "مؤسسة ماركوس"، ولأنها كانت مناورة لكسر حدة نبرة الاتهامات الموجهة ضده، عاد بعد فترة ليعدل كلامه قائلاً أنه سيتنازل عن ممتلكاته هو، ولكنه لا يستطيع التنازل من الناحية القانونية عن ممتلكات زوجته "إيميلدا" أو عن ممتلكات أطفاله..

وفي الثلاثين من ديسمبر ١٩٦٩، جرت مراسم تنصيب ماركوس رئيسًا للفلبين وسط إجراءات أمن مشددة لم يسبق لها مثيل، وفي شوارع مانيلا اندلعت مظاهرات على مدى عدة أيام على التوالي وشارك فيها خمسون ألفًا من المعارضين احتجاجًا على فوز ماركوس في المعركة الانتخابية بطريقة غير مشروعة. وقامت قوات الأمن بسحق المظاهرات، ومكث ماركوس في مقره بقصر "مالاكانانج" لعدة أسابيع تالية وأجريت عمليات استحكامات لمختلف منافذ القصر، وانتشرت قوات الأمن والبوليس السري حوله وبين جنباته، واتهم ماركوس وقتها وكالة المخابرات المركزية الأمريكية بأنها تساند جناحًا يمينيًا في الفلبين للقيام بانقلاب للإطاحة به..

وذات يوم عادت دوفي إلى منزلها الواقع في إحدى ضواحي مانيلا لتجده يجرى إخلاؤه، وكانت دوفي تلتقي في هذا المنزل مع ماركوس. وأوضح لها ماركوس بعد ذلك أن أعداءه يراقبون المنزل، وبالتالي لم يعد من الحكمة استخدامه كعش للغرام. ووافقت دوفي على ذلك وقررت الانتقال للإقامة في مقرها العلني في مانيلا، وفيما بعد علمت دوفي أن ماركوس كذب عليها، وأن المنزل تم تجديده ليصبح مقرًا لزوجة ماركوس العرفية "كارمن أورتيجا"..

وفي إطار هذا المناخ تصاعد التوتر بين دوفي وبين ماركوس، وقامت دوفي بتسجيل شريطين جديدين للرئيس ماركوس وهو يمارس معها الحب،

وأضافت هذين الشريطين لحصيلتها السابقة من الأشرطة المسجلة والوثائق وبعض الملابس الداخلية لماركوس!! وبعد بضعة أيام قررت دوفي العودة إلى لوس أنجلوس بعد أن علمت أن ماركوس يرفض عرض الفيلم الذي قامت فيه بدور البطولة، وهو الفيلم الذي يسجل السيرة الذاتية للرئيس الفلبيني. وسافرت دوفي إلى لوس أنجلوس وهي مصممة على الانتقام من ماركوس..

وفي أغسطس، أي بعد سبعة شهور، قررت دوفي العودة إلى مانيلا لتهدد ماركوس وتطلب منه الثمن! وعند وصولها إلى مانيلا، نقلها "فابيان فير" رئيس البوليس السري الفلبيني للقاء ماركوس بعيدًا عن قصر مالاكانانج، وهناك في هذا المنزل جرت مواجهة عنيفة بين دوفي وماركوس، اتهمته خلالها بأنه كاذب ولعين. وبعد هذه المواجهة تم نقلها إلى غرفة بفندق "سافوي" بمانيلا حيث قام عدد من معاوني ماركوس وعلى رأسهم "فابيان فير" بالاعتداء عليها بالضرب وتعذيبها..

وفي حمام الغرفة وجدت دوفي تليفونًا حيث اتصلت من خلالها بسكرتيرها الشخصي وطلبت منه إرسال رسالة شفوية للناشر الأمريكي "ويليام راندولف هيرست" في بالم سبرنجز بولاية كاليفورنيا لإخباره بما يجري لها من تعذيب، وفي هذه الأثناء أعادها "فير" إلى حجرتها الأصلية في فندق "هيلتون" وبعد ذلك اتصل بها ويليام هيرست، وطلب منها الاتصال بالسفير الأمريكي لدى مانيلا ويدعى "بايرود".

وبالفعل قامت دوفي بالاتصال تليفونيًا بالسفارة الأمريكية، وبعد قليل قام بزيارتها القنصل الأمريكي لورانس هاريس، حيث أبلغها أن إيميلدا تعرض عليها مائة ألف دولار كي تلتزم الصمت، ثم التقت دوفي بعد ذلك بالسفير

بايرود في السفارة الأمريكية، حيث كرر عرض المائة ألف دولار، وحذرها أنها إذا لم تقبل هذا العرض فإيميلدا ربما تأمر بقتلها.. وبينت دوفي بسرعة أنها تضع نفسها في خطر إذا واصلت الصمت، وعندما أبلغت السفير بايرود والقنصل الأمريكي هاريس بالوثائق والأشرطة التي لديها تغير موقف المسئولين الأمريكيين على الفور، وقرروا نقلها إلى فندق آخر يمكن من خلاله لرجال أمن السفارة الأمريكية حراستها.

وفي الفندق الجديد، عقدت دوفي مؤتمرًا صحفيًا وجهت اتهاماتها فيه لرئيس الفلبين، ولكنها لم تشر إليه صراحة، واكتفت بالإشارة إليه ضمنًا تحت مسمى "فريد"، وخلال المؤتمر الصحفي قامت دوفي بإدارة أحد الأشرطة التي سجلتها خلال أحد لقاءاتها الغرامية مع ماركوس متضمنًا التأوهات والآهات والغمغمات، وكان الشريط واضحًا لدرجة أن جميع المراسلين استطاعوا التعرف على صوت ماركوس دون عناء..

وقام مراسلان بتسجيل الشريط الذي أذاعته دوفي، وقد دفع زعيم المعارضة "بنبنو أكينو" خمسمائة دولارا للحصول على نسخة من هذا الشريط. وفور المؤتمر الصحفي استولى الطلبة في جامعة الفلبين على محطة إذاعة الحرم الجامعي وأخذوا يذيعون من خلالها نسخة من الشريط الذي أذاعته دوفي على المراسلين، وسرعان ما انتشرت نسخ الشريط في أنحاء البلاد، واستمع إليه المواطنون الفلبينيون في كل مكان.

واضطرت قوات الأمن لاقتحام جامعة الفلبين لإسكات الإذاعة، وفي نفس الوقت طالب بنينو أكينو في مجلس الشيوخ الفلبيني بإجراء تحقيق في الموضوع..ومع تفاقم الفضيحة رافق معاونو السفير الأمريكي دوفي إلى مطار

مانيلا الدولي الذي كان ممتلئًا بمعاوني ماركوس وجواسيس إيميلدا، وتوجهت دوفي على متن طائرة الخطوط الجوية الفلبينية إلى هونج كونج.. ولم يحاول ماركوس منعها من السفر لأنه كان غارقًا حتى أذنيه في مواجهة مناورات إيميلدا وعملائها السريين.

وكانت محاولة إنقاذ دوفي عن طريق إخراجها من الفلبين عملية صعبة، خاصة وأن عملاء إيميلدا كانوا في كل مكان يريدون القضاء عليها بأي ثمن، وعلى رأسهم القاتل المحترف "دولفين كويتو"، وعلى الرغم من أن السفارة الأمريكية قامت بتأمين مقاعد الطائرة المحيطة بدوفي، ووضعت فيها مجموعة من المعاونين الفلبينيين المخلصين، إلا أن إيميلدا دفعت مسئولاً في الخطوط الجوية الفلبينية لإبعادهم عن مقاعدهم الأصلية لكي يجلس القاتل المحترف دولفين كويتو في المقعد التالي لمقعدها، كذلك أرسلت إيميلدا فرقة مكونة من عشرة رجال للقضاء على دوفي لدى وصولها إلى هونج كونج، وذلك على متن طائرة تابعة لسلاح الطيران الفلبيني من طراز "سي - ١٣٠".

وفي مطار كان تالك في هونج كونج وقعت مواجهة عنيفة بين حارس دوفي الخاص وبين القاتل المأجور دلفين كويتو، ابتعد بعدها كويتو عن طريق دوفي، وتمكنت دوفي من النجاة في نهاية المطاف، وبعد تدخل رجال البوليس السري البريطاني في هونج كونج من العودة إلى "لوس أنجلوس"، وهناك كشفت عن مقتنياتها الخاصة جدًا والتي شملت قطعًا من ملابس ماركوس الداخلية، وأشرطة للتسجيل عن لقاءاتهما الغرامية، علاوة على المستندات التي استولت عليها من مكتب ماركوس عندما كان يستقبلها في قصر ماكالانانج في حالة غياب إيميلدا.

وفي الأعوام التالية واصلت إيميلدا محاولاتها الرامية لاستعادة المقتنيات وبعثت بمبعوثين لها إلى لوس أنجلوس في محاولة لإقناع دوفي ببيع هذا الكنز الذي تمتلكه من أجل أن تظل فرصة إيميلدا في خلافة ماركوس قائمة، لكن دوفي رفضت كل هذه المحاولات مؤكدة أنها بكشفها حقيقة ماركوس فإنها تصنع معروفًا للشعب الفلبيني!

إنه لأمر يسلم المرء لدهشة ممزوجة بالسخرية، كل السخرية!! دوفي الداعرة الأمريكية ترفض أن تحقق أو تغتنم فرصة تحقيق مكسب مادي كبير في مقابل التنازل عما تحت يدها من مستندات ومتعلقات شخصية تفضح ماركوس، بينما تعتبر إسداءها معروف تبصير الشعب الفلبيني بحقيقة رئيسه ومهازله أهم وأجدى من أي مغانم أخرى مادية، لا هي فلبينية الأصل ولا حتى امرأة آسيوية! بينما المناضل الثوري البطل الفلبيني الأصل الذي تصوره وسائل إعلامه لشعبه نزيهًا عظيمًا، لا يتورع عن سرقة شعبه ومواطنيه والسقوط بكرامة وأسرار وطنه في شراك الداعرات!..

وفضيحة ماركوس مع دوفي ليست الفضيحة الغرامية الوحيدة بالنسبة لماركوس، فمن المعروف أن ماركوس متيم بالنساء، ومن بين هذه العلاقات الغرامية لماركوس، والتي كانت تثير حساسية بالنسبة للعلاقات الأمريكية – الفلبينية، علاقة ماركوس مع زوجة أحد ضباط البحرية الأمريكية، وكانت السفارة الأمريكية في مانيلا تخشى أن تكتشف إيميلدا هذه العلاقة مما قد يضفي توترًا على العلاقة الأمريكية – الفلبينية.

ومن أشهر علاقات ماركوس العاطفية، علاقته مع المغنية الفلبينية كارمن سوريانو، وقد أزعجت هذه العلاقة إيميلدا كثيرًا لدرجة أنها سعت إلى لقاء

كارمن سوريانو في سان فرانسيسكو عام ١٩٧٠.. وعندما طلبت إيميلدا من كارمن سوريانو توقيع بيان مكتوب تعلن فيه الأخيرة أنها لم تقاسم ماركوس الفراش مطلقًا، صاحت الأخيرة في وجهها قائلة لها: "اذهبي إلى الجحيم"، فما كان من إيميلدا إلا أن وجهت إليها ضربة عنيفة مفاجئة، إلا أن كارمن سوريانو تمكنت من تفاديها، واستقرت الضربة على جسد "أرنتو فيلاتويا" مستشار إيميلدا المالي، وتعويضًا عن هذه الضربة المؤلمة قامت إيميلدا بتعيينه رئيسًا للبنك الوطني الفلبيني، وقد ظل يحتفظ بهذه الوظيفة حتى عام ١٩٧٢.

لكن.. هل كانت مغامرات ماركوس ومجونه وسفهه تعود إلى إيميلدا بالخسارة.. أي خسارة؟!.. أبدًا.. فقد كانت كلها وعلى رأسها ضحية دوفي بيمز تمنحها الفرصة وراء الأخرى لتدعيم مركزها السلطوي والمادي على حساب ماركوس والشعب الفلبيني، بل وتمنحها أيضًا المبرر لممارسة مجون مماثل دونما تحسب لعلاقتها بزوجها الرئيس المراهق السفيه؛ فقد تمكنت إيميلدا من استغلال فضيحة دوفي بيمز للحصول على تنازلات لم يسبق لها مثيل من زوجها ماركوس، ومن أبرزها قيام إيميلدا وأسرتها بالسيطرة على مناجم الذهب والنحاس الشهيرة في الفلبين والتي كان ماركوس يحتفظ بها لنفسه، وتعد هذه المناجم من أغنى مناجم الذهب في العالم، وأصبحت هذه المناجم في يد شركة تعمل لحساب إيميلدا وشقيقتها كوكوي..كذلك أدت فضيحة دوفي إلى دعم سلطات إيميلدا في مواجهة ماركوس إلى الحد الذي دفع بالمواطنين الفلبينيين إلى التندر بقولهم أن إيميلدا عندما تموت فإن ماركوس سيضطر رغم أنفه إلى تحمل المسئولية كاملة في تسيير شئون الدولة،

وأصبحت إيميلدا مطلقة اليد في دفع مشروعاتها المفضلة في الفلبين.

قامت إيميلدا بعديد من الرحلات والزيارات الرسمية إلى الدول الأجنبية، إلى درجة جعلتها سفيرا فوق العادة لبلادها، وعلى الرغم من ذلك فإنها تعرضت للسخرية والتندر من جانب الصحافة في الفلبين وفي الغرب كذلك، فقد قامت في إطار هذا المناخ بزيارة الصين في سبتمبر عام ١٩٧٤، حيث التقت بالزعيم الصيني "ماوتسي تونج" الذي أعرب عن إعجابه بها قائلاً: "يا فتاتي الصغيرة العزيزة.. إنني أحبك لأن الصحفيين الغربيين يقدمونك في صورة سيئة"..

وتمثل إنجازها الوحيد خلال هذه الزيارة في إقناع ماوتسي تونج بالمثول أمام كاميرات الصحفيين والمصورين الفلبينيين، مما كشف عن حالة الضعف الشديدة التي كان يعاني منها (ماو) والتي كانت السلطات الصينية تخفيها بعناية حتى ذلك الوقت..

وفي موسكو استقبلها أعضاء المكتب السياسي للحزب الشيوعي السوفييتي، وتحادثت مع أليكس كوسيجين رئيس الوزراء، وزارت مقبرة لينين، ثم توجهت إيميلدا بعد ذلك إلى روما لزيارة البابا يوحنا بولس، وكانت زيارة إيميلدا للدول الشيوعية مثل الاتحاد السوفييتي وكوبا والصين، تستهدف أساسًا الضغط على الكونجرس الأمريكي لتقديم مزيدا من المعونات المالية للفلبين، ولاحظت وكالة المخابرات المركزية الأمريكية أن زيارتها لكوبا ومنطقة الشرق الأوسط بالتحديد هي رحلات دعائية؛ فقد أشار تقرير لوكالة المخابرات المركزية إلى أن حماس إيميلدا للعالم الثالث وللقضايا الشيوعية يرجع إلى حداثة العلاقة بين مانيلا وهذه الدول وإلى أن

هذا الحماس يلائم نزعتها المتنامية المناوئة لأمريكا.

وعندما حاولت وكالة المخابرات المركزية الأمريكية استخلاص معلومات منها حول العقيد معمر القذافي بعد قيامها بزيارة ليبيا، أشارت إيميلدا ضمنًا وفي خجل إلى أنها مارست الحب مع القذافي! ولكنها أسرت إلى أصدقائها وصديقاتها بأن العقيد شخص مستهتر وخليع!

وثارت شائعات كثيرة حول الحياة الخاصة لإيميلدا، وقد فجر هذه الشائعات رجل الأعمال الأمريكي هنري فورد عندما تشكك في وجود علاقة شاذة بين زوجته كريستينا وبين إيميلدا، خاصة وأن كريستينا كانت تمضي معظم وقتها مع سيدة الفلبين الأولى!! ورغم نفي إيميلدا وكرستينا لهذه الاتهامات، إلا أن الشائعات ظلت مستمرة ووجدت هذه الشائعات في اهتمام إيميلدا الغريب بمسابقات ملكات الجمال وقودًا جديدًا، فمن المعروف أن إيميلدا كانت تنفق جانبًا كبيرًا من الوقت والمال على مسابقات الجمال، وتصطحب معها مجموعات من الجميلات المتنافسات في هذه المسابقة إلى منزلها الصيفي في الفلبين، ولم تدخر إيميلدا وسعًا في إرضاء جميلاتها بصورة أو بأخرى.

أي نوع من النساء هي؟!.. فبالإضافة إلى ذلك ارتبطت إيميلدا بعلاقة صداقة حميمة للغاية مع الممثل جورج هاميلتون، ويقال أنها هي التي دفعت لهاميلتون ثمن فيللا شارل شابلن التي اشتراها في بيفرلي عام ١٩٨٢ بمبلغ مليون دولارا.. وبالطبع فإن قيام إيميلدا بدفع هذا المبلغ للنجم الشهير جورج هاميلتون لم يكن دون مقابل.. والغريب أن هاميلتون قام في نهاية الأمر ببيع الفيللا إلى البليونير عدنان خاشقجي تاجر السلاح الشهير مقابل

ستة ملايين من الدولارات!

وبلغ من سفه إيميلدا أنها كانت تحتاج في سفرها أحيانًا إلى طائرة جامبو إضافية لنقل متاعها وحقائبها ومشترياتها! ذلك علاوة على طائرتها الخاصة المزودة بحمام خاص ودش، وتواليت من الذهب الخالص!

إن للمرء أن يتصور كيف كانت حفلات إيميلدا؟ لقد كانت تقيم لأصدقائها حفلات أسطورية مثل ليالي ألف ليلة وليلة، وتقوم بتسجيلها بواسطة جهاز الفيديو، وكانت أبرز هذه الحفلات تلك التي أقامتها احتفاء بعازف البيانو الشهير الأمريكي فاك كليبرن وراقصة الباليه (مارجو فونتين) وراقص الباليه الشهير (رودولف نورييف) في مانيلا عام ١٩٧٧، ثم بعد ذلك في نيويورك أقامت سلسلة من الحفلات الأسطورية والتي شارك فيها عدد من أبرز الشخصيات العالمية، من بينها الرئيس الأمريكي السابق ريتشارد نيكسون وعدنان خاشقجي، وأرماند هارمر رئيس مجلس إدارة شركة أوكسيدنتال بتروليوم ورئيس شركة هامر جليري أيضًا..

وقد اشترت إيميلدا ذات مرة لوحات فنية من الشركة الأخيرة تقدر قيمتها بحوالي ٤,٦ مليون دولار!!. وتقدر قيمة ما أنفقته إيميلدا في مجال شراء اللوحات الفنية بحوالي أربعين مليون دولار.

أما عن المجوهرات وعشقها للمجوهرات، فقد كانت إيميلدا تطلب من محال المجوهرات فتح أبوابها خصيصًا لها في الساعة الرابعة صباحًا. وقامت إيميلدا بشراء عدد من المجوهرات التاريخية من بينها جوهرة "عين الدمية" الشهيرة مقابل ٥,٥ مليون دولار. ويقال أن هذه الجوهرة قد ألهمت المخرج

السينمائي الأمريكي اللامع "ستيفن سبيلبرج" أحد أفلامه، والوارد أن إيميلدا كانت اكبر مشترية للمجوهرات في العالم بأسره في خلال الفترة من عام ١٩٧٥ إلى عام ١٩٨١.

وعندما كانت إيميلدا تزور نيويورك فإنها كانت تقيم في جناح بفندق "والسدروف تاورز" بتكلفة ١٧٠٠ دولارا في الليلة الواحدة، وتطلب كل يوم زهورًا قيمتها ألف دولار. أما حاشيتها فكانت تنزل في ٢٥ غرفة أخرى!

وفي عام ١٩٨٢ أنفقت إيميلدا مائة مليون دولار على المهرجان السينمائي الدولي في مانيلا، وقد شهد ذلك المهرجان عديد من نجوم السينما العالمية وعلى رأسهم "جورج هاملتون"، "سيلفستر ستالون"، "بروك شيلدز"، "فرانك دي نيرو". وقد أدى جنون الإسراف إلى أن تصبح إيميلدا وماركوس هدفين لسخرية الشعب الفلبيني وتندره، وسخطه أيضًا، ففي عام ١٩٦٨ كان فرديناند ماركوس يعتبر أغنى رجل في قارة آسيا.. وبعد عشر سنوات – أي في عام ١٩٧٨ – قدر البعض ثروته بنحو خمسة ملايين من الدولارات، ولكن هؤلاء لم يستطيعوا تحديد مصادر هذه الثروة، ولا الكيفية التي استطاع بها ماركوس جمع تلك الثروة بهذه السرعة!.. ومن المؤكد أن من مصادر هذه الثروة: بيع تصاريح الاستيراد، ومن احتكار تجارة الدخان، ومن مشاركة عدة شركات دولية في عالم المال والتجارة، ومن الصفقات المشبوهة.. ومن عقد صفقات مع أساطين المال والأعمال الصينيين واليابانيين، ومع زعماء المافيا في الولايات المتحدة، علاوة على ذلك فإن الجانب الأكبر من ثروة ماركوس جاء من الحكومة الأمريكية في شكل معونات ومساعدات مالية، وتعويضات عن أضرار الحرب العالمية الثانية،

وقيمة تأجير القواعد الأمريكية في الفلبين..

ومن القروض التي حصل عليها نظام ماركوس من البنك الدولي وصندوق النقد الدولي.. إلى جانب الرشاوى المباشرة من البيت الأبيض الأمريكي! هذا.. وجانب آخر من ثروة ماركوس جاء من مصادرته لثروات الآخرين وممتلكاتهم في الفلبين، ولكن كل هذه المصادر – في رأي المراقبين – لا تكفي لتضخم ثروة ماركوس إلى هذا الحجم وبهذه السرعة؛ فالمثير بالنسبة لثروة ماركوس، هو صعوبة تقديرها، حيث تختلف التقديرات من بليونين إلى عشرة بلايين – وربما عشرين بليونًا – من الدولارات، وترجع صعوبة تقدير ثروة ماركوس وتضخمها – في آن واحد – إلى ما يعرف بذهب ياماشيتا..

وترجع الحكاية إلى صيف عام ١٩٤٤، عندما تبينت اليابان أن قوات الحلفاء على وشك غزو الفلبين أو فرموزا، وفي غيانا الجديدة تجمع أسطول كبير من السفن الأمريكية، استعدادًا لهذا الغزو.

وقررت اليابان الاستعداد لمواجهة الغزو المحتمل للفلبين عن طريق تعيين قائد جديد هناك، هو الجنزال "ياماشيتا"، ووصل ياماشيتا إلى الفلبين في السادس من أكتوبر عام ١٩٤٤. وفي نفس الوقت تقريبًا أبحر أسطول كبير تابع للحلفاء من غيانا الجديدة إلى الفلبين قاصدًا خليج "دلييت"، وهناك – في الخليج – دارت أكبر معركة بحرية في التاريخ، وألحق الحلفاء باليابانيين خسائر فادحة..

ومع اقتراب عام ١٩٤٤ من نهايته، استعد القائد الأمريكي "ماك أرثر" لمواصلة زحفه على الجزر الفلبينية، وتبين ياماشيتا أنه من المستحيل عليه الدفاع

عن العاصمة الفلبينية "مانيلا" وترتيبًا على ذلك، ولحماية مانيلا من الدمار، أعلن ياماشيتا أن مانيلا مدينة مفتوحة، وقام بسحب قواته إلى منطقة الجبال في الشمال، ولم يترك في مانيلا سوى ٣٧٥٠ من قوات الأمن للحفاظ على النظام فيها، ولكن الأدميرال "سانجي" قائد المنطقة البحرية اليابانية قام بإعادة احتلال مانيلا بقوة من مشاة البحرية قوامها ١٦ ألف جندي.. وأصدر الأدميرال سانجي أوامره بتدمير جميع المنشآت البحرية والمخازن.

وجدير بالذكر أنه مع الغزو الياباني لشرق آسيا وجنوب شرق آسيا، تجاوزت عمليات السلب والنهب كل الحدود، حيث تمت مصادرة الذهب والجواهر من المواطنين والكنائس والمعابد والأديرة والبنوك والمؤسسات، ومن الحكومات المتهاوية أمام الغزو الياباني.. وتقدر قيمة عمليات السلب والنهب التي جرت في كوريا ومنشوريا والصين والهند الصينية وتايلاند وبورما والملايو وبورينو وسنغافورة والفلبين، بحوالي ثلاثين بليون من الدولارات بأسعار الأربعينيات – أي ما يربو عن المائة مليون دولار بأسعار اليوم – فعلى سبيل المثال تقدر قيمة الذهب التي تم تجميعه آنذاك بما يتراوح بين أربعة آلاف وستة آلاف على أقل تقدير، وقد عرف هذا الكنز المنهوب باسم "ذهب ياماشيتا"..

وجدير بالذكر أن النذر اليسير من هذا الكنز تم نقله إلى طوكيو أثناء الحرب، أما الجانب الأكبر منه فيؤكد الخبراء أنه لم يخرج من الفلبين التي كانت نقطة تجميع الذهب والجواهر والمعادن الثمينة المنهوبة على أيدي القوات اليابانية، خاصة بعد أن تغيرت موازين القوى في الحرب العالمية الثانية.

وقد مثل رصيد الحكومة الفلبينية من الذهب جانبًا مهمًا من هذا

الكنز، ومع وصول الحرب العالمية الثانية إلى ذروتها، قام كبار ضباط البحرية اليابانية في مانيلا، والمسئولون عن حماية هذا الكنز بإخفائه في المنطقة الجبلية شمال مانيلا، وفي المناطق الواقعة خارج العاصمة الفلبينية، وقد أجبر الضباط اليابانيون الأسرى من قوات الحلفاء – ومعظمهم من البريطانيين والأستراليين والفلبينيين – على حفر المخابئ اللازمة لدفن هذا الكنز، من الذهب والمعادن الثمينة.

وكان اليابانيون يقومون بدفن هؤلاء الأسرى بعد قيامهم بعملهم أحياء، لكي لا يكشفوا مخابئ الذهب والمعادن الثمينة. كذلك وضع المهندسون اليابانيون قنابل مفخخة وألغامًا حول هذه المخابئ، لكي يكون مصير كل من تسول له نفسه البحث عنها الموت. وتم وضع خريطة يابانية لكل هذه المخابئ، وفي نهاية عام ١٩٤٤ قامت غواصة يابانية بإغراق سفينة تحمل مائة طن من السبائك الذهبية في خليج مانيلا..

وهناك دلائل عديدة على أن ماركوس قد استطاع العثور على جانب من ذهب ياماشيتا، فقد استعان ماركوس في بحثه عن ذهب ياماشيتا بمهندس مناجم أمريكي يدعى "روبرت كيرتس"، الذي قام بمجهود كبير في العثور على مخابئ الكنز، ولكنه فر هاربًا من مانيلا قبل استكماله عمله..

وكشف كيرتس رواية ذهب ياماشيتا لعدد من الصحف الأمريكية عند عودته إلى الولايات المتحدة، ولكن ماركوس رد على ذلك بالسخرية من أسطورة ذهب ياماشيتا، ووصف كيرتس بأنه مريض عقلي، ولم يكتف ماركوس بذلك، بل بعث برئيس البوليس السري الفلبيني "فابيان فير" إلى الولايات المتحدة للبحث عن وسيلة يضمن بها صمت كيرتس، وفي نهاية

يونيو ١٩٧٨ وصل فابيان فير إلى الولايات المتحدة ومعه ثلاثة من الكولونيلات، حيث التقوا بزعماء المافيا في سان فرانسيسكو وشيكاغو، واتفقوا معهم على التخلص من روبرت كيرتس.. ولكن كيرتس علم بالمؤامرة التي يتعرض لها من خلال صديق له وهو في نفس الوقت صديق لماركوس، وسرعان ما اختفي كيرتس، وظهر بعد فترة ليست بالقصيرة وهو يحمل اسمًا جديدًا وهوية جديدة.

وقد قام ماركوس بالعثور على جانب آخر من ذهب ياماشيتا في عام ١٩٨٢ بمشاركة وكالة المخابرات المركزية الأمريكية، وجدير بالذكر أن وكالة المخابرات المركزية ساعدت ماركوس في تسويق الذهب..

وقد شاهد أحد موظفي وكالة المخابرات المركزية الأمريكية في عام ١٩٨٢ نفقًا يبلغ طول ملعب كرة القدم في القصر الصيفي لماركوس، وقد تكدست فيها سبائك الذهب!! ولا جدال في أن ماركوس لم يكتشف سوى جانب فقط من ذهب ياماشيتا، ولا تزال هناك العديد من المواقع حول مانيلا، وتحت مياه البحر في خليج مانيلا التي لم يكتشفها أحد بعد حتى الآن، وهي تحتوي على بقية ذهب ياماشيتا، ولكن البحث عنها بدون الخرائط اليابانية التي احتفظ بها كيرتس لنفسه بعد مغادرته مانيلا، يعد محاولة للبحث عن إبرة في الظلام!

ميسالينا.. إمبراطورة تحترف البغاء

تزوج «كلاوديولي» ثلاث مرات قبل زواجه من الشابة ذات الثمانية عشر ربيعًا «فاليريا ميسالينا»، وليس لهذا الزواج الرابع أي أساس عاطفي، فلم يكن كلاديولي يتمتع بأي شيء يُمكن أن يجذب قلب فتاة مراهقة، وقد بلغ الخمسين من عمره لا شيء سوى حسبه ونسبه..

وما جرى مع كلاوديولي في أعقاب تلك الزيجة، ربما جعله يعتقد أن ميسالينا كانت «قدم السعد» بالنسبة له! فما إن اقترن بها حتى وجدهم يبحثون عنه ليقلدوه إمبراطورًا للبلاد! فعمه الإمبراطور «كاليغولا» قُتِلَ على أيدي رجال الحرس الإمبراطوري، وأصبح جلوس كلاوديولي على العرش يُحقق للمُتآمرين غايتين مُهمتين، فمن ناحية يُمثل تنصيب كلاوديولي إمبراطورًا امتدادًا لشرعية الحكم، ومن ناحية أُخرى يصبح بوسع المُتآمرين إدارة شئون الإمبراطورية من وراء كلاوديولي لما توسموه فيه من غباء وضعف شخصية، فهل تسنى لهم ذلك؟!

لقد اتضح أن كلاوديولي لم يكن في غفلة أبدًا عما يُحاك من مؤتمرات للإحاطة بعمه «كاليغولا» ويعلم علم اليقين أن الإغراء الوحيد الذي يجعل المُتآمرين يتمسكون بالشرعية ويضعونه عن طيب خاطر خليفة لعمه ومن ثم يحافظوا على حياته حتى يتم ذلك. وإن كان يبدو في أعينهم غبيًا ضعيف الشخصية بالحد الذي يُطمئنهم بأنه لن يرقى بأي حال عن صفة ستار شرعي يحكمون من خلفه ويسيرون شئون البلاد على هواهم.. لذلك فقد

تصنع الغباء وأبدى بالغ ضعف الشخصية. ولما آل الحكم له وأصبح إمبراطور البلاد مدعومًا من أطراف المؤامرة ذاهم كشف عن قبضة حديدية لداهية سياسي لا قبل لهم أو حيلة بصدد حذقه ومناوراته، فنكل بالخصوم الأقوياء وأبادهم، وأخضع الضعفاء منهم وجعلهم يدورون في فلكه!.

لكنها المرأة وصعوبة سبر غورها، خديعة ناعمة لا ترقى لمستوى تدبيراتها عتاة الساسة ومكائدهم، فخديعتها لم يصدها عن الرجل سوى القدر وحده إن أراد، وإن لم يرد القدر انطلت على الرجل حتى تكتمل جوانبها وتعتمل نتائجها فيه. فـ «ميسالينا» تلك المرأة الجميلة الفاتنة – الزوجة – لم تكن سوى كيان وحيد وضعته الأقدار في سبيل كلاوديولي الرجل الحاذق الذي ابتلع خصومه من عتاة السياسة والحرب لتتفوق على حذقه وتجعل من الإمبراطور أضحوكة، لم تضع فوق عينيه غلالة الحب فتجعله وحده مغمض العينين عن مباذلها وسقطاتها وإبحارها الممعن في عالم الرذيلة!

لقد انقضت الأيام الأولى من زواج كلاوديولي وميسالينا في سعادة غامرة، فكلاوديولي أثبت أنه في مخدع الحب فارس لا يعرف التعب، لكن بقدر ما أسعد ذلك ميسالينا من الناحية الحسية، بقدر ما أصابها منه الملل واستبد بها! وبعد انقضاء فترة من الزمن، وضعت خلالها طفليها «بريتانيكوس» و«أوكتافيوس» انصرفت نحو الاستمتاع بالحياة والاستمتاع بكل من يروق لها من الرجال في نفس الوقت الذي لم تكف فيه عن مراقبة زوجها كلاوديولي، ومحاولة الإبقاء على عاطفته مشبوبة ملتهبة نحوها لتكون في أمان تام.

وبعد فترة قصيرة أصبح من المُتعذر إحصاء عدد المتهورين الذين

طارحوا الإمبراطورة "ميسالينا" الفراش، وبمرور الوقت بدأت الألسن تتناقل الأخبار في البلاط وبين أفراد الحرس الإمبراطوري.

ومع قدوم فصل الصيف الذي تتفاعل فيه المشاعر الحسية مع طبيعة المناخ بما يزيد من تهافت ميسالينا على مضاجعة الرجال وممارستها الخيانة، حدث شيء لم يكن في حسبانها إذ انتشر بالبلاد وباء الكوليرا واتخذ أبعادًا غير مُتوقعة، الأمر الذي ألزمها تجنب مضاجعة العناصر الشبابية الأكثر عرضة للإصابة بفيروس المرض، ولم يعد يقع بصر ميسالينا إلا على رجال تقدمت بهم السن، فاستبد بها القنوط مع إحساس بالحرمان من أجمل مباهج حياتها، حتى أقبل ذلك الصباح مع قدوم «ميرتالي» وصيفتها الشابة اليونانية، بهيئة تشع بهجة وسرورًا. ولما استوقفتها ملامح الرضا في وجهها وقسماتها راحت تستفسر منها عما وراء كل ذلك الرضا، فعلمت منها أنها قد أمضت ساعات لا مثيل لها بصحبة بحار يعمل على نهر التيبر، ومُنذ ذلك الحين انفتحت أمام ميسالينا آفاق جديدة لمزيد من الاستمتاع بلذاتها، وذلك بالتوجه إلى حي «سوبور» حيث مدمني الجنس في حي السقوط.

أعدت الإمبراطورة ميسالينا عدتها لخوض غمار المعترك الذي يرضي شطحاتها ويروي ظمأها، تخفت في صورة مغايرة واستخدمت شعرًا مُستعارًا أشقر اللون، وإمعانًا في التمويه غيرت اسمها إلى «ليسيسكا» وذهبت إلى ذلك المخدع في حي «سوبور» ذلك الحي المشبوه في روما. رافقتها في البداية وصيفتها «ميرتا» وبعد ذلك أصبحت تذهب بمفردها، وبمرور الوقت أدمنت ميسالينا التوجه إلى ذلك المكان الساقط، حيث تلتقي برجال من كافة الطبقات والأوضاع الاجتماعية.. وقد زاد من ترددها على هذا المكان

مغادرة «كلاوديولي» روما على رأس جيوشه للقيام بغزو إنجلترا، وخلال تلك الآونة أصبحت زوجته تغادر القصر كل ليلة للقاء الأفاقين والجلادين والمدمنين للخمر.. أما وصيفتها ميرتا، فقد استبد بها الذعر لاعتقادها أن مولاتها قد فقدت عقلها فبدأت تقدم الطقوس للآلهة داعية ألا يكتشف أحد ذلك السر المرعب..

ورغم كل وسائل التخفي التي اتبعتها ميسالينا نفذت إرادة القدر وانكشف أمرها.. ولكن لمن؟! للرجل الذي يسيسه ويستثمره خير استثمار لصالحه، إنه «نرسيس» أحد نديمي كلاوديوس والمؤتمن على أسرار الإمبراطور. فقد سمع نرسيس ذات يوم حديثًا مُثيرًا عن غانية جديدة ظهرت في حي سوبور تُدعى «ليسيسكا» وأنها قد احتلت مكانة كبيرة في نفوس زبائنها، فأرسل نرسيس بواحد من معاونيه ليتعرف على ليسيسكا ويعرف حقيقة أمرها، فعلها تكون يومًا ذات فائدة له، وعقدت الدهشة لسان الرجل، فالشعر الأشقر لم يخدعه، إن ليسيسكا ما هي إلا ميسالينا.. أدرك نرسيس قيمة هذا النبأ، لذلك قرر التخلص من معاونه كي يضمن لنفسه الاحتفاظ بهذا السر، فعلاقته بالامبراطورية ممتازة في الوقت الراهن، ويتمنى أن تظل كذلك، ولكن إذا ما فكرت ميسالينا يومًا أن تنقلب ضده، فإن قضية ليسيسكا ستمنحه فرصة الفوز عليها.

وبعد فترة ليست بقليلة من الانغماس في حياة المجون بحي سوبور، حدث ما جعل ميسالينا تقلل تدريجيًا من مرات زيارتها للحي المشبوه، ويسد جانبًا كبيرًا من نهمها للجنس وحياة الخيانة حسب ما اعتقدت، فقد عاد القنصل «كايوس سيليوس» على إثر استدعاء من الإمبراطور كلاوديوس.

فمن هو كايوس سيليوس هذا الذي لجم شطحات ميسالينا الجنسية وجعلها تتفرغ له راغبة!

إن كايوس سيليوس هو الرجل الوحيد الذي أحبته ميسالينا في حياتها، فلم تكن قد بلغت الرابعة عشر من عمرها عندما التقت به لأول مرة، لقد شغفت به إلى حد الجنون، ولم تتوان عن الاستسلام له بإرادتها؛ فهو رجل وسيم مجرب وهو أول من لقنها مبادئ الحب، لكنه اضطر لمغادرة روما والتوجه إلى جرمانيا لمراعاة مصالح الإمبراطورية هناك. وبرغم المحاولات المستميتة التي قامت بها ميسالينا ليذعن إلى دعوتها إياه للرجوع، إلا أن سيليوس رفض الاستجابة لها، وكان مبرره في ذلك أن الإمبراطور وحده يملك حق إصدار الأمر بالعودة، وفي ذات الوقت لم يكن يجد الإمبراطور من هو أجدر منه للقيام بهذه المهمة.

ولكنه أخيرًا عاد إلى روما، ولكن معه زوجته التي يُقال أنها يونانية شديدة الجمال، وما إن وصل حتى استدعته ميسالينا بشكل غير رسمي، استقبلته على انفراد واقتادته إلى سريرها دون أن تتيح له فرصة التقاط أنفاسه! ورغم إرهاق العودة إلا أن سيليوس وجد متعة حقيقية في تجديد علاقته بفتاة اكتشف فيها من جديد عشيقة مذهلة، وقد أيقظت هذه العلاقة في نفسه الكثير من الآمال والطموحات الفريدة. وعلى الفور استأجر سيليوس مسكنا، حيث يتبادل هو وميسالينا الحب ويتطارحان الغرام يوميًا بشغف، وبعد فترة وجيزة بدأ التوتر يظهر على ميسالينا بسبب التكتم الذي تفرضه الظروف على هذه العلاقة، وأصبح كل ما ترغب فيه أن تعلن عن هواها جهرًا وعلى مسمع من الجميع، وتعلم روما أنها مُتيمة

بحب كايوس سيليوس، وراحت تغدق على عشيقها الهدايا النفيسة، فهي لا تتوانى عن تفريغ القصر من أثاثه الثمين لكي تنقله لبيت العشق الجديد، وبهذا تحولت دار القنصل إلى متحف حقيقي.

تمكن العشق من فؤاد ميسالينا فما عادت تطيق وجود امرأة أُخرى في حياة عشيقها، حتى لو كانت زوجته الشرعية، فهكذا يبدأ العشق، أملا في نصيب من فؤاد العشيق أو العشيقة، ثم يتحول الاحتواء بكامله إلى غاية، وعندئذ لا يقبل العاشق مُشاركة أحد في هواه. تنشط نزعة التملك لتطمس الرؤية الواقعية وتغيب العقل عن الحقيقة، فقد أضحت ميسالينا تكتوي بنار الغيرة من الزوجة الشرعية لسيليوس، وتتحول إلى حيوان مفترس كلما تذكرت أن هناك من تشاركها عشيقها..

وأخيرًا حسمت أمرها.. لقد اهتدت لحل تمثل في السموم التي تعدها «لوكوستا» وهي امرأة على درجة عالية من سعة الأفق وقلة الذمة في آن واحد! حاكت الخطة ثم نفذتها. خرج سيليوس إلى منطقة أوستيا بصحبة كلاوديوس، حيث كان الإمبراطور راغبًا في إقامة منارة هناك، كانت زوجة سيليوس في المنزل، حيث تلقت سلة رائعة من الثمار أرسلت إليها من البلاط مباشرة، ولأنها اعتادت مثل هذه الهدايا فلم يكن من الصعب أن تتناول بعض الثمار، وهكذا انتهت ميسالينا من وجود الزوجة التي طالما ضاقت بها في حياة عشيقها سيليوس عن طريق التفاح المسموم بسم «لوكوستا»..

وماذا كان رد الفعل عن سيليوس؟ إن سيليوس يعرف ميسالينا حق المعرفة، ويعلم أنها قادرة على ارتكاب أي عمل من أجل أن تنعم بالعيش

معه، وأحس في قرارة نفسه أن عائقًا إضافيًا قد أُزيل من طريقه إلى العرش، وبذلك لم يتبق غير العائق الأكبر، ذلك الجالس حاليًا فوق العرش الإمبراطوري «كلاوديوس» نفسه!

قد تبدو مسألة التخلص من الإمبراطور مسألة سهلة المنال، مثلما تم مع زوجته، ولكن ميسالينا ليست مُتأكدة من البقاء على قيد الحياة بعد اغتيال الإمبراطور «كلاوديوس» كما أن ثقتها أقل في رؤية التاج الإمبراطوري يكلل هامتها، فأعداؤها كثيرون. ورغم كل ذلك، فقد اهتدت إلى طريقة شيطانية، بدت في نظرها خالية من كل خطورة، لقد قررت أن تتزوج عشيقها مع وجود كلاوديوس على قيد الحياة، بل وبمباركته أيضًا! ويُمكن بعد ذلك الخلاص من كلاوديوس بسبب تلبك معوي مثلًا، فلا يبقى أمام كايوس سيليوس، وقد أصبح زوجًا لها، غير الصعود للعرش بصورة تلقائية! وافق سيليوس على خطة ميسالينا، حيث رأى أن هذه الفكرة إذا أحسن إخراجها يُمكن أن تنجح نجاحًا تامًا، فهي ترتكز على قيام كلاوديوس بجولة انفرادية في الحدائق المُحيطة بالبلاط في المساء فيتلاقى مع شخص يمثل عليه ويدعى قرب موته، وأنه يحفر له قبره.. وفي أحد الأيام، حيث كان كلاوديوس يقترب ببطء من معبد صغير للإله أبولون، لمح عجوزًا أصفر الوجه يرتدي ملابس بالية يحفر حفرة، فتملك الإمبراطور الدهشة لوجود هذا البستاني في تلك الساعة المُتأخرة من المساء، واقترب منه وسأله عما يفعل في هذه الساعة، ورد العجوز بصوت أجش بأنه يقوم بحفر قبر، والقبر لزوج ميسالينا الذي ينبغي أن يموت (خلال ثلاثة أيام)!

انزعج كلاوديوس من حديث العجوز وانطلق عائدًا إلى القصر بعد أن

علم أن اسم العجوز «إليكون»، وما إن دخل القصر حتى استدعى نرسيس وطلب منه أن يُفسر له وجود مثل هذا البستاني الذي يُدعى "إليكتون" في مثل هذه الساعة وفي مثل هذا العمل، إلا أن نرسيس عاد بإجابات غريبة مُبهمة، فالبستاني المدعو إليكتون قد توفي مُنذ شهرين.. تملك الفزع كلاوديوس الذي قضى ليلة لا يُحسد عليها، فظل يتقلب من جنب إلى جنب، ثم انطلق نحو ميسالينا التي لاطفته وهدأت من روعه طالبة منه أن يستشير كبير كهنة روما. وما إن وصل الكاهن العظيم حتى وضعت المشكلة بين يديه، ولكن ميسالينا قد تصورت الحل لهذه المشكلة، وذهبت إلى الكاهن والإمبراطور حيث هما وقالت: لكي يستطيع كلاوديوس أن ينجو من هذه الرؤية، عليه ألا يظل زوجًا لها، ثم عرضت خطتها."موجز الخطة أن يبتعد كلاوديوس عن روما لبضعة أيام، أي الفترة الكافية لمرور اليوم المقدور، وتقوم ميسالينا في هذه الفترة، وبدافع من إخلاص لا مثيل له، بالتصدي للمحنة، فتظل على رأس الحُكم وتعقد عقد زواج صديق قديم، وليكن كايوس سيليوس. وعلى سبيل المثال، فهو على درجة من الشجاعة والوفاء تُؤهله للقيام بدور زوج ميسالينا في يوم نفاذ حكم القدر، وهكذا تتم التضحية بذلك الرجل الصالح!!

ولكن الكاهن الأكبر اعترض بشدة على خطة ميسالينا، ذلك في الوقت الذي أُعجب بها كلاوديوس، فقد وجد في فكرة العثور على بديل له فرصة للهروب من القدر! وإذا كان الكاهن الكبير لم يقتنع في قرارة نفسه، فإنه قد أدرك أن معارضته لهذا المشروع الجنوني سوف تعني أن أيامه في روما قد تكون معدودة.وعندئذ أعلن كلاوديوس عن عزمه السفر إلى أوستيا

لمراقبة منارته، وعلى الفور بدأت ميسالينا تعد العدة للاحتفال بعقد قرانها على سيليوس..

لقد أعدت كل شيء دون أن تحسب حساب نرسيس المطلع مُنذ وقت طويل على كل أسرارها، وقد شعر في ظل هذه المسرحية الشاذة التي قامت ميسالينا بتأليفها، إن في يده أسرارا قيمة يُمكن استغلالها لإيقاف هذه المسرحية، خصوصًا أنه قد أحس بقدرة ميسالينا الهائلة على التخلص منه في أي وقت تشاء. ولم يتردد نرسيس، وقام باستخراج كل التقارير المُتعلقة بنشاط ليسيسكا وانطلق على جواده يُسابق الريح إلى مكان كلاوديوس، وكان وصوله له وقع الصاعقة على الإمبراطور الذي ظل لفترة يرفض كلام نرسيس ويفهمه بأنها مخاوف لا مبرر لها وإن ما يحدث الآن مجرد مسرحية هزلية تهدف للحفاظ على حياته. ولكن نرسيس عرض على الإمبراطور سجلًا كاملًا مُدعمًا بالحجج والبراهين يتضمن تفاصيل كاملة عن حياة زوجته في السر. وتمكن في النهاية من إشعال نار الغضب في نفس كلاوديوس الذي قرر الرجوع فورًا، وقد استدعى في عودته كافة الوحدات العسكرية التي وجدها في طريقه، هذا في الوقت الذي عاد فيه نرسيس بسرعة إلى الوطن ليعلن نبأ رجوع مولاه.

أحدث نبأ وصول الإمبراطور انفجارًا كالبركان وسط مظاهر الاحتفال في البلاط بالعرش الكبير، وهذا في الوقت الذي كان فيه العروسان فوق سرير الحب يتطارحان الغرام، وقد استولى الذعر على المُحتفلين، وبدأت عملية هروب فوضوية، بدأها كايوس سيليوس نفسه قبل الجميع لإنقاذ ما يُمكن إنقاذه ألا وهو الإبقاء على رأسه بين كتفيه. ولكن ما كاد سيليوس

يصل إلى بيته حتى كان رجال الحرس الإمبراطوري في انتظاره مُتعطشين إلى نهب أجمل دار في روما كلها، وعلى الفور توجه أحدهم إليه وطعنه بالخنجر وانتهى كل شيء.

أما ميسالينا فقد هربت بدورها إلى بيت أمها بحثًا عن ملجأ أمين، ولكي تنتظر وصول كلاوديوس فهي تعرف كيف تكسبه إلى جانبها حين يصل، إلا أن نرسيس يعرف ذلك حق المعرفة، وقد أدرك أن كلاوديوس لن يقوى على الصمود أمام دموع زوجته لذلك أرسل جنوده في أعقابها لتحظى هي الأُخرى بطعنة خنجر أحد الحراس، وعندما وصل كلاوديوس بكاها بدموع حارة، فهو لم يأمر بقتلها، لكن نرسيس أرسل إليه أغريبينا "ابنة أخته"، التي عرفت كيف تواسي ذلك العاشق العجوز وتمسح دموعه، وهكذا توصلت أغريبينا إلى خلافة ميسالينا.

تسيبي ليفني تهدد بفيديوهات خاصة لـ" مصيدة العسل "

بالصدفة وقعت عيني على صحيفة "نيويورك تايمز" الأمريكية في تموز ٢٠٠٧م وجدت فيها: هددت (وزيرة الخارجية الإسرائيلية) السابقة (تسيبي ليفني) بالفيديوهات الخاصة بممارستها الجنس مع معظم المسئولين الفلسطينيين، وعلى رأسهم (صائب عريقات، وياسر عبد ربه) وكانت قد تحدثت ليفني عن نشأتها في كنف والديها البولنديين المهاجرين (إيتان وسارة)، حين كانا ناشطين في عصابة "أرجون" المتطرفة وذكرت أنهما تزوجا يوم إعلان إسرائيل لتصبح علاقتهما مرتبطة بذكرى ولادة الكيان الذي أسهما في تأسيسه! وقالت أنها ترفض التنازل عن شبر واحد من أرض "يهودا، والسامرة" احتراماً لوصية والديها اللذين أقنعاها بأن "يهوه" أعاد شعبه التائه إلى "أرض الميعاد"!

أدت ليفني الخدمة العسكرية برتبة ملازم، ثم درست القانون في جامعة تل آبيب، لتلتحق بين عامي ١٩٨٠ و ١٩٨٤ بجهاز الموساد دون أن يُعرَف الكثيرُ عن نشاطاتها الاستخباراتية، سوى أنها عملت في الإدارة القانونية للجهاز وتطلبت بعض أنشطته إقامتها في باريس، لتُعرفَ هناك بـ(حسناء الموساد)، واعترفت تسيبي بأنها مارست الجنس من أجل الحصول على معلومات تفيد اسرائيل في القضية، وتتذكر ليفني كيف أنها كُلِّفت بمهمتها السرية تلك في ١٩٨٢م وتقول: "وكم كان من الصعب عليها أن تخبر أيا كان بما كانت تقوم به في الخارج على الرغم من أن حكومة بلادها

كانت تخوض وقتها حربا في لبنان".

واعترفت بأنها كانت مستعدة "أن تقتل آخرين في سبيل بلادها" وتضيف:"كنت مستعدة أن أقتل وأغتال. وعلى الرغم من أنه ليس من القانوني تماما أن تفعل ذلك، لكن الأمر يكون مبرَّرا إن كنت تفعل ذلك في سبيل بلادك؟!" وأسمت ذلك بالدفاع الشرعى الوقائي وسط كراهية عربية تتمنى زوالك

وذكرت صحيفة "نيويورك تايمز" أن حسناء الكنيست صرحت بأنها استفتت الحاخام الأكبر في إسرائيل فأفتاها بأنه "يحق لها أن تنام مع الغرباء وتمارس الجنس شرط أن يخدم ذلك إسرائيل"

وقالت ليفني إن الغرفة التي مارست فيها الجنس مع الشخصياتٍ الفلسطينية كانت مزوّدة بالكاميرات التي تصوّر الممارسة؟!

وبسهولة وجدت الـ "تايمز" مقابلة مع تسيبي ليفني، فقد لفت على كل جرائد الأرض.وعلقت عليها الجريدة بأن ليفني قامت بالكثير من عمليات الابتزاز الجنسي والقتل في أثناء عملها في الموساد منها حوادث قتل فلسطينيين وعلماء عرب! ولُوحقت مرات عدة قضائياً في دول أوروبية إلا أن اللوبي الصهيوني كان يتمكّن من تخليصها!

وعن سبب حرمان نفسها من علاقةٍ عاطفيةٍ طوال تلك السنوات، قالت ليفني خلال اللقاء:"إن العلاقة الرومانسية تتطلّب الأمانة والصدق والإخلاص بين زوجيْن، وأنا بالطبع، لم أتمكّن من بناء مثل تلك العلاقة مع أحد... لكن وجود علاقة قصيرة وعابرة لا تسبّب أي أذى أو ضررٍ إن

التزم الطرفان بالقواعد والضوابط"

وجـاءت الـزيادات نقـلاً عـن صـحيفة بـديعوت أحرونـوت الإسـرائيلية، فاعترفـت ليفـني بأن أكـبر وأشـهر الحاخامـات في إسـرائيل أباح "ممارسـة الجـنس للنسـاء الإسـرائيليات مـع الأعـداء مقابـل الحصـول علـى معلومـاتٍ" فـالفتوى عامـة لنسـاء الموسـاد وللإسـرائيليات، وليسـت خاصـة بوضـع ليفـني؟! مسـتندا إلى أن اليهوديـة تسـمح للنسـاء اليهـوديات بممارسـة الجنس مع العدو من أجل الحصول على معلومات مهمة!

مع أن الشريعة اليهودية متحفظة ومتشددة في الجنس فمن أين ظهرت الفتوى؟ وتبين أنها فتوى الحاخام «آري شفات» حيث رأى «أن الديانة اليهودية تسمح بممارسة الجنس مع "إرهابيين" من أجل الحصول على معلومات تقود لاعتقالهم، وإن اسرائيل لا تنسى ما حدث في السبي البابلي، وهكذا أعلنت إسرائيل استخدام المرأة في الجيش الإسرائيلي كسلاح رسمي ووسيلة دعائية للمشروع الصهيوني!

نظرت لصور "ليفني" المتعددة بالصحف العالمية وهى تعترف بعيون تندب فيها حراب الحرب ولا تكفيها! إنها نوع من الجمال الحاد القسمات تجلس في ثوب سماوي قصير واضعة ساقًا على ساقٍ غير هيابة من ظهور اللون الكحلي لملابسها الداخلية وهي تراقب عيون من يحدثها أكثر من عنايتها بكلامه، فكل شيء سيتغير في الفراش!

ضحكوا على (ليفني) فتحولت لمومس في الموساد تحت غطاء ديني.. يا لا الحاخمات، ويا لا الفتاوى؟ وقيل هكذا تم تأويل سفر التكوين في التوراة:

من قصة النبي إبراهيم بمصر، أو قصة النبي إبراهيم وإسحاق ابنه بفلسطين..وقصص أخرى عن داود وسليمان، عند الحاخامات، ففي التوراة مشهد مسرحى (لإيمالك) ملك الفلسطينيين مع كل من النبي إبراهيم والنبى إسحاق "ولده" الذي في كل مرة تزوغ عينا (إيمالك) ملك الفلسطينيين على النساء – "نساء النبى إبرام "إبراهيم" أو نساء ابنه "إسحاق"!! ويكرر نفس غيه.. يدفع الثمن ندما وغنما وعبيداً للنبى وابنه.

فكرة تبرق كالنار برأسي فهل تسرب جهاد النكاح من الإسرائيليات لتراثنا الإسلامى القديم ؟ فعند الجوع وعند الخطر فاللعب بالنساء مباح.. مباح.. فهل جهاد النكاح الذي ظهر في سوريا هو عملية إسرائيلية؟!..أم اجتهاد شيعي بتخريج عن جواز المتعة؟

فالحاخام الأكبر في إسرائيل، أفتى ليفني بقلب مؤمن، يعرف الله والحق والمستحق بأنه "يحق لها أن تنام مع الغرباء وتمارس الجنس شرط أن يخدم ذلك إسرائيل".

وقد واجهت ليفني ملاحقات قضائية عجلت باعتزالها السياسة حيث أعلنت منظمات التضامن البريطانية وفريق الدفاع عن عائلات الضحايا الفلسطينيين صدور قرار قضائي باعتقال تسيبي ليفني بتهمة ارتكاب جرائم حرب ضد الفلسطينيين، وأصدر قاض في محكمة في العاصمة البريطانية لندن أمر اعتقال بحق ليفني بتهم جرائم حرب ارتكبت خلال حرب غزة، وسط اعتقاد أنه تم تهريبها من بريطانيا خاصة وأنها كانت مسؤولة سابقا في ما يسمى (البيوت الآمنة) في أوروبا التابعة لجهاز الاستخبارات الإسرائيلي.

ولكن قيل أن تركها السياسة راجع لإصابتها بمرض "الإيدز" وكالنار في الهشيم انتشرت أخبار إصابتها في الإعلام العبري والعربي، حيث كشفت مصادر حكومية إسرائيلية النقاب عن إصابة ليفني بمرض نقص المناعة المكتسبة دون تحديد تاريخ الإصابة، ولكن السيدة (ليفنى) لم يصدر عنها حتى الآن أي تصريح ينفي أو يؤكد إصابتها بالإيدز، باستثناء نفي وحيد صادر عن المستشار الإعلامي للوسط العربي في حزب العمل الإسرائيلي "ملحم ملحم" حيث نفى أن تكون تسيبي ليفني مصابة بالإيدز، معتبرًا أنها محض شائعات.

الفهرس